الولاة والولايات

فى

عهدى الراشدين والأمويين

[دراسة سياسية]

الجزء الثانى

(البصرة)

تأليف

الأستاذ الدكتور

محسن سعد عبد الله

أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة

بجامعة الأزهر

مقدمة

لك الحمد ربى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله ، علمتنى ما لم أكن أعلم ، وكان وما يزال فضلك على عظيما فإن من يستقرأ التاريخ الإنسانى لدى الأمم السالفة يجد حاضرة أو أكثر من كل دولة من الدول الماضية أثرت تأثيرا بالغا فى تسيير مجرى الأمور بها إما إلى الازدهار وإما إلى الانحدار والزوال .

والمصر الذى نخصه بالدراسة هو من الأمصار التى شكلت تاريخ الدولة الإسلامية: من عهد الفاروق إلى أن دالت الدولة العباسية على يد التتار سنة ٦٥٦ هـ الذين التهموا بغداد وأتوا على الأخضر واليابس فيها . ولما كان هذا التأثير متعدد الجوانب فإن التوفر على دراسته بالكلية يحتاج إلى مجلدات وأزمنة طويلة فإننا رأينا جعل الحديث عنه مقصورا على الولاة الذين تعاقبوا عليه منذ أن أمر عمر بتمصير المدينة حتى أعلنت بيعتها للعباسيين ، ومما يدلنا على أهمية البصرة فى التاريخ أنها كانت المسكن للعرب الأول الذين انطلقوا من شبة الجزيرة العربية يحملون الدعوة الإسلامية إلى بلاد الفرس فانساحوا فى أرض العراق وفارس فاتحين لها جاعلين راية الإسلام ترفرف على أرضها فأقاموا حضارة أتت ثمارها بعد ذلك فى عهد العباسيين . ولا أغالى فيما قلت إن البصرة أسهمت فى الحضارة الإسلامية وأثرت فى الأحداث التاريخية لهذه الدولة بشكل فاق إسهامات وتأثيرات الأمصار الأخرى مثل بغداد والقاهرة [1] على الرغم من عظم تأثير المصريين فى عهد العباسيين ثم الفاطميين . ذلك أن للمدينتين

[1] على الطنطاوى (أخبار عمر) ص ١٢٩

م نشهدا حدثا مروعا بين المسلمين بعضهم بعضا على غرار واقعة الجمل وثورات الخوارج تلك التي أشابت الطفل وروعت المرأة وأرت الرجال والشيوخ الموت غير مرة بل إن المدينتين لم تعرفا العصبية القبلية وما يستتبعها من فتن مثلما عرفت ذلك كله البصرة .

وإلى هذا المصر - وكذا الكوفة - يعزى الفضل في نجاح المسلمين بع توفيق الله لهم - في فتح بقية بلاد فارس فمنه كانت تنطلق جيوش الفتح ومنه وإليه كانت تصدر مراسم تعيين الولاة على المناطق المفتوحة ، وبواليه كان أهل المناطق الفارسية يستجيرون من ترويع الحرورية لهم ولقد بدأت هذه الدراسة ببيان الموقع الجغرافي للبصرة ومكانتها بين المدن الإسلامية وما قدمته للدولة في العصور المتتالية من علماء وقادة أفذاذ ثم ألقت هذه الدراسة الضوء على الولاة الذين تعاقبوا على البصرة منذ التمصير حتى أسلمت القيادة للعباسيين سنة ١٣٢ هـ .

فذكرت أولا ولاتها في عهد الراشدين ثم ذكرت ثانيا ولاتها في العهد السفياني وأعقب ذلك ثالثا حديثا وافيا على البصرة وما وقع على أرضها من أحداث جسام بين عهدي السفيانيين والمروانيين ليختم الكتاب بولاتها في العهد المرواني .

ومن ثم جاء هذا البحث متناولا لولاة البصر في عهدي الراشدين والأمويين ، ولما كان العهد الأخير أطول زمنا وأكثر أثرا من الأول فقد جعل عنوانا للبحث .

أما عن المنهج الذى سلكته فى إعداد هذا البحث فإنه يقوم على :

أ - ذكر ترجمة للولاة الذين تعاقبوا على البصرة بدء من عبيد الله بن زياد ، إلى يزيد بن هبيرة

ب - لم تأت الدراسة بترجمة تفصيلية ولاة البصرة الذين تولوا أمرها فى عصر اضطراب الدولة الأموية مثل منصور بن جمهور وعبد الله بن عمر ابن عبد العزيز ، ويزيد بن هبيرة وذلك لندرة ما بالمصادر من معلومات عن سيرهم الذاتية من ناحية ومن ناحية أخرى فإنهم لم يتركوا أدنى تأثير على أهل البصرة موضوع الدراسة باستثناء الأخير فإنها (أى الدراسة) ألقت الضوء على الموقف فى البصرة فى وقت احتضار الدولة الأموية ذلك الذى كان فى عهد سلم بن قتيبة نائب يزيد بن هبيرة على البصرة فإن الرجل تصدى للعباسيين ما وسعه إلى ذلك سبيلا .

جـ - هذه الدراسة التى يطالع القارئ صفحاتها لا تأتى على ذكر التفصيل الدقيق للأحداث التاريخية التى يكون لولاة المصر دخل فيها ، ما دامت لا تقع على أرض البصرة أو شارك فيها البصريون بشكل بارز وظاهر ، فما يراه القارئ من حديث عن الخوارج فى الأهواز بشكل موجز لا يراد منه إلا بيان الدور الذى اضطلع عليه البصريون وولاتهم فى هيئة الأمر لولاة الدولة الأموية لا غير ، فتفاصيل مثل هذه الأحداث تحتاج إلى دراسة مستقلة ليس هذا مجالها ، وكما أن من بين الولاة الذين تصدوا لمثل هذه الأحداث من حكم المصرين معا (البصرة والكوفة)

د - جعلت الحاشية مجالا لتخريج أهم البلدان والترجمة لبعض الأعلام وبيان مبهمات الألفاظ الواردة وكذا الآيات القرآنية

هـ - حرصت على إقامة هذا البحث من مصادر أصيلة دون الرجوع إلى المراجع الحديثة إلا في أضيق نطاق ممكن حين أرى صاحبها يدلي برأي في موقف من المواقف التي جاء ذكرها في صفحات هذا البحث ، وإذا ما وجدت روايتين متعارضتين أو أكثر تذكر حدثا من الأحداث ذكرت نصوصها ورجحت ما أراه راجحاً منها .

﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾

د / محسن سعد عبد الله ناصر
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

تمهيد

* ولقد اختلفت الروايات التاريخية فيما بينها حول ماإذا كان "عتبة بن غزوان" قد طلب من الخليفة الإذن ببناء مصر للمسلمين يقيمون فيه ويكون قاعدة ينطلقون منها فى حروبهم ببلاد فارس، أم أن "عمر" هو الذى طلب هذا الأمر من القائد المسلم لما رأى تغير ألوان لحوم العرب بعد طول إقامتهم ببلاد فارس.

فمن الأول مارواه "أبو عبيدة": (لما نزل "عتبة بن غزوان" الخريبة كتب إلى "عمر بن الخطاب" يعلمه بنزوله إياها، وأنه لابد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا، ويكنسون فيه إذا انصرفوا من غزوهم.

فكتب إليه أن أجمع أصحابك فى موضع واحد، وليكن قريباً من الماء والمرعى، واكتب إلىّ بصفته.

فكتب إليه إني وجدت أرضاً كثيرة القضبة في طرف البر إلى الريف ودونها مناقع ماء فيها قصباء.

فلما قرأ الكتاب قال: هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعى والمحتطب، وكتب إليه أن أنزلها الناس. فأنزلهم إياها، فبنوا مساكن بالقصب[1]).

ومن الثاني (ماروى أنه لما انتصر "سعد بن أبي وقاص" بأرض الحيرة[2] وماقاربها كتب إليه "عمر بن الخطاب" أن أبعث "عتبة بن غزوان" إلى أرض الهند، فإن له من الإسلام مكاناً وقد شهد بدراً، وكانت "الأبلة" يومئذ تسمى أرض الهند، فلينزلها ويجعلها قيرواناً للمسلمين ولا يجعل بيني وبينهم بحراً.

فخرج "عتبة" من الحيرة في ثمانمائة رجل حتى نزل موضع البصرة، فلما افتتح "الأبلة" ضرب قيروانة وضرب المسلمون أخبيتهم وكانت خيمة "عتبة" من أكسية ورماه "عمر" بالرجال فلما كثروا بنى رهط

(١) البلاذري: فتوح البلدان ج٢، ص٤٢٥.

(٢) مدينة تاريخية على نهر الفرات كانت تقع بين الأنبار والكوفة، وعلى مسيرة ثلاثة أميال من هذه الأخيرة التي أسست بعد الفتح الإسلامي. كانت الحيرة عاصمة مملكة تعرف باسمها إبان القرون الثلاثة التي سبقت قيام الدولة الإسلامية. أحمد عطية الله القاموس الإسلامي.

منهم فيها سبع دساكر من لبن، منها فى "الخريبة" اثنتان وفى "الزابوقة" واحدة وفى "بنى تميم" اثنتان[1].

وإذا ماأمعنا النظر فى الروايتين السابقتين رأينا الرواية الأولى راجحة والثانية مرجوحة حيث إن الرواية الأولى أسندها صاحب فتوح البلدان إلى "أبى عبيدة"، بينما جاءت الثانية خالية من السند، ناهيك عن كون الرواية الأولى ذكرت أن مساكن العرب كانت فى بدء التمصير من القصب وأنها بنيت من اللبن بعد الحريق الذى أصاب "الكوفة" و"البصرة"، فأرسلوا يستأذنون "عمر" ببناء المساكن من اللبن كى لا يصابوا بمثل ماأصيبوا به، فأذن لهم "عمر" على (أن لا يزيد بناء أحدهم من ثلاثة أبيات، ولا يطاولوا بالبنيان، وأن يلزموا السنة تلزمهم الدولة[2]).

وإذا ماأراد المؤرخ أن يبرر أمر "عمر" ببناء المنازل أولاً من القصب واشتراطه ماشرط فى بنائها من اللبن فإنه لا يجد كبير عناء، حيث إن الخليفة أراد من ذلك أن يبقى القوم فى جهاد ولا يميلوا إلى الدعة والاسترخاء، لأنه إن غلب عليهم الترف، وأضعفتهم الحضارة غلبوا كما وقع يوماً لجنود "هانى بعل" (انيبال) لما استمرؤوا العيش فى إيطاليا، وذاقوا لذة المدنية، فاسترخت عزائمهم، فغلبوا على أمرهم بعد

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ج١، ص٤٣٢،٤٣٣. صالح العلى: خطط البصرة ومنطقتها ص٤٥.

(٢) النويرى: نهاية الأدب ج١٩، ص٣٤١.

أن كانوا هم الغالبين[1] و"عمر" يعلم أن فتح البلاد لما ينتهى بعد، لذا فإنه شدد على جنده فى الأمر كى لا يجعلهم الرخاء لقمة سائغة فى أفواه أعدائهم، ويصابوا بما كان السبب فى انتصار المسلمين عليهم.

ولقد اختلف المؤرخون فيما بينهم حول تاريخ تمصير "البصرة" فمنهم من قال إن ذلك قد كان فى السنة الرابع عشرة للهجرة، ومنهم من قال سنة ست عشرة[2].

وربما يعزى هذا الاختلاف إلى نزول العرب فيها قبل أن يأمر "عمر" بتمصيرها بفترة جعلت المؤرخين يذكرون لنا أكثر من تاريخ للتمصير ومهما يكن من أمر فإن العرب المسلمين لما نزلوا المكان كان أول عمل قاموا به بناء مسجدها مقتدين فى ذلك برسول الله ﷺ حين نزل المدينة بعد الهجرة إليها من مكة.

فتذكر المصادر التاريخية أنهم جاءوا برجل اشتهر بينهم بشدة النزع فرمى بسهم، وأمروا الناس أن يبنوا دورهم عند المكان الذى وصل إليه السهم لتحيط بالمسجد الذى أقيم فى منطقة وسطى ليسهل على الرعية الوصول إليه، أما عن الرجل الذى قام بتخطيطه فإنهم ذكروا لنا أقوالاً عدة فى هذا الصدد، منها: أن الذى بناه "عتبة بن غزوان" سنة أربع عشرة للهجرة وكان من قصب، وقيل إن الذى فعل ذلك هو "الأسود

---

(١) على الطنطاوى وآخر: أخبار "عمر" ص١٢٩.

(٢) البلاذرى: فتوح البلدان ج٢، ص١٢٥، الخضرى محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية) ص٢٩٤، صالح أحمد العلى: خطط البصرة ومنطقتها ص٤٢.

ابن سريع التميمى"، وهو أول من قص فيه. فقال له "مجاشع" و"مجالد" ابنا مسعود: وحمك الله! شهرت نفسك. فقال: لا أعود[1]. ثم بنى العرب بالبصرة دار الإمارة بجوار المسجد، تلى ذلك بناؤهم للدور والعناية بزراعة النخيل، فكان "أبو بكرة" أول من غرسها بالبصرة، وقال أبو المنذر: أول دار بنيت بالبصرة دار "نافع بن الحارث"[2].

والذى لا مراء فيه أن العرب أصابوا فى اختيارهم للمكان الذى بنيت فيه البصرة؛ إذ هى فى منطقة مستوية خالية من العوارض والمرتفعات الطبيعية، فلا يوجد بها سوى جبل سنام وسفوان اللذين يبعدان عن موقع المدينة حوالى خمسين ميلاً، والمنطقة منخفضة لا يزيد ارتفاعها عن سطح البحر أكثر من أربعة أمتار فهى بطيئة الانحدار، ويبلغ معدل انحدار الأرض فيها حوالى ١/ ٢٠,٠٠٠ غير أن الأرض فى أطرافها الغربية تزداد ارتفاعاً على ذلك، ومن ثم فإن أنهارها قصيرة، قليلة المياه وبالتالى فإنها لا تصلح للملاحة النهرية، ونظراً لذهاب كثير من مياه دجلة والفرات إلى المناطق المنخفضة شمال البصرة، تكونت البطائح وانقطع الماء عن المجرى الأسفل من نهر دجلة الذى أصبح بسبب هذا الانقطاع يسمى دجلة العوراء"، ولهذا فلم يكن أمام البصريين من سبيل يسلكونه ليصلوا إلى الكوفة سوى الطريق البرى[3].

---

(١) خليفة بن خياط: التاريخ ص١٢٩. البلاذرى: فتوح البلدان ج٢ ص٤٢٥. النويرى: نهاية الأرب ج١٩ ص٣٤١.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ج١، ص٤٣٢.

(٣) د/ صالح أحمد العلى: خطط البصرة ومنطقتها ص٢٨.

أما عن مناخ البصرة فإنه متقلب بحيث يمكن للمرء أن يعيش فى يومه أكثر من فصل من فصول العام[1].

وعلى الرغم من ذلك فإن العرب الذين أنشأوها وعاشوا على أرضها نعموا بالترف وبحبوحة العيش، إلى حد أنهم افتخروا بذلك على العرب قاطنى الأمصار المجاورة.

فهذا هو "الأحنف بن قيس" يفخر على الكوفيين أمام "مصعب بن الزبير" فيقول عن قاطنى البصرة: (نحن أكثر ساجا وعاجا وديباجا، ونحن أكثر قندا ونقدا[2]).

وماكان ذلك ليتحقق للعرب فى مدينة ذات تربة سبخة إلا نتيجة جهد بذلوه فى الزراعة والتجارة؛ فثغر "الأبلة" تنزل فيه بضائع الهند ليبيعها العرب إلى إخوانهم بمكة وغيرها من أمصار الدولة الإسلامية. يضاف إلى ماتقدم، هذه الأموال التى كانت تأتيهم من جبايات الأقاليم التى قام البصريون بفتحها وضمها إلى الدولة، وكانت هذه الأقاليم فى زمن خلافة "عمر بن الخطاب" محدودة لم تتجاوز كور دجلة والأحواز[3]، ويبدو أن الجباية منها كانت فى البداية غير كبيرة، ولكن

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ج١، ص٤٣٦.

(٢) المسعودى: مروج الذهب ج٣، ص٣٣١. والقند: "هو عسل قصب السكر". انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة (قند).

(٣) تنطق أهواز على خلاف الأصل، وأبدلته الفرس فى كلامهم حاء، وكان اسمها أيام الفرس خوزستان، وقيل: اسمها هرمرشهر وهى كورة عظيمة. قال صاحب كتاب المغنى: هى ٥ كور بين البصرة وفارس لكل كورة

الخليفة "عمر" أمر أن تتبع فى توزيع العطاء على مقاتلتها الأسس نفسها التى اتبعت فى توزيع مقاتلة "الكوفة"، وفى زمن خلافة "عثمان بن عفان" توسعت فتوح أهل "البصرة"، وشملت الأقاليم التى فى أواسط وجنوبى الهضبة الإيرانية وخراسان، فازدادت موارد الجبايات. والراجح أنها كانت كافية لعطاء الأعداد المتزايدة من المنضمين إلى المقاتلة[1].

فإذا ماعلمنا أن هذه الأموال التى كانت تأتى البصريين كل عام من هذه الأقاليم نقداً تجعل الجند يقبلون على شراء مايلزمهم من الكساء والسلاح، مما جعل السوق التجارية بالبصرة محط أنظار العرب الذين قطنوا بعيداً عنها من ناحية، ومن ناحية أخرى جعلت الخلفاء يولون أمر اختيار ولاتها جل عنايتهم، يتضح لنا ذلك جلياً إذا ماتناولنا ولاتها منذ التمصير إلى أن وليها والى "عبد الملك بن مروان"

الفصل الأول

ولاة البصرة فى عهد الراشدين

حاز المسلمون الأرض التى أقيمت عليها البصرة فى زمن "الفاروق" -رضوان الله عليه- فيذكر "ابن الأثير" فى كامله أن "قطبة ابن قتادة السدوسى" كان بهذه المنطقة يقاتل الفرس ومعه "عتبة بن غزوان" الذى كتب لـ"عمر" قائلاً: (لو كان معى عدد يسير من

منها اسم. والأهواز تجمعهن ولا ينفرد الواحد منها هوز، وأهل هذه البلاد بأسرها يقال لهم الخوز. [ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع ج١، ص١٣٥].

(١) صالح أحمد العلى: خطط البصرة ومنطقتها ص٣٦.

المسلمين لظفرت بمن قبلي من العجم فأنفيهم عن بلادهم فكتب إليه عمر يأمره بالمقام والحذر(١).

ولما كان من أمر نجاح للمسلمين في فتح البصرة ثم تمصيرها، كان أول وال عليها من قبل الفاروق هو "عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثي المزني(٢)".

ولقد اختلف المؤرخون حول من ولاه أمر البصرة أهو "عمر" أم "سعد بن أبي وقاص" بأمر الخليفة. فأما من يقول إن ولايته من قبل عمر، فإنه جعلها في سنة أربع عشرة، وأن نزوله البصرة كان في شهر ربيع الأول أو الآخر، بعثه عمر إليها(٣)، فسار "عتبة" ومن معه حتى إذا كانوا بالمربد تقدموا حتى بلغوا حيال الجسر، فنزلوا. فبلغ صاحب الفرات خبرهم، فأقبل في أربعة آلاف، فالتقوا فقاتلهم "عتبة" بعد الزوال وهو في خمسمائة، فقتلهم أجمعين، ولم يبق إلا صاحب الفرات فأخذ أسيراً.

وأما الذين قالوا إن "سعداً" ولاه فإنهم جعلوا التمصير في سنة ست عشرة لما أرسل عتبة إلى البصرة فأقام بها نحو شهر، فخرج إليه

---

(١) الكامل ج٢، ص٤٨٦.

(٢) صحابي قديم، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً ثم شهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص، سار إلى (ميسان) و(أبر قباذ) فافتتحهما، وكان من الرماة المعدودين. [الذهبي: تاريخ الإسلام ج٢، ص٨٢-٨٣. وعبد السلام الترمانيني أزمنة التاريخ الإسلامي. ج١ ص٧٥٦].

(٣) النويري: نهاية الأرب ج١٩، ص٢٣٤.

أهل "الأبلة" وكان بها خمسمائة من الجند يحمونها، فقاتلهم عتبة فهزمهم حتى دخلوا المدينة، ورجع عتبة إلى عسكره ففزع الجند مما رأوا من المسلمين فتركوا مدينتهم ناجين عن بلاد يأوون إليه حتى نجوا بأنفسهم تاركين المدينة ومابها من أمتعة غنيمة للمسلمين، فخمسها "عتبة بن غزوان" بعد مادخل المدينة[1].

وإذا ماأردنا ترجيح رواية على أخرى وجدنا النفس تسكن إلى الأخذ بالرواية الأولى، لأنها تتفق مع تسلسل الأحداث التاريخية للفتوح الإسلامية في هذه البلاد كما أنها تتفق مع ماتكاد تجمع عليه المصادر التاريخية من أن "أبا موسى الأشعري" قد ولي أمر البصرة في سنة ست عشرة، ومن ثم فإننا نجزم بأن الذي ولي "عتبة" البصرة هو عمر بن الخطاب وليس "سعد بن أبي وقاص" -رضوان الله عليهم-

وعلى أية حال فإن عمر لما ولى "عتبة" أمر البصرة كتب إليه كتاباً ليسترشد بما فيه من وصايا ونصائح في سياسته لأهل هذا المصر الجديد فقال له بعد باسم الله والصلاة والسلام على حبيبه الذي اصطفاه (ياعتبة إني قد استعملتك على أرض الهند، وهي حومة العدو، وأرجو أن يكفيك الله ماحولها ويعينك عليها، وقد كتبت إلى "العلاء بن الحضرمي[2]" أن يمدك بـ"عرفجة بن هرثمة" وهو ذو مجاهدة ومكايدة

---

(١) النويري: نهاية الأرب ج١، ص٢٣٥.

(٢) صحابي من رجال الفتوح في صدر الإسلام ولد ونشأ بمكة ولاه الرسول ﷺ سنة ثمان وجعل له جباية الصدقات وأمره أن يأخذها من أغنيائهم ويردها إلى فقرائهم. شارك في حروب الردة، وأقره أبو بكر بعد وفاة

للعدو، فإذا قدم عليك فاستنصره وادع إلى الله، فمن أجابك فاقبل منه ومن أبى فالجزية وإلا فالسيف، واتق الله فيما وليت وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر مما يفسد عليك إخوتك وقد صحبت رسول الله ﷺ فعززت به بعد الذلة وقويت به بعد الضعف، حتى صرت أميراً مسلطاً وملكاً مطاعاً، تقول فيسمع منك، وتأمر فيطاع أمرك فيالها نعمة إن لم تدفعك فوق قدرتك وتبطرك على من دونك واحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، ... .. انطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا.

مما تقدم يتبين لنا أن عمر بن الخطاب طلب من واليه ألا يلجأ إلى سفك دماء الأعداء حتى يعذر إليهم ويطلب منهم الجزية، فإن أبوا فليحكم الحسام فيهم، وحذره من كبر ربما يتسلل إلى نفسه بسبب ولاية تولاها، أو انتصار أحرزه، وأنه والمسلمين الأوائل ماعزوا بعد ذلة إلا بدين جاءهم به النبي محمد ﷺ فآمنوا به.

ولقد أحسن أمير المؤمنين اختياراً حين أسند أمر البصرة إلى عتبة فعلى الرغم من أن الجماعات التي قطنتها عند التمصير جماعات قبلية حكمت أمورها العصبية العشائرية فإن والي المصر نجح في تسييس أمور مصره في عدالة مطلقة نأت به عن تفضيل جماعة على أخرى، يظهر لنا

النبي ﷺ على ولاية البحرين، ثم أقره عمر، ووجهه عمر إلى البصرة فمات في الطريق وقيل مات بالبحرين وهو أول من ركب البحر. [ابن حجر: الإصابة ج٢، ص٤٩١؛ عبد السلام الترمانيني: أزمنة التاريخ الإسلامي ج١، ص٧٧١]

ذلك جلياً من خطبته التي ألقاها في رعيته بعدما أفاء الله عليهم بالنصر وامتلاك الأرض حيث زهدهم في الدنيا بمن فيها ومافيها لأنها إلى زوال فقال:

(أما بعد فإن الدنيا قد تولت حذاء مدبرة وقد أدنت أهلها بصرم. وإنما بقي منها صبابة كصبابة الإناء يصطبها صاحبها ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ففارقوها بأحسن ما بحضركم ألا وإن من العجب أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الحجر الضخم يلقى في النار من شفيرها فيهوى فيها سبعين خريفاً وجهنم سبعة أبواب مابين البابين منها مسيرة خمسمائة سنة، ولتأتين عليه ساعة وهو كظيظ بالزحام ولقد كنت مع رسول الله ﷺ سابع سبعة مالنا طعام إلا ورق البشام[1] حتى قرحت أشداقنا فوجدت أنا وسعد بن مالك تمرة فشققتها بيني وبينه فأتزرت بنصفها، ومامنا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر من الأمصار وإنه لم يكن نبوة قط تناسختها جبرية.

وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وفي أعين الناس صغيراً وستجربون الأمراء من بعدي فتعرفون وتنكرون[2].

نهض "عتبة" بأمر البصرة فعمل على إنشاء مسجدها الجامع وبناء دار الإمارة بها ونظم خططها حسب القبائل والعشائر الذين معه بالإضافة إلى قيامه بأعمال أخرى تخص الزراعة بالمصر[3]

---

(١) شجر طيب الرائحة يستاك به. ابن منظور لسان العرب مادة بشم ص ٢٩٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٧، ص٤، الجاحظ: البيان والتبيين ص ٢٤١.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٧، ص٣، الشامل ج٢، ص٤٨٨.

استمر عتبة يقوم بكل ما من شأنه تيسير أمور الإمامة للعرب بهذا المكان حتى وجد في نفسه رغبة لأداء فريضة الحج فاستأذن عمر في الوفود عليه فلما أذن استناب على البصرة "مجاشع بن مسعود"[1] الذي كان غائباً، فجعل "عتبة" "المغيرة بن شعبة" عوضاً عن "مجاشع" ليقوم بأمر المصر حتى يأتيهم ابن مسعود[2].

غير أن ابن سعد يذكر لنا سبباً آخر عزى إليه قدوم عتبة على أمير المؤمنين فقال: (كان "سعد بن أبي وقاص" يكتب إلى عتبة وهو عامله، فوجد من ذلك عتبة فاستأذن عمر أن يقدم عليه فأذن له واستخلف على البصرة "المغيرة بن شعبة" فقدم عتبة على عمر فشكا إليه تسلط "سعد" عليه فسكت عنه عمر فأعاد ذلك "عتبة" مراراً فلما أكثر على "عمر" قال وماعليك يا"عتبة" أن تقر بالإمرة لرجل من قريش له صحبة مع رسول الله وشرف فقال له عتبة: ألست من قريش؟

قال رسول الله ﷺ حليف القوم منهم، ولي صحبة مع رسول الله قديمة لا تنكر ولا تدفع فقال عمر لا ينكر ذلك من فضلك، قال "عتبة" أما إذا صار الأمر إلى هذا فوالله لا أرجع إليها أبداً. فأبى عمر

---

(١) صحابي من الشجعان غزا كابل وصالحه الإصبهد وقيل كان على يده فتح حصن (أبرويز) بفارس كان يوم الجمل مع عائشة أميراً على بني سليم، فقتل قبل الواقعة ودفن بالبصرة [ابن حجر: الإصابة ج٣، ص٢٤٢. عبد السلام الترمانيني: الأزمنة ج١، ص٨٣٤]

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ج٢، ص٤٢١.

إلا أن يرده إليها[1]. فصار "عتبة" يريد البصرة امتثالاً لأمر أمير المؤمنين فأدركته المنية ولم يصل إليها[2].

وإذا أمعنا النظر في الروايتين السابقتين وجدنا أن الرواية الأولى أكثر قبولاً من الثانية فإن مابين "سعداً وعتبة" لو صح ماكان يجعل رجلاً مثله يترك مصرهُ في هذه الفترة الحرجة التي يؤسسه فيها إلى رجل متغيب عنه يجاهد الأعداء في ميادين الفتح، اللهم إلا أن يكون ذلك لضرورة لا ينفع معها إرجاء أو إمهال، وليس ذلك إلا حنونة وقت الحج. ومن ثم فقد طلب الإذن من أميره فأذن له لجهاده ومكافأته على نجاحه في إنشاء مصره. يضاف إلى ماتقدم أن رواية ابن سعد تظهر لنا "عتبة بن غزوان" بمظهر المتأفف من أوامر "سعد" وذلك نعت لا يوصف به من كان على شاكلة "عتبة" في زهده الدنيا وإيثاره الآخرة عليها كما تبين ذلك جلياً حين ألممنا إلى خطبته التي ألقاها في الرعية.

وعلى كل حال فإن شمس "المغيرة بن شعبة"[3] في سماء البصرة أخذت تزداد سطوعاً حتى خلى له المصر وصار فيه الآمر والناهي

---

(١) الطبقات ج٧، ص٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج٢، ص١١١، عبد السلام الترمانيني: الأزمنة ج١. ص٧٥٦.

(٣) ابن أبي عامر بن مسعود الثقفي. كنى قديماً بأبي عيسى فكناه عمر أبا عبد الله أسلم عام الخندق وشهد الحديبية وبيعة الرضوان والقادسية واليرموك ولي الكوفة نيابة عن معاوية وظل بها حتى مات. [أبو الفرج: الأغاني ج١، ص٧٩. ابن الأثير: أسد الغابة ج٤، ص٤٠٦].

فاهتبل فرصة تحرش أهل "ميسان[1]" به وحشدهم رجال الفرس لمقاتلته بقيادة (الفيلكان) عظيم من عظماء أهل أبرقباذ فأعمل السيف فيهم وفتح بلادهم وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بالفتح[2] ففرح فرحاً شديداً ونظر إلى المغيرة نظرة فيها مافيها من الرغبة في استغلاله لتحقيق مزيد من الخير للمسلمين حيث عرف الناس عنه الدهاء وحسن السياسة فصار مضرب المثل في ذلك بين الخاصة والعامة ومن ثم فإنه لما نعى إليه "عتبة بن غزوان" قلد "عمر" "المغيرة بن شعبة" ولاية البصرة[3].

أقبل "المغيرة" على عمله في البصرة بهمة ونشاط فثبت أركان المصر بما قام فيه من أعمال طيبة جعلت الرعية تنعم بالأمن والاستقرار على الرغم من وفود المزيد من الجماعات العربية عليه لما أخبرهم "عتبة ابن غزوان" عن خصوبة أرضه وطيب المقام فيه، فرغبت هذه الجماعات في سكناه.

والمغيرة أول من وضع ديوان الإعطاء بالبصرة ورتب الناس فيه فأعطاهم على الديوان ثم صار ذلك رسماً بعد ذلك يحتذونه وأول من

---

(١) بالفتح ثم السكون وسين مهملة وآخره نون: كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان. [ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج٣، ص١٣٤٣]

(٢) خليفة بن خياط التاريخ ص١٢٩. البلاذري: فتوح البلدان ج٢، ص٤٢٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج٢، ص٥٣٩-٥٤٠.

سلم عليه بالإمارة في هذا المصر[1] ولقد كانت فترة ولايته كل البصرة عبارة امتداد للجهود التي قام بها سلفه عتبة بن غزوان من أجل دعم المصر وازدهاره وجعل سكانه ينعمون بالاستقرار والدعة وآية ذلك، أن عمر -رضي الله عنه- كتب إلى المغيرة بمعاونة رجل زرع أرضاً بالبصرة واختلى أولاد الخيل فيها حين لم يفيلها أحد من أهل البصرة ويشترط عمر للمغيرة ألا تكون هذه الأرض أرض جزية كان ذلك في صفر سنة ١٧هـ[2] حتى سنة ٦٣٨م.

فصادف ذلك الأمر هوى في نفس المغيرة فراح يعمل على النهوض بالزراعة والثروة الحيوانية ولأنه أحكم سيطرته على البلاد التي فتحها وأحسن رعية مصره فكان عهده على قصرة عهد بناء ورخاء على حد سواء.

ولم تنعم البصرة طويلاً بحكم المغيرة ذلك، أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه- عزله عنها بعد فترة وجيزة؛ حيث أتهم بارتكاب جريمة الزنا فاستدعاه عمر على الفور إلى المدينة فحقق في القضية، فلما لم تثبت التهمة عليه ثبوتاً شرعياً لم يقم عليه الحد[3]، واستبدل أبا موسى الأشعري -رضي الله عنه- به وجعله معاوناً له على أمره فولى

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٠. أبو الفرج: الأغاني ١٦/٨٠.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص١٤٦، ط دار الكتب العلمية بيروت. اختلى أولاد الخيل فيها: رعى أولاد الخيل على النبات الذي زرعه. ابن منظور: اللسان مادة (خلى).

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٢/٤٢٤. ابن الأثير: الكامل ٢/٥٤١.

المغيرة الكتابة له[1]. ولقد اختلف المؤرخون حول مكان كتاب "أبو موسى" بالمدينة أم بالبصرة حين ولاه "عمر" فذكر بعضهم أن عمرا لما استمع إلى ماقاله "أبو بكرة" عن عامله بالبصرة دعا "أبا موسى" إليه آمراً إياه بالتوجه إلى البصرة ولزوم السنة، فقال "أبو موسى" أعنى بعدة من أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم فى هذه الأمة كالملح قال له: خذ من أحببت. فأخذ معه تسعة وعشرين رجلاً منهم "أنس بن مالك"، و"عمران بن حصين" وهشام بن عامر وخرج معهم فقدم البصرة، فدفع الكتاب بإمارته إلى "المغيرة" وهو أوجز كتاب وأبلغه

(أما بعد فإنه بلغنى نبأ عظيم فبعثت "أبا موسى" أميراً، فسلم إليه مافى يدك والعجل[2] "وقد روى قوم أن أبا موسى كان بالبصرة فكتب إليه عمر بولايتها وإشخاص المغيرة ولقد رجح البلاذرى الأمر الأول[3]"

والذى لاريب فيه أن الفاروق "قد أصاب فى اختياره "لأبى موسى" فى هذا الوقت الدقيق الذى يمر به المصر، لما للموالى من مكانة مرموقة فى أفئدة المسلمين حيث كان من المهاجرين إلى الحبشة ومن الذين عرفوا بين صحابة النبى محمد ﷺ بفقهه وعدله، وله سابقة فى

---

(١) الدينورى: أبو حنيفة أحمد بن داوود (٢٨٢هـ/٨٩٥م). الأخبار الطوال: تحقيق محمد عبد المنعم عامر ومراجعة د. جمال الشيال. ط١: طبعة المثنى بغداد سنة (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) ص١١٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج٢، ص٥٤١.

(٣) فتوح البلدان ج٢، ص٤٢٤.

الولايات حين استعمله النبي محمد ﷺ على "زبيد[1]". و"عدن[2]" بالإضافة إلى مشاركته في فتوح "العراق" و"فارس" حيث فتح "أصبهان" زمن أمير المؤمنين "عمر" -رضوان الله عنه-[3]. وكذا دأب "عمر" مع ولاته الذين ولاهم حكم الأمصار الإسلامية زود "أبو موسى" بكتاب أمره فيه بإقامة الحدود ولو ساعة من نهار وألا يتعالى على الناس بسلطان تولاه حتى لا ينفروا منه وحذره غائلة التهاون في العصبية المتفشية بين الجماعات والقبائل القاطنة بالبصرة لأنها ترجع بالمجتمع إلى عصر الجاهلية، فإذا ماوجد شيئاً منها جابهه بالشدة حتى يستأصل شأفته ليضمن الأمن والأمان لأهل مصره (وإذا كانت بين القبائل نائرة وتداعوا يا آل فلان فإنما تلك نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله وتكون دعواهم إلى الله تعالى وإلى الإمام، وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبة تدعة: ياآل "ضبة"، وإني ماأعلم أن "ضبة" ساق الله بها خيراً قط، ولا منع بها سوءاً قط فإذا جاءك كتابي هذا فانهكهم عقوبة حتى يفرقوا إن لم يفقهوا[4].

---

(١) بالفتح ثم الكسر وياء مثناه من تحت اسم واد به مدينة يقال لها الحصيب وهي التي تسمى اليوم "زبيد" وهو مشهورة باليمن وبإزائها ساحل المندب. ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ص٦٥٧.

(٢) مبناء بجنوب الجزيرة العربية كما يطلق الاسم على خليج عدن الذي يطلق عليه وتقع على مسيرة نحو مائة ميل من باب المندب وهو المدخل الجنوبي للبحر الأحمر. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي ج٥. ص٢٩٦)

(٣) سحي: البدء والتاريخ ج٥. ص١٠٢. والذهبي: دول الإسلام ج١ ص٤٤

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ص٣٥٨،٣٥٧.

لما استوى "أبو موسى" على أريكة الإمارة بالبصرة طفق يخطط المصر، فقسم أرضه على القبائل والجماعات، فجعل لكل واحدة منها خطة تقيم فيها[1]. ونهج سبيل سلفيه في سياسته مع الرعية وعنايته بالمنشآت المعمارية بالمصر، إذ يذكر المؤرخون أن "أبا موسى" أول من استخدم اللبن في إنشاء الأبنية بالبصرة بعد ماأجاز "عمر" ذلك للكوفة والبصرة إثر الحريق الذى شب في منازل المصريين فبنى المسجد في مكانه القديم باللبن بعدما كان مبنياً بالقصب، وجعل دار الإمارة بجواره وسقفهما بالعشب وزاد في المسجد عن ذى قبل. يتبين لنا من هذا أن المصادر لم تذكر سعة بناء أبى موسى للمسجد أو شكل الجامع، وقد يستدل من الزيادات التى أضيفت إليه فيما بعد أنه لم يكن واسعاً جداً وأنه كان يسد حاجة السكان في زمنه، ولم يكن عددهم كبيراً، غير أن إقامة خمسمائة من الزط[2]. وغيرهم لحراسته يدل على أن سعته كانت معقولة[3].

---

(١) الدينورى: الأخبار الطوال ص١٢٤، على الطنطاوى وآخر: أخبار عمر ص١٣٠.

(٢) كلمة معربة عن "جت" الفارسية تقرأ بضم الأول كما تقرأ بالكسرة والفتح وتطلق في التاريخ الإسلامي على جماعات من أصل هندى نزحت في عصور ماقبل الإسلام إلى فارس ثم انتقلت إلى ثغور الخليج العربى ومن ثم استقرت بإقليم البطائح (بين واسط والبصرة) ونظراً لطبيعة الزط المقاتلة درجوا على قطع الطرق كما عملوا جنوداً مرتزقة ودخلوا في خدمة الذين يدفعون لهم الأجر الأعلى. أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى ج٣، ص٦٢.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ج١، ص٤٣٣. صالح العلى: خطط ومنطقتها ص٦٥.

استمر أبو موسى والياً على البصرة إلى سنة إحدى وعشرين من الهجرة حتى استبدل "عمر بن الخطاب" به "عمر بن سراقة"[1] وبعث أبا موسى إلى الكوفة ثم أمر أمير المؤمنين بردة ثانية إلى البصرة[2].

وعلى الرغم من أن المصادر التي تحت أيدينا لم تكشف لنا الغطاء عن تلك التغيرات في الولاة بين المصريين إلا أن المتتبع للأحداث التاريخية في بلاد العراق وفارس آنذاك يسهل عليه تبرير هذا التغير بأن الفتوح في تلك البلاد قد تزايدت وأن ثورات سكان بعض المناطق بها كانت تقوم الفينة بعد الفنية فلعل أمير المؤمنين أراد من تلك التغيرات رمي الأعداء بالأكفاء من الرجال من أمثال "أبي موسى" ومن ثم نقله من البصرة إلى الكوفة ثم أعاده إليها حين وجد الضرورة تستدعي ذلك.

شرب "أبو موسى" من كأس العصبية القبلية التي أثرت تأثيراً بالغاً في حياة البصريين بالرغم من الجهود المضنية التي بذلها ومن سبقه من الولاة في سبيل الاستعلاء بهذه العصبية لتتحول من الهدم إلى البناء ليتفرغ ذهن الولاة لمجابهة الأعداء المناوئين لهم في بلاد فارس وماأكثرهم في هذا الوقت. فقد اتهمت بعض الجماعات القبلية "أبا موسى" بممالأته زياد بن أبيه "فقالوا إنه منحه أموالاً لا يستحقها وأن الموالي يعيش عيشة مترفة بينما يعانون من شظف العيش وكتبوا بذلك إلى "عمر" وسبب تلك التهمة التي لصقوها "بأبي موسى" أنه لم يبعث

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج٢، ص ٥٤٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج٢، ص

ضبة بن محصن مع الوفد الذى أرسله إلى "عمر" ليبشره بفتح أصبهان[1]. ووشى الرجل به عند أميره، فاستدعى "عمر" "أبا موسى" ليحقق فى الشكاية، حيث كان -رضوان الله عليه- أهم مايهمه مراقبة ولاة الأمصار بالليل قبل النهار، ليعلم يقيناً أنهم لم يتجاوزوا السلطات المخولة لهم، و لم يتلفوا أموال المسلمين فى وجه من وجوه الترف وألوان النعيم، ليتشبهوا بالعجم فى حياتهم.

جمع "عمر" بين "أبى موسى" وشاكيه من ضبة ليحقق فى القضية، فقال للضبى: ماذا نقمت على

قال "ضبة": تنقى ستين غلاماً من أبناء الدهاقين[2] لنفسه.

---

(١) أو أصفهان مدينة ومقاطعة إيرانية تقع فى الغرب بين العراق ويزد وكاشان وأصبهان المدينة بلدة قديمة تقع على نهر زندة فتحت فى خلافة عمر على يد عبد الله بن عتبان عام ١٩هـ (٦٤٠م) وقيل فاتحها هو أبو موسى الأشعرى عام ٢٣هـ (٦٤٤م) بعد أن تم له فتح نهاوند التى تقع إلى شمالها الغربى ودخلت أصفهان تحت حكم الدول السامانية إبان القرن الرابع الهجرى وتحت الدول الغزنوية إبان القرن الخامس الهجرى. أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى ج١، ص١٢٤.

(٢) مفردها دهقان، وهى كلمة فارسية مركبة من مقطعين: "ده" بمعنى قرية. و"قان" بمعنى شيخ، وقد تطور استخدامها عند غير الناطقين بالفارسية حيث أصبحت تطلق على من له معرفة بشئون الزراعة أى الفلاح المستقر تمييزاً له عن الرحال المتنقل كالبدوى. أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى ج٢، ص٣٩٧.

قال "أبو موسى": دللت عليهم وكان لهم فداء ففديتهم فأخذته فقسمته بين المسلمين.

قال "ضبة": والله ماكذب ولا كذبت.

ثم ذكر التهمة الثانية فقال: له قفيزان وله مكيالان.

قال "أبو موسى": قفيز لأهلي أقوتهم، وقفيز للمسلمين في أيديهم يأخذون به أرزاقهم.

فقال "ضبة". والله ماكذب ولا كذبت.

والتهمة الثالثة أن "أبا موسى" ولى "زياد" أمور الناس ولا يعرف هذا مايلي.

قال "أبو موسى": وجدت له نبلاً ورأياً فأسندت إليه عملي.

أما التهمة الرابعة فهي مخالفة "أبي موسى" سياسة الخليفة بمنحه "الحطيئة" ألف درهم وقيل دينار، منفقاً أموال المسلمين على غير وجه من وجوه الإنفاق التي وصى "عمر" ولاته، فأجاب "أبو موسى". (سددت فمه بمالي أن يشتمني).

وتهمة خامسة اتهم بها الضبي أمير مصره، فذكر أن له جارية تدعى "عقيلة" تغدى جفنة وتعشى جفنة، وليس بنا رجل يقدر على ذلك.

فما أجاب "أبو موسى" "عمر" -رضوان الله عليهما- عن هذا الأمر، فعلم الخليفة صدق الضبي، وأمر باستدعاء الجارية و"زياد" إليه. فلما جاءه "زياد" وعليه ثياب كتان سأله: ماهذه الثياب؟ فأخبره.

فقال: كم أثمانها؟ فأخبره بشيء يسير وصدقه.

فقال له: كم عطاؤك؟ قال: ألفان.

قال: ماصنعت في أول عطاء خرج لك؟

قال: اشتريت والدتي فأعتقتها، واشتريت في الثاني ربيبي "عبيداً" فأعتقته.

قال: وفقت.

وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن فوجده فقيهاً فرده، وأمر أمراء البصرة أن يأخذوا برأيه.

وحبس "عقيلة" بالمدينة وكانت هذه هي عقوبته "لأبي موسى"[1].

ويتبين لنا من الرواية التي ذكرناها، أن البصريين أرهقوا ولاتهم من أمرهم عسراً، وأن العصبية القبلية قد ملكت عليهم سمعهم وأبصارهم، فأعمتهم عن السوية، وراحوا يكيلون التهم جزافاً لولاة

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٤، ص١٤٠، ١٤١، ١٤٢. علي الطنطاوي وآخر: أخبار عمر ص١٥٢، ١٥٣. محمد حلمي: الخلافة والدولة في العصر الأموي ص١٤٠، ١٤١

أمصارهم. وماقضية "المغيرة" التي سلف ذكرها منذ قليل عنا ببعيدة، فإنها ضرب من ضروب تلك العصبية التي استغلها نفر واحد من ضعاف الإيمان وأعداء الإسلام لينالوا بها من طرف ظاهر أو خفي صحابة رسول الله ﷺ للتشكيك في نزاهتهم وحسن سياستهم.

فشاكيه نظر إلى تصرفات الوالي نظرة لا تعرف إلا السوء في تصرفاته فيبديها، وإلى حسناته فيخفيها، وماذلك إلا لمأرب شخصي ألمحت إليه وهو أن "أبا موسى" حال بينه وبين الانخراط في وفد البصريين إلى "عمر" ليبشره بالفتح. وعلى أية حال فإن "أبا موسى" ظل في مصره يسوسه بعد أن آل أمر الأمة إلى "عثمان بن عفان" – رضي الله عنه – زهاء ثلاث سنوات إلى أن أمر الخليفة بعزله عن المصر، ويرجع السبب في ذلك إلى أن أهل "أيذج[1]" والأكراد[2] كفروا في السنة الثالثة من خلافة "عثمان" فنادى "أبو موسى" في الناس وحضهم على الجهاد، وذكر من فضل الماشي للجهاد ماذكر، فحمل قوم على دوابهم، وأجمعوا على أن يخرجوا رجالة لينالوا فضل الماشي.

---

(١) الذال معجمة مفتوحة، وجيم: كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان وهي أجل مدن هذه الكورة. [ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج١، ص١٣٩].

(٢) الأكراد: شعب قريب من البداوة في نزعته وأساليب معيشته يسكن المنطقة التي كان يطلق عليها كردستان وتتقاسمها في العصر الحاضر الجمهوريتان التركية والعراقية وإيران. [أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي: ج٣، ص١٥٦].

وقال آخرون: لا نعجل حتى ننظر مايصنع، فإن أشبه قوله فعله فعلنا كما يفعل فلما خرج أخرج ثقله على أربعين بغلاً، فعلقوا بعنان دابته، فقالوا: أحملنا على بعض هذه الفضول، وأرغب في المشى كما رغبتنا، فضربهم بسوط، وتركوا دابته (وأتوا "عثمان" فاستعفوه منه، وقالوا: ماكل مانعلم نحب أن تسألنا عنه فأبدلنا ماسواه، فقال: من تحبون؟ فقال: "غيلان بن خرشة"... فى كل أحد عوض من هذا العبد الذى أكل أرضنا.

أما منكم خسيس فترفعونه! أما منكم فقير فتجبرونه.

يامعشر قريش حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعرى هذه البلاد!)

فعزل "عثمان" "أبا موسى"[1].

جعل "ذو النورين" "عبد الله بن عامر" واليا على البصرة عوضاً عن "أبى موسى" مستجيباً لرغبات البصريين الذين أموا المدينة متذمرين من واليهم، ولقد فتحت هذه السياسة الحليمة التى سار بها الخليفة أهل أمصار دولته الأبواب على مصاريعها أمام الطامعين والطامحين على حد سواء ليحققوا مآرب شخصية لهم أو يغامروا بأنفسهم ويجتمع مصرهم مظهرين الرغبة فى الإصلاح والحرص على الدين مبطنين العداء المقيت لمعتنقيه، كما ظهر ذلك جلياً فى الثورة على الخليفة -رضوان الله عليه-.

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٩٩، ١٠٠. النويرى: نهاية الأرب ج١٩، ص٤٣٢، ٤٣٣، عبد الشافى عبد اللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموى ص٣١، ٣٢.

وعلى كل حال فإن الخليفة كان موفقاً حل التوفيق في اختياره لـ"عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف"، أحد أجداد النبي ﷺ وأم أبيه هي "أم حكيم البيضاء"، بنت "عبد المطلب" عمة النبي ﷺ وهو ابن خال "عثمان بن عفان"[1].

ولد في مكة بعد الهجرة بأربع سنين، وتوفي سنة ٥٧هـ وعمره أربع وخمسون سنة. ولما فتح الرسول ﷺ مكة جئ له بـ"عبد الله بن عامر" وهو طفل فقيل: هذا ابن السلمية. قال: نعم هذا ابننا وهو أشبهكم بنا، وهو مسقي. فكان "عبد الله" لا يمر في أرض ليس فيها ماء، إلا ويأمر بعض جنوده أن يحفر فيها فيجد عيناً من الماء الغزير وكان شريفاً سخياً كريماً كثير المال والولد[2] حتى عدوه من الأجواد الخمسة عند العرب[3]. روى حديثاً عن النبي "محمد" ﷺ وهو (من قتل دون ماله فهو شهيد[4]).

---

(١) خليفة بن خياط: التاريخ ١٦١، محمود نصر: أبطال الفتح الإسلامي ص١٠٣

(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى ج٥، ص٣٣، ٣٤، ابن كثير: البداية والنهاية ج٨، ص٨١

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج١، ص٢٩٣

(٤) أورده ابن منده من حديث حنظلة بن قيس. ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٥ ص٢٧٢، ٢٧٣، المقدسي: البدء والتاريخ ج٥، ص١١٠. عبد الشافي عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي ص٣٢

فلما وصل "ابن عامر" البصرة سنة ٢٩ للهجرة أحسن واليها استقباله، فيذكر المؤرخون أن "أبا موسى" كان قد أخبر أهل مصره حين علم بقدوم "عبد الله بن عامر" والياً عليها عوضاً عنه فقال لهم عن واليهم الجديد: (يقدم عليكم غلام كريم الجدات والعمات، يجمع له الجندان[1]).

والذى لا شك فيه أن "أبا موسى" لم يعزله الخليفة عن البصرة لنقيصة فيه تنحيه عن ولاية المسلمين، وآية ذلك هذا الكتاب الذى كتبه الخليفة إليه وفيه (إنى لم أعزلك عن عجز ولا خيانة، وإنى لأحفظ قيد استعمال رسول الله ﷺ و"أبى بكر"، و"عمر" إياك، وإنى لأعرف فضلك، وأنك من المهاجرين الأولين، ولكنى أردت أن أصل قرابة "عبد الله بن عامر" وقد أمرته أن يعطيك ثلاثين ألف درهم).

فرفض "أبو موسى" أخذ المال من "ابن عامر" الذى عرف من السابق قدره ومكانته فقال له: (يا "أبا موسى" ماأحد من بنى أخيك أعرف بفضلك منى، أنت أمير البلد إن أقمت والموصول إن رحلت. قال: جزاك الله يابن أخى خيراً[2]).

حمل الوالى ذو الأربعة وعشرين ربيعا راية الجهاد والتعمير فى آن واحد، ففتح "أفغانستان" و"خراسان" و"سجستان" و"كرمان"، ومازال يطارد "كسرى يزدجرد" حتى قتل. وقد امتدت فتوحه إلى ماوراء النهر، ففتح "ابن عامر" مادون النهر، نهر "جيحون" فلما بلغ أهل

(١) خليفة ابن خياط: التاريخ ص١٦١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٥، ص٣٣، ٣٤.

ماوراء النهر أمره طلبوا إليه أن يصالحهم ففعل، فيقال إنه عبر النهر حتى أتى موضعاً موضعاً. وقيل بل أتوه فصالحوه، وبعث من فخض ذلك، فأتته الدواب والوصفاء والحرير والثياب، ثم أحرم لله شكراً[1].

أما ماقام به "عبد الله بن عامر" من أعمال معمارية فى البصرة وغيرها أثناء ولايته عليها فإنها كثيرة تدل بلا ريب على جوده وكرمه وحبه إنفاق المال فى سبيل الله، فعزم على أن يصل بين العراق والحجاز بالقرى العامرة والمياه، لتذهب وحشة البادية من النفوس، ويتمهد طريق القوافل، فاحتفر ثلاثة أنهر؛ نهر البصرة الذى يخترقها، والنهر المعروف إلى ذلك العهد بنهر (أم عبد الله) وهى أمه ونهر الأبلة، ثم غرس بقرب (النباح) كثير من الحدائق، وأنبط عيوناً كثيرة على طريق المدينة، وبنى قصراً بقرب (قباء) ثم بنى حياضاً بعرفة وأجرى إليها الماء، فازداد لذلك حب الأمة له[2].

شهد عهد الوالى ثورة البصريين على عثمان حيث راح مروجوا الفتنة يعملون فى الباطن لتقليب أهل المصر على الخليفة، مختلقين لذلك أسباباً لا وجود لها إلا فى مخيلتهم مزينين للعامة الأخذ بها وكأنها من المسلمات التى يؤيدها الواقع، فخرج وفد البصريين الثائرين على عثمان

---

(1) البلاذرى: فتوح البلدان ج٣، ص٥٠٤. د. عبد الشافى: العالم الإسلامى فى العصر الأموى ص٣٣١. محمود نصير: أبطال الفتح الإسلامى ص١٠٧.

(2) البلاذرى: فتوح البلدان ج٢، ص٤٤١. محمود نصير: أبطال الفتح الإسلامى ص١٠٧.

وهم يوهمون الوالى أن خروجهم بجمعهم هذا من مصرهم لأداء فريضة الحج، فالتقوا ووفود الأمصار الأخرى ونزل الجميع على بعد ثلاثة فراسخ من المدينة، وراح البصريون ينادون "بطلحة" خليفة على المسلمين بعد عزل "عثمان بن عفان" عن الخلافة -رضوان الله عليهم أجمعين-[1].

ولسنا هنا بصدد الحديث عن ثورة "عثمان" فذلك أوردناه مفصلاً فى كتابنا "نور اليقين فى تاريخ الراشدين" الجزء الأول، إلا أن الذى يعيننا هنا التأكيد على حقيقتين هما على جانب كبير من الأهمية.

أولهما: أن واليهم "عبد الله بن عامر" ساس أهل البصرة سياسة لا غبار عليها ولم يرتكب مامن شأنه جعل أهل المصر يتذمرون من ولايته ويجأرون بشكايته إلى عثمان.

ثانيهما: أن كون الوالى تربطه "بعثمان بن عفان" وشائج القربة فذلك لا يشين ولايته، لأنه فى ذات الوقت تربطه بالنبى ﷺ صلات قربى[2] كما ألمحنا إلى ذلك فيما سبق ولإن قال قائل إن "عثمان" ولى "عبد الله بن عامر" مع صغر سنه ووجود الأكفاء من الرجال الأسن منه، وهذا يعد تغليب لوشائج القربى على مصلحة الأمة، قلنا له إن ذلك يكون لو وجدنا الوالى يقصر فى ميادين الجهاد أو الإعمار أو

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٤، ص٣٤٠. النويرى: نهاية الأرب ج١٩، ص٤٧٩، ٤٨٠. ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب ج١، ص٤٠.

(٢) عبد الشافى عبد اللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموى ص٣٣.

يجاهر بنصرة الظالمين على ظالمهم وعدم العناية بإقامة الحدود وإيصال الحقوق لكن شيئاً من ذلك لم يثبت، فثورة البصريين على "عثمان" لم تكن بسبب واليهم وإنما كانت بسبب الكتب التى نحلها المغرضون على ألسنة أهل الأمصار الأخرى طالبين فيها النجدة والمؤازرة من أهل المصر المرسل إليه الكتاب، ومن ثم وقع البصريون فى الشراك وأسهموا مع من أسهموا فى سفك دماء الخليفة.

ولقد سعدت البصرة بولاية "ابن عامر" لها مرة أخرى فى ظروف متباينة عن تلك التى جاء المصر فيها لأول مرة، يتبين لنا ذلك جلياً عند الحديث عن ولاة البصرة بعد مقتل الإمام "على بن أبى طالب" -كرم الله وجهه-.

ولما روعت الدولة الإسلامية بمقتل خليفتها "عثمان بن عفان" على يد الثائرين بالمدينة تأثرت بمقتله أمصار الدولة الإسلامية وكانت البصرة أكثر هذه الأمصار تأثراً، فإذا كانت قد شاركت أمصار الدولة فى عزل ولاتها من قبل "عثمان" فإنها تفردت بكون أرضها مسرحاً لمعركة "الجمل" تلك المعركة التى أصابت العالم الإسلامى بجراحات على جرحه الدامى بقتل خليفته، حيث كانت إحدى النتائج المترتبة على مقتل الخليفة.

ويلوح لنا أن والى البصرة "عبد الله بن عامر" أراد أن يرد الكيل كيلين والصاع صاعين "لعلى بن أبى طالب" -كرم الله وجهه- عندما أمر بعزله فقال المؤرخون إنه ماكاد يصل إلى مكة حاملاً معه المال الوفير حتى أسهم فى تجهيز الرجال الذين آزروا زعماء "الجمل" فى

المطالبة بوَتر "عثمان[1]". وذلك في رأينا يعد -مأخذاً على "عبد الله بن عامر" الذي أنسته حماسة الشباب الأناة فجعلته القرابة "لعثمان" يسير في طريق الثورة على خليفة المسلمين دون مراعاة للظروف الدقيقة التي تمر به الدولة الإسلامية، ولا سيما حاضرتها المدينة.

فتجاهل ماذكره "علي" لزعماء الثائرين من احتياجه لبعض الوقت حتى يتمكن من إقامة الحد على أولئك الذين ارتكبوا الجريمة الشنعاء في حق "ذي النورين" -رضوان الله عليه- على أية حال، فإن من نافلة القول الإشارة إلى أن "عليا" دقق ماوسعه التدقيق وبحث بحثاً أجهد فيه النفس من أجل اختيار رجال أكفاء ليشخصهم إلى أمصار الدولة الإسلامية، ليتولوا أمرها عوضاً عن عمال "عثمان" لا لنقيصة في المعزولين بقدر ماهي رغبة في درء أبواب الفتن أمام مروجيها من رعايا أقاليم الدولة. فوصل "عثمان بن حنيف" إلى عمله بالبصرة والرجل صحابي شهد أحدا ومابعدها، ولاهُ "عمر" السواد قبل أن يوليه "علي" المصر فهو إذاً على دراية بإدارة دفة الأمور في الأقاليم.

بيد أنه ماكاد يستوي على أريكة الحكم في المصر حتى فاجأه الثائرون بأعدادهم الغفيرة فأحاطوه ببلده ليكون من أمر فصول معركة الجمل على أرض البصرة، تلك التي انتهت بانتصار "علي[2]".

---

(١) البلخي: البدء والتاريخ ج٥، ص٢١١، ابن كثير البداية والنهاية ج٧، ص٢٣٠.

(٢) خليفة بن خياط: التاريخ ص١٨١. البلخي: البدء والتاريخ ج٥، ص٢١١،٢١٢. ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٢٢١،٢٦٠. عبد الشافي عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي ص٦٧.

ولقد فصلت الحديث عنها في كتابنا "نور اليقين في تاريخ الراشدين" ومن الطبيعي إذاً ألا تحفظ لنا المصادر الأصلية أشياء عن جهود "عثمان بن حنيف" الإدارية والعمارية في البصرة لتتبين منها معالم سياسته الداخلية لرعية مصره؛ حيث غطت أخبار معركة الجمل على ماعداها من الأخبار في فترة حكم "عثمان بن حنيف" ولاية البصرة.

دخل الإمام "علي -كرم الله وجهه- البصرة بعد واقعة الجمل فدان له البصريون بالطاعة وأعلنوا انضمامهم للجماعة. وجاءه وجوه القوم مسلمين، فحدث الإمام "علي" الأحنف بن قيس" حديثاً فيه مافيه من رغبة الاستفادة بقوة قبلية "الأحنف" في البصرة لتندمل الجروح بسرعة، ويأمن أهل المصر على أنفسهم إذا ماتأكد "علي" من ولاء وجهاء القوم له فقال له "علي": (تربعت -يعني تربصت- فقال: ماكنت أراني إلا قد أحسنت، وبأمرك كان ماكان ياأمير المؤمنين، فارفق فإن طريقك الذي سلكت بعيد، وأنت إلى غد أحوج منك أمس فاعرف إحساني، واستبق مودتي لغد ولا تقل مثل هذا، فإني لم أزل لك ناصحا)[1] ومثل هذا الحرص نجده حين التقى أمير المؤمنين "عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي وكان من المبايعين، فقال له بعد مابايعه:

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٢٤٥/٧. والأحنف بن قيس: يكنى أبا بحر كان ثقة كبير القدر مفوها عاقلا لما كان حرفا مجدوعا حليما مساعدا مات سنة ٦٧هـ وقيل ٧٢هـ. ابن سعد: الطبقات ٦٤/٧، ٦٨. ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٩١/١. وتربعت: اطمأنت. انظر: ابن منظور: اللسان مادة (ربع).

فقه أهل البصرة

(أين المريض؟ -يعني إياه- فقال: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين وأنه على مسرتك لحريص. فقال: أمشي أمامي فمضى إليه فعاده واعتذر إليه أبو بكرة فعذره وعرض عليه البصرة فامتنع وقال: رجل من أهلك يسكن إليه الناس وأشار عليه بابن عباس فولاه على البصرة[1].

كان أبو بكرة مخلصاً في نصيحته للإمام علي؛ فإن العصبية القبلية في رأينا بالبصرة كانت تحكم معظم الأمور في المصر فلو آل أمرها لثقيفي لاعترضت تميم والعكس وإشارته بابن عباس وهو هاشمي في وقت أسخنت فيه جراح الجمل وحالات البصرة، فلابد والحالة هذه على الإمام أن يأتيهم بوال له [illegible] رأب الصدع وجمع الشمل ومن لذلك إن لم يكن له "ابن عمه" [illegible] الصحابة له بالعلم فلقبوه بحر الأمة وعلى [illegible] الإسلامية في بواكرها بالمدينة وهي مفتي الصحابة [illegible] المسائل، أعجب به "عمر بن الخطاب" أشد إعجاب [illegible] عباس" لقد هممت أن استعملك على ولاية [illegible] خشيتي استحلالك الفيء على التأويل[2].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٢٤٥. عبد الرحمن بن أبي بكرة [illegible] ولد بالبصرة سنة ١٤هـ فأطعم أبوه أهل البصرة جزورا [illegible] وله أحاديث ورواية ومات سنة ٩٦هـ. ابن سعد: الطبقات ٧/[illegible]، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦/١٤٨.

(٢) وهذا يعني أن ابن عباس يتأول في فهمه لقول الله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى﴾ [illegible] ثم يكون ما أخذه من بيت المال لو صح من الخمس المذكور في الآية [illegible]

والذى يدلنا على مكانة "ابن عباس" بين العلماء وطلاب العلم ماروى أن "معاوية" خرج حاجاً وخرج "ابن عباس" حاجاً فكان لمعاوية موكب ولابن عباس ممن يطلب العلم موكب. وقالت عائشة: هو أعلم الناس بالحج[1].

وعلى كل حال فإن "على بن أبى طالب" لما ولى "عبد الله بن عباس" البصرة سنة ست وثلاثين للهجرة جعل معه "زياد بن أبيه" على الخراج وبيت المال وأمر "ابن عباس" أن يسمع من "زياد" الذى كان معتزلاً[2].

ومن هذا يتبين لنا أن "علياً" قد أيد "عمر بن الخطاب" فى الاستعانة "بزياد" بالبصرة لمعاونة ولاتها الأمر الذى لا مراء أكسب "زياداً" خبرة عظيمة حين آل إليه أمر المصر كما سنبينه فيما سيأتى.

ماكاد البصريون يتنفسون الصعداء بعد واقعة الجمل حتى رماهم معاوية بمبعوثه "عبد الله بن الحضرمى" سنة ثمان وثلاثين ليؤلبهم على أمير المؤمنين "على بن أبى طالب" وعامله على المصر فوصل الحضرمى البصرة "وابن عباس" بالكوفة بعد ماترك عليها "زياد بن أبيه".

نزل "الحضرمى" فى البصرة وهو يضع نصب عينيه وصية معاوية له وفيها: (أنزل في مضر وتودد الأزد فإنهم كلهم معك، وادع ربيعة فلن ينحرف عنك أحد سواهم؛ لأنهم كلهم ترابية[3] فأحذرهم.

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٤، ص٣٥٤. ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٥، ص٢٧٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج٧، ص٢٤٥.

(٣) يطلق الاسم على شيعة على حيث كناه رسول الله "أبا تراب" فى غزوة العشيرة فى قول بعضهم: (لما مر به نائماً تسفى عليه الريح التراب فقال:

نزل الحضرمى فى بنى تميم فأتاه العثمانية مسلمين عليه وحضره غيرهم فخطبهم وقال: إن "عثمان" إمامكم إمام الهدى قتل مظلوماً قتله "على" فطالبتم بدمه فجزاكم الله خيراً.

فقام "الضحاك بين قيس الهلالى(١)" وكان على شرطة ابن عباس فقال: قبح الله ماجئتنا به وماتدعونا إليه أتيتنا والله بمثل ماأتانا به "طلحة" "والزبير" أتيانا وقد بايعنا "عليا" واستقامت أمورنا فحملانا على الفرقة حتى ضرب بعضنا بعضا ونحن الآن مجتمعون على بيعته وقد أقال العثرة، وعفا عن المسيء. أفتأمرنا أن ننتضى أسيافنا ويضرب بعضنا بعضا ليكون "معاوية" أميراً؟ والله ليوم من أيام "على" خير من "معاوية" وآل معاوية فقام "عبد الله بن خازم السلمى" فقال "للضحاك": أسكت فلست بأهل أن تتكلم ثم أقبل على "ابن الحضرمى" فقال: نحن أنصارك ويدك والقول قولك فاقرأ كتابك، فأخرج كتاب معاوية إليهم يذكرهم فيه آثار "عثمان" فيهم وحبه العافية وسده ثغورهم ويذكر قتله ويدعوهم إلى الطلب بدمه ويضمن أنه يعمل فيهم بالسنة ويعطيهم عطائين فى السنة(٢).

قم ياأبا تراب) وقيل إن النبى وجده فى المسجد نائماً وقد ترب جنبه فجعل يمسح التراب من جنبه ويقول قم أبا تراب). المقريزى: إمتاع الأسماع ج١، ص٦٨،٦٩.

(١) أبو أمية الفهرى القرشى له أحاديث عن النبى شهد فتح دمشق وسكنها قتل سنة أربعة وستين للهجرة فى موقعة مرج راهط على يد "مروان" الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٣، ص٢٤١.

(٢) ابن الأثير. الكامل ج٣، ص٣٦٠،٣٦١. الذهبى: تاريخ الإسلام ص٣٥٥.

حاول "زياد" التغلب على الفتنة التي أوجدها في البصرة "ابن الحضرمي" فقد أصبح البصريون مابين ناقض لبيعة "علي" وجالس في بيته لا يريد الزج بنفسه وبقومه في فتنة جديدة لا يعلم عواقبها إلا الله، وفريق ثالث تمسك ببيعة الإمام الذي ماأن علم بفتنة "الحضرمي" في البصرة حتى أرسل "أعين بن ضبيعة المجاشعي ثم التميمي فدفع حياته ثمناً لتلك الفتنة التي استمرت نارها تأكل البصريين. فلما نما للإمام مقتل مبعوثه أرسل "جارية بن قدامة السعدي" التميمي وبعث معه خمسين رجلاً من تميم وقيل خمسمائة رجل وكتب إلى "زياد" يأمره بمعونته والإشارة عليه.

فقدم جارية البصرة فحذره "زياد" ماأصاب أعين فقام "جارية في الأزد وجزاهم خيراً وقال: عرفتم الحق إذ جهله غيركم. وقرأ كتاب "علي" إلى أهل البصرة يوبخهم ويتهددهم ويعنفهم ويتوعدهم بالمسير إليهم والإيقاع بهم وقعة تكون وقعة الجمل عندها هباء فقال: "صبرة بن شيمان" سمعاً لأمير المؤمنين وطاعة نحن حرب لمن حاربه وسلم لمن سالمه. وصار جارية إلى قومه فقرأ عليهم كتاب "علي" -رضي الله عنه- ووعدهم فأجابه أكثرهم.

فسار إلى "ابن الحضرمي" ومعه الأزد ومن تبعه من قومه وعلى خيل "ابن الحضرمي عبد الله بن خازم السلمي "فاقتتلوا ساعة وأقبل شريك بن الأعور فصار مع جارية فانهزم "ابن الحضرمي" حيث أحرق جارية القصر بمن فيه فهلك "ابن الحضرمي" وسبعون رجلاً منهم معه وعاد "زياد" إلى القصر[1].

---

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١١٠-١١٣. النويري: نهاية الأرب ج٢٠، ص٢٠١.

وهكذا يتبين لنا أن "زياداً" تمكن بحسن تصرف تجنيب البصرة الوقوع تحت سيطرة معاوية ببقائه فى المصر محافظاً على بيت المال ومحاولاً حمل وجهاء البلد لا ينضمون إلى "ابن الحضرمى" فقدم بذلك خدمة جليلة لخليفته ثم أميره.

ظل "زياد بن أبيه" يشد أزر ابن عباس فى البصرة حتى كان ماكان من أمر الثورة فى بلاد فارس سنة تسع وثلاثين للهجرة فقد أخرجوا عامل "على" سهل بن حنيف ومنعوا الخراج فاستشار "على" الناس فقال له "جارية بن قدامة" ألا أدلك ياأمير المؤمنين على رجل صلب الرأى عالم بالسياسة كاف لما ولى؟ قال: من هو؟ قال: زياد فأمر "على" ابن عباس أن يولى زياداً فسيره إليها فى جمع كثير فوطئ بهم أهل فارس[1] فجعله الإمام والياً عليهم.

وذكر "ابن كثير" أن "ابن عباس" شارك "جارية" بن قدامة فى رأيه للإمام "على" فى تولية "زياد" أمر إخماد ثورة فارس والولاية عليها. وتكاد النفس تسكن للرأى الثانى لما فيه من مطابقة لواقع عاشه "ابن عباس" مع "زياد" حيث استعان به منذ جاء للبصرة وسير أمورها فوجده على دراية كافية من الأمور تؤهله لما أشار به[2].

آل أمر بيت المال بالبصرة إلى "أبى الأسود الدؤلى" بعد ترك "زياد بن أبيه" له ولقد اختلف الرواة حول من أسند أمر بيت المال إلى

(١) ابن الأثير: الكامل ج٣،ص٣٨١-٣٨٢. محمد حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموى ص١٤١.

(٢) البداية والنهاية ج٧، ص٣٢٠.

"الدؤلي". فرواية تقول إن "عليا" هو الذي ولاه وأخرى تقول إن "ابن عباس" هو الذي عهد إليه بأمر معاونته ثم ولاية المصر[1].

والذي يبدو لي أن الرواية الأولى مرجوحة والثانية راجحة حيث إن "عليا" حين عهد "لابن عباس" بأمر البصرة رأى فيه الوزير والنصير وابن العم الذي سيشد من أزره في وقت أحاطت به المحن فاعتمد عليه وهو العالم النحرير ومن ثم فإنه كان مفوضاً في معالجة شئون مصره بالشكل الذي يرتئيه صائباً وعليه فيكون هو الذي ولى "أبا الأسود الدؤلي" في المصر ماولي

يؤيد ماذهبنا إليه ماذكره "ابن أعثم" أن عليا بعث إلى "عبد الله بن عباس -وهو عامله على البصرة- يأمره أن يخرج إلى الموسم فيقيم الحج للناس. فدعا "عبد الله بن عباس" بأبي الأسود الدؤلي "فاستخلفه على صلاة البصرة ودعا "بزياد بن أبيه" فجعله على الخراج وتجهز "عبد الله بن عباس" وخرج إلى الموسم[2].

عهد "ابن عباس" إلى "زياد بن أبيه" بأمر خراج البصرة بالإضافة إلى عمله في فارس وجعل "أبا الأسود" على أمر الصلاة بالمصر فشجر بين الرجلين خلاف أثناء تغيب والي البصرة "عبد الله ابن عباس" -رضي الله عنهما-.

ة بن خياط: التاريخ ص٢٠٠-٢٠٢. إبراهيم شعوط: أباطيل

.٢٣

.٧٢

فلما عاد "ابن عباس" من مكة التقاه "زياد يشكي إليه مافعله به "أبو الأسود" مدة غيابه وأقرأه الشعر الذي هجاه به[1]، مال "عبد الله بن عباس" إلى زياد فقال "لأبي الأسود": (لو كنت من البهائم كنت جملاً، ولو كنت راعياً مابلغت من المرعى، ولا أحسنت مهنه في المشي). أوغرت مقولة "ابن عباس" صدر "أبي الأسود" فوشى به لدى أمير المؤمنين -كرم الله وجهه- فكتب إلى "علي" كتاباً اتهم فيه "ابن عباس" بخيانة الأمانة التي استأمنه عليها أمير المؤمنين.

وكذب الإمام -كرم الله وجهه- أول رسالة أبي الأسود العناية قصد التثبت مما جاء فيها أو نفيه، وهو في هذا يقوم أحسن قيام بمهام منصبه الذي يتولاه فخيانة الأمانة من قبل أحد ولاته على الأقاليم لو صح يكون -كرم الله وجهه- المسئول الأول والأخير عن ذلك كله؛ لأنه هو الذي ولاه، ومن ثم أشخص الرسل من لدنه لحمل الرسائل "لابن عباس"، الذي بادله الخطاب بالرد حتى تلبدت سماء علاقات الرجلين بالغيوم؛ تلك التي حجبت الحقيقة عن "علي" إلى حين، وحملت "ابن عباس" -رضي الله عنه- يطلب الاستعفاء ويحقق لأبي الأسود ماكان يتمناه لولايه من الوقوع في الشراك الذي نصبه له[2]

---

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ج٤، ص٧٢،ص٧٣.

(٢) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٤/٧٢،٧٣،٧٥. الطبري: تاريخ الأمم ٥/١٤١. النويري: نهاية الأرب ٢٠/٢٠٣،٢٠٤. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/٣٥٥.

ولقد زعم بعض الرواة أن "عبد الله بن عباس" لما استعفى إمامه من حكم البصرة خرج منها وقد أخذ أموال بيت المال معه إلى مكة فأرادت جماعات البصريين منعه من ذلك فتصدى لهم بنو هلال لما بينهم وبين "عبد الله" من صلة الخئولة، ونشبت بسبب ذلك معارك أريقت فيها دماء البصريين. وبالرغم من ذلك فقد استطاع "ابن عباس" الخروج من البصرة بالمال ومعه عشرون رجلاً[1] فوصل مكة وأقام بها في بحبوحة من العيش حتى أنهم قالوا ابتاع ثلاث جوارى بثلاثة آلاف دينار[2].

وتذهب بعض الروايات إلى أن "ابن عباس" ظل في البصرة حتى استشهد الإمام "على" -كرم الله وجهه- ثم حضر الصلح بين "الحسن" و"معاوية" -رضوا الله عليهم أجمعين- بيد أن "الطبرى" أبى الأخذ بهذه الرواية مرجحاً أن "ابن عباس" وصل مكة وأقام بها قبل مقتل الإمام "على" -كرم الله وجهه- وأن الذى حضر الصلح بين "الحسن" و"معاوية" إنما هو "عبد الله بن عباس[3]".

ولقد انبرى غير واحد من الباحثين المحدثين لمناقشة هذه القضية فمنهم من أكد ثبوت التهمة على "ابن عباس" ومنهم من نفاها عنه.

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٤٥. النويرى: نهاية الأرب ج٢، ص٢٠٤، ٢٠٥.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٤، ص٣٥٧.

(٣) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٤٣.

فمن الأول ماذكره أحد الباحثين من أن "ابن عباس" ولى ظهره "لعلى ابن أبى طالب" وأخذ مافى بيت مال المسلمين من أموال حين وجد نجم "معاوية" فى صعود بينما نجم أميره إلى أفول، لما وضعت حرب صفين أوزارها دون حسم للصراع بين "على" و"معاوية" وكان ماكان من أمر الخوارج والتحكيم وازدياد ضعف معسكر أمير المؤمنين ومن ثم فكر "عبد الله بن عباس" فى نفسه وفى دنياه فأخذ أموال المسلمين من بيت مال المصر[1].

ومن الثانى ماقاله أحد الباحثين وهو يبرهن على نفى التهمة المنسوبة إلى "ابن عباس" أن الطبرى أورد أكثر من رواية فى هذه القضية تدل على وجود خلاف بين الرواة حول ماإذا كان "عبد الله بن عباس" قد أقام بالبصرة حتى صالح "الحسن" "معاوية" أم أنه عاش فى مكة لما ترك البصرة ولما يقتل أمير المؤمنين "على" بعد.

فهذا يدل على عدم ثبوت التهمة فى رأى الباحث الكبير الذى انبرى للرد على صاحب الرأى الأول فقال: (إننا إذا قرأنا مايكتبه خصوم الإسلام من اليهود والمسيحين والشيوعين نقرؤه بحذر .. لأن الخصومة الدينية والتأثر بالعاطفة ضد الخصوم يوحى دائماً بالانحراف عن الحقيقة إلى إرضاء العاطفة. وهذا الحذر اصل من أصول البحث التاريخى.

---

(١) طه حسين: الفتنة الكبرى ص١٢١،ص١٢٢

أما إذا كتب المسلمون عن الإسلام فإن نكتفي بأن الكاتب مسلم وقد يكون هذا أشد خطراً على الإسلام من كل خصومة ومتى ثبت الشك في عقيدة المسلم وسبقت له جرأة على الأصول المقررة في الإسلام فإننا يجب أن نضعه فيما يسمى "القائمة السوداء" ونقرأ ماكتب بكل دقة وحذر وخاصة إذا كان أديباً بارعاً في أسلوبه ساحراً في عبارته فإنه بهذا السحر وتلك الجاذبية يجر القارئ إلى الاقتناع بما يكتب ولا سيما إذا كان القارئ غير مطلع على الموضوع الذي يقرؤه.

ونحن هنا أمام التهمة الموجهة إلى "ابن عباس" نجد الكاتب قد ترك أدلة البراءة كلها سواء منها الصريحة وغير الصريحة -واعتمد اعتماداً كلياً على أدلة الاتهام مع ضعفها وفساد أسانيدها فمثل هذا الكاتب لابد أن يكون قد دخل القضية وضميره مريض ونواياه سيئة[1].

فإذا أجدنا النظر فيما حوته المصادر القديمة وسطرته أقلام الباحثين المحدثين عن هذه القضية وجدنا النفس لا تسكن لبعض ماورد فيها وفي ذات الوقت ترحب بالبعض الآخر ذلك أن ماجاء في الطبري "وابن الأثير" من روايات لا يعد دليلاً يثبت التهمة على الرجل حيث إن مؤرخين كبيرين منهما من عاش في أرض المصر الذي كان مسرحاً لهذا الحدث المزعوم ومنهما من عاش في مصر قريب منه هما "خليفة بن خياط" وابن أعثم الكوفي لم يذكرا شيئاً عن سلب "ابن عباس" الأموال من بيت المسلمين بالرغم من ذكرهما عزل "علي" لعامله "ابن عباس" عن البصرة وتفرد الثاني بمعلومات خلت منها روايات الطبري مثل تلك

---

(١) إبراهيم شعوط: أباطيل ص٢٣٢، ص٢٣٣، ٢٣٧، ص٢٣٨، ص٢٤٠.

التي ذكرت السبب الذى جعل "ابن عباس" يوجه مايوجه من ألفاظ إلى أبي الأسود الدؤلي ومثل ذلك ماجاء على لسان أحد الباحثين المحدثين الذين أيدوا ثبوت التهمة على ابن عباس من أن الرجل آثر دنياه على أخراه فإن هذا لا يستقيم مع ماأجمع عليه الصحابة الأجلاء والتابعون من الثناء على عبد الله بن عباس لما له من مكانة علمية مرموقة ورجل لقبه الصالحون بحبر الأمة وترجمان القرآن لا مراء فى أنه ينأى بنفسه عن أمر فيه شبهة بين الحلال والحرام فما بالنا بأمر كهذا فيه اتهام له بالسرقة والاغتصاب.

ومهما التمس الكاتب من أدلة تجعل رأيه مقبولاً فإننا نجدها أدلة أوهن من بيت العنكبوت ذلك أن "ابن عباس" خرج لموازرة "على" وهو يعلم أنه يواجه مناوئين قويين؛ أصحاب الجمل الذين عسكروا عند البصرة و"معاوية" المعتصم بالشام فخروجه إذا لو كان من محبى الدنيا لكان مقامرة أو مغامرة لكنه خرج وهو على يقين من علم تعلمه فعلمه أن الآخرة هى دار القرار فخرج مع ابن عمه لعل الله يصلح به بين المتخاصمين.

ومن ثم فإنى أربأ عما صوره الكاتب لقرائه.

كما أني لا أوافق صاحب الرأى الثانى على جعله رواية الطبرى التى تذكر أن "ابن عباس" أقام بالبصرة حتى صالح "الحسن" "معاوية" دليلاً على نفى التهمة عن "ابن عباس" -رضوان الله عليهما-؛ لأن الطبرى حين ذكرها بدأها بقوله: زعم أبو عبيدة و لم أسمعه منه وذيلها

بما قاله: إن الذى شهد الصلح بين "الحسن" و"معاوية" عبد الله بن عباس[1].

فهذا يدل على أنه غير مسلم بها ونحن نؤيد ماذهب إليه صاحب الرأى الثانى من نفى التهمة عن "ابن عباس" لأن هذا ينسجم تمام الانسجام مع تاريخ الرجل العلمى والسياسى.

وعليه فإننا نرجح أن عزل "على" له لم يكن بسبب اختلاس أموال المسلمين من بيت مالهم بالبصرة بل كان بسبب اختلاف فى وجهات النظر حول موقف "على" من كتاب "أبى الأسود" إليه فإن مخاطبة أمير المؤمنين لابن عمه بأكثر من خطاب فى هذا الوقت الدقيق لسؤاله عن مقدار ماجمع من مال ووجوه الإنفاق التى أنفقه فيها اعتبره "ابن عباس" شكاً من أمير المؤمنين فى أمانته وحسن أدائه فى حين أن "عليا" كان يود أن يتسع صدر ابن العم له فيجيبه إلى ماطلب الإجابة عليه بوضوح وتوضيح كاملين ليقيم الحجة بذلك على ماكتب إليه وهو "أبو الأسود الدؤلى" متهما "ابن عباس" بالخيانة لكن "ابن عباس" -رضوان الله عليه- طلب من "على" استعفاءه من ولاية المصر فكان ماكان من أمر إقامته بمكة.

ومما يدعم ـ حيحنا هذا ماذكره "ابن أعثم" عن موقف "على" بعد ماترك "ابن عباس" العمل له أن "على" كتب كتاباً له يعذله فيه على عصبه ويكذب من سعى فيه إليه ويدعوه إلى عمله[2].

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٤٣.

(2) الفتوح ج٤، ص٧٥.

الفصل الثانى

ولاية البصرة

في العهد السفيانى

ولاية البصرة في العهد السفياني

ترتب على مقتل الإمام "علي" -كرم الله وجهه- وأيلولة الأمر إلى "الحسن" ثم تنازله عنه "لمعاوية" فيما يعرف بعام الجماعة الأول أن عاشت البصرة لبعض الوقت فترة من الفوضى هيأت فيها الأحواء "لحمران بن أبان" للاستواء على أريكة الحكم بالمصر.

ولم يكن الرجل ممن عاشوا بالبصرة منذ التمصير بل كان من المنفين إليها من حاضرة الدولة الإسلامية بأمر من "عثمان بن عفان" - رضي الله عنه وسبب ذلك أنه وجد عليه[1]؛ لأنه كان وجهه للمسائلة عما رفع على "الوليد بن عقبة بن أبي معيط" فارتشى وكذب وكذب ماقيل فيه ثم تيقن "عثمان" صحة ذلك فوجد عليه وقال: لا يساكنني أبداً. وخيره بلداً يسكنه غير المدينة فاختار البصرة وسأله أن يقطعه بها دار وذكر ذرعاً كثيراً استكثره "عثمان" وقال "لابن عامر" أعطه دار مثل دورك[2].

وعلى الرغم من أن والي المصر عثماني فإن معاوية لم يرتضيه والي له على البصرة إما لعدم ثقته بخبرته وحسن سياسته وإما أن يكون قصد إلى جعل والي المصر من أحد صنائعه الذين سيروا إلى الأمصار بعد عام الجماعة الأول ليضمن الولاء له والتفاني في تنفيذ سياسته في هذا الوقت الدقيق الذي يبني فيه دولته وهذا مانميل إليه.

---

(١) اتهمه أهل مصره بشرب الخمر ورفعوا ذلك للخليفة عثمان رضي الله عنه-

(٢) ياقوت: معجم البلدان ج١، ص٤٣٤، ٤٣٥.

وعلى كل حال فإن معاوية -رضوان الله عليه- اختار "بسر بن أرطأة" والياً على البصرة فأشخصه إليها في رجب سنة اثنتين وأربعين للهجرة[1]. والوالي قيل إنه لم يدرك رسول الله ﷺ قبل وفاته وقيل إنه رآه وروى عنه أحاديث و"لمعاوية" -رضوان الله عليه- تجارب مع الرجل خبره بها فوجده صلب العود يتعامل مع الصعوبات التي تواجهه بقوة حتى يتغلب عليها أن له بعض المهام الحربية قبل أن يوليه البصرة فأداها بشكل راق "معاوية" ومن ثم ولاه ماولاه[2].

لما وصل الوالي البصرة رقى مراقي المنبر بمسجدها الجامع فخطب فشتم "عليا" -عليه السلام- ثم قال: (نشدت الله رجلاً علم أني صادق إلا صدقني أو كاذب إلا كذبني.

فقال "أبو بكرة": اللهم إنا لا نعلمك إلا كاذباً فأمر به فخنق فقام "أبو لؤلؤة الضبي" فرمى بنفسه عليه فمنعه فاقطعه "أبو بكرة" بعد ذلك مائة جريب[3]. وقيل "لأبي بكرة" ماأردت إلى ماصنعت قال أيناشدنا با لله ثم لا نصدقه[4].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٦٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٧، ص٢٨٧، ابن حجر: الإصابة ج١، ص١٥٣

(٣) مقياس لمساحة الأرض كان يستخدم منذ العصر الإسلامي الأول ومساحة الجريب قطعة من الأرض طولها ٦٠ ذراعاً في ٦٠، بذراع الملك (طول ذراع الملك ٥٧,٧٧سم) أي أن مساحة الجريب هي ١٢٠٠ متر بمعنى أن الفدان المصري يساوي ٣,٥ جريب. أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي ج١، ص٥٩٦.

(٤) ابن اعثم: الفتوح ج٤، ص١٦٨،ص١٦٩. ابن الأثير: الكامل ج٣ ص٤١٤. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ج٤، ص٨٩.

لم يسترح "معاوية" -رضوان الله عليه- بعد أن دانت البصرة وغيرها من الأمصار له بالطاعة إذ ماتزال أمامه عقبة كأداء لابد له من التغلب عليها حتى تصفوا الأحواء له وأعنى بها "زياد بن أبيه" الذى أخلص إخلاصاً شديداً للإمام "على بن أبى طالب" -كرم الله وجهه- فأنجز له المهام الصعبة فى تفان مسبوق بالدهاء وحسن الأداء فأن "الحسن" -رضوان الله عليه- لما صالح "معاوية" كان "زياد" بفارس متحصن بها يرفض الانضمام لصلح "الحسن" والخضوع "لمعاوية". رأى "معاوية" أنه لا سبيل يسلكه للضغط على زياد بعد ماتبادل معه الرسائل سوى أن يأمر واليه على البصرة "ابن أرطأة" بالقبض على بنى زياد بالبصرة فكتب "بسر" إلى "زياد" يقول له: (لتقدمن على أمير المؤمنين أ. لأقتلن بيتك فكتب اليه "زياد": لست بارحاً مكانى حتى يحكم الله بينى وبين صاحبك وإن قتلت ولدى فالمصير إلى الله تعالى ومن وراءنا الحساب (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون).

فأراد "بسر" قتلهم وأتاه "أبو بكرة" فقال له: قد أخذت ولد أخى بلا ذنب وقد صالح "الحسن" "معاوية" على ماأصاب أصحاب "على" -رضى الله عنه- حيث كانوا فليس عليهم ولا على أبيهم سبيل وأجله أياماً حتى يأتى بكتاب "معاوية" فركب "أبو بكرة" إلى "معاوية" وهو بالكوفة فلما أتاه قال له: يامعاوية إن الناس لم يعطوك بيعتهم على قتل الأطفال قال: وماذاك ياأبا بكرة؟ قال: "بسر" يريد قتل بنى أخى "زياد" فكتب إليه بتخليتهم فأخذ كتابه وعاد موصل البصرة يوم الميعاد وقد أخرج "بسر" أولاد "زياد" مع طلوع الشمس ينتظرون "أبا بكرة"

فجاءهم بكتاب من عند "معاوية" يأمر فيه واليه بتخلية سبيل أولاد "زياد[1]".

مما تقدم نرى كيف أن "معاوية" -رضوان الله عليه- أراد أن يجعل له يداً على "أبي بكرة" ليتخذ منه نصيراً في البصرة من ناحية ومن ناحية أخرى سكن أهل المصر بحلمه حين رفع عن أولاد صغار القتل على يد واليه.

ويبدو لي أن "معاوية" لم يرتاح إلى سياسة "بسر بن أبي أرطأة" في المصر فعجل بعزله بعد مضي زهاء ستة أشهر على ولايته لها[2] وأعاد إليها "عبد الله بن عامر" للمرة الثانية.

بيد أن غير واحد من المؤرخين ذكر أن "معاوية" ولاه المصر استجابة لرغبة "ابن عامر" الذي قال له: (إن لي بالبصرة ودائع وأموالاً فإن لم تولني عليها ذهبت) فولاه البصرة فقدمها في آخر سنة إحدى وأربعين وجعل إليه "خرسان وسجستان"[3].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٦٨، ١٦٩. النويري: نهاية الأرب ج٢٠، ص١٩١، ص١٩٢.

(٢) النويري: نهاية الأرب ج٢٠، ص٢٩٢. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ج٤، ص٨٩.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٧٠. النويري: نهاية الأرب ج٢٠، ص٢٩٢.

ولعل الذى ذكرناه يوضح لنا كيف أن العصبية القبلية تؤثر تأثيراً بالغاً فى مجريات الأحداث بالبصرة فلا يستطيع باحث من الباحثين أن يقول أن البصرة كانت عثمانيـة أو كـانت شيعية فقد كـانوا بـالأمس القريب يآزرون الإمام "على" قبل معركـة الجمل فكـان منهـم الناقض لبيعته عند وقوع معركة الجمل على أرض المصر ثم عادوا ليبايعوا بعدها وإذا بهم بعد مقتل إمامهم -كرم الله وجهه- يحولون بين "الحسن بن على -رضوان الله عليه- وبين الحصول على خراج "دار بجرد[1]" بناء على الصلح الذى أبرمه مع "معاوية" -رضوان الله عليهما-[2].

لم تذكر المصادر أن "عبد الله بن عامر" أضاف جديداً للبصرة فى ولايته الثانية لها من الناحية الإدارية وإن استمر يبذل الجهد الدؤوب فى الفتوحات الخارجية انطلاقاً من مصره غير أن هناك أمرين على جانب كبير من الأهمية يتعلقان بسياسته الداخلية فى المصر.

أولهما: أن التقارب بين "زياد" و"معاوية" -رضوان الله عليهما- قد تم فى عهد هذا الوالى لما أقبل "زياد" فى سنة ثلاث وأربعين للهجرة على "معاوية" وصالحه على مال يسلمه له وهذا يعنى أن الجبهة الداخلية فى المصر قد استقرت فلم تعد هناك مطاردات من قبل "عبد الله بن عامر" "لأبى بكرة" وذويه حثاً عن أموال "زياد" لإرسالها "لمعاوية" تلك التى جعلت الخليفة يشخص "للمغيرة" للبصرة ليعذب "عبد الرحمن بن أبى بكرة"

---

(١) بعد الألف الثانية باء موحدة ثم جيم ثم راء ودال مهملة: ولاية بفارس.

ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج٢، ص٥٠٥.

(٢) النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٢٢٧.

ليسلم له أموال "زياد" ولأن "المغيرة" كان حصيفاً فقد تعامل مع الأمر بحكمة جعلت له يداً عند "زياد" وفي ذات الوقت لم يغضب الخليفة[1].

ولا مراء في أن هذا التقارب قد أثر كذلك على "عبد الله بن عامر" نفسه حين عزله "معاوية" ثم عهد بالمصر إلى "زياد" كما سنذكره.

وثانيهما: أن فرقة الخوارج ظهرت على مسرح الأحداث، فكلفت الوالي والرعية بالبصرة وماجاورها من أمصار الدولة الإسلامية ماأنهك الدولة وأصاب المجتمع بالفزع والذعر.

فهم طائفة من البدو والأحلاف شديدي الإيمان، لا يقتنعون إلا بما في رؤوسهم، ولا يمكن تغيير ذلك بسهولة، ويرون أن المسلمين قد أحدثوا الكثير، فيرمون "عثمان بن عفان" و"علي بن أبي طالب" بالأخطاء بل بالكفر، ويرون أن الناس قسمان: مؤمن، وكافر، وليس هناك غير ذلك، لذا عدوا كل من لا يرى رأيهم كافراً عليه التوبة والتبرؤ مما قام به "عثمان" و"علي".

وقد لقي المسلمون منهم الويلات الكثيرة، فكانوا يستبيحون دم المسلمين ويقاتلون بضراوة وتضحية، ويعتقدون في ذلك استشهاداً، لذا فقد أبلوا في معاركم البلاء الكثير[2].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٤، ص١١٨.

(٢) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ج٤، ص١١٨

والذى يعنينا هنا ذكر نشاطهم بالبصرة وموقف ولاتها منه، فهذا "عبد الله بن عامر" الذى ماكاد يستوى على كرسى الولاية يتصدى لـ"سهم" و"الخطيم" اللذين خرجا بالمصر فى سبعين رجلاً آمنوا بمبادئ الخوارج فقتلوا من البصريين ماقتلوا، فجرد إليهم "عبد الله بن عامر" الجيوش فقاتلهم، فقتل منهم عدة، وانحاز بقيتهم إلى أجمة، وفيهم "سهم" و"الخطيم" فأمنهم "ابن عامر" ورجعوا، وكتب إلى "معاوية" بأمرهم ومافعل بهم، فجاءه رد الخليفة يأمره بقتلهم ليكونوا عبرة لغيرهم، فأجابه "ابن عامر" إنى قد أعطيتهم أمانك.

استمر الرجلان فى نشاطهما بعد ذلك على الرغم من تأمين "ابن عامر" لهما، فهرب "الخطيم" سنة خمس وأربعين حين كان "زياد" والياً على البصرة إلى الأهواز، واجتمع إلى "سهم" جماعة، فأقبل بهم إلى البصرة، فتفرق عنه أصحابه، فاختفى وطلب الأمان فلم يؤمنه "زياد"، وبحث عنه وأخذه فقتله وصلبه فى داره. وقيل إنه لم يزل مستخفياً حتى مات "زياد" فأخذه "عبيد الله بن زياد" وصلبه فى سنة أربع وخمسين. وأما "الخطيم" فإن زياداً سأله عن قتل "عبادة" فأنكره فسيره إلى البحرين ثم أعاده بعد ذلك وقيل إنه قتله[1].

ولم تكن هذه المرة الوحيدة التى خرجت فيها طائفة الخوارج بالبصرة على عهد "عبد الله بن عامر" ذلك أن "المستورد بن علفة" الذى خرج بجماعته بالكوفة أزمع على الوصول برجالاته إلى البصرة

---

(1) خليفة بن خياط: التاريخ ص١٠٤. النويرى: نهاية الأرب ج٢، ص٢٧٧، ص٢٧٨.

بعد الذى كان بينه وبين "معقل بن قيس" قائد قواد الكوفيين الذى عهد إليه "المغيرة بن شعبة" باستئصال شأفة جماعة "المستورد" فاسترشد "عبد الله بن عامر" بما فعله "المغيرة بن شعبة" مع هذه الطائفة حين أعلنت التمرد عليه بالكوفة فراقه مافعله "المغيرة" حين رمى الخوارج بواحد من شيعة "على" هو معقل بن قيس" فاختار "ابن عامر" شريك ابن الأعور وكان إلى غرار "معقل بن تشيعه" لعلى" فقال له "ابن عامر" (أخرج إلى هذه المارقة فانتخب ثلاثة آلاف رجل من الناس ثم اتبعهم حتى تخرجهم من أرض البصرة أو تقتلهم).

على أية حال فإن جيش البصرة قد فصل من المصر بقيادة "ابن الأعور" فلما وصلت أخباره الخوارج أرسلوا عينا لهم ليستوثقوا من الأمر فلما وجدوه كما أخبروا أزمع "المستورد" على ترك المكان كي لا تقع قواته بين قوتي البصرة والكوفة والعودة إلى حيث المكان الذى جاءوا منه فسار برجاله تحت جنح الظلام حتى نزل "جراجرايا[1]" فعسكر به[2].

فلما علم الجيشان بعودة الخوارج إلى الكوفة أزمع "معقل بن قيس" قائد قواد الكوفة على ملاحقتهم وإلحاق الهزيمة بهم. وود "شريك بن الأعور" أن يحذوا حذوهُ فى ملاحقة الخوارج بيد أنه وجد معارضة

(١) بفتح الجيمين وتسكين الراء الأولى وفتح الثانية: بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى كانت مدينة خربت مع ماخرب من النهروانات. ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج١، ص٣٢٤.

(٢) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٩٤-ص١٩٩.

شديدة من رجاله الذين قالوا له: (لا والله لا نفعل إنما أقبلنا نحوهم لننفيهم عن أرضنا ونمنعهم من دخولها فإن كفانا الله مؤنتهم فإنا منصرفين إلى مصرنا وفى أهل الكوفة من يمنعون بلادهم من هؤلاء الأكلب فقال لهم ويحكم أطيعونى فيهم فإنهم قوم سوء لكم فى قتالهم أجر وحظوة عند السلطان فقال لهم "بيهس الجرمى" نحن والله كما قال أخو بنى كنانة:

كمرضعة أولاد أخرى وضيعت

بينها فلم ترقع بذلك مرقعا

أما بلغك أن الأكراد قد كفروا بجبال فارس قال: قد بلغنى قال: فتأمرنا أن ننطلق معك نحمى بلاد أهل الكوفة ونقاتل عدوهم ونترك بلادنا فقال لهم: وما الأكراد؟ إنما يكفيهم طائفة منكم، فقال له: وهذا العدو الذى تندبنا إليه إنما يكفيه طائفة من أهل الكوفة إنهم لعمرى، لو اضطروا إلى نصرتنا لكان علينا نصرتهم ولكنهم لم يحتاجوا إلينا بعد وفى بلادنا فتق مثل الفتق الذى فى بلادهم فليغنوا ماقبلهم وعلينا أن نغنى ماقبلنا ولعمرى لو أطعنا فى اتباعهم فاتبعهم كنت قد احترأت على أميرك وفعلت ماكان ينبغى لك أن تطلع فيه رأيه[1]).

وبذلك يكون "المستورد" قد نجح فى خطته فلم يلق القوتين كما أن عدم وجود تنسيق فعال بين الأمصار الإسلامية المتجاورة التى تعانى من الخوارج أدى إلى زيادة نشاطهم ومن ثم تنكيلهم بالناس.

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢٠١. محمود شاكر: التاريخ الإسلامى ج٤، ص١١٦.

أما "عبد الله بن عامر" والى المصر فإنه ظل يدبر سياسته لرعيته مقدماً الحلم والكرم على ماعداهما من الصفات الأخرى ولا مراء فى أن هذه السياسة لا تصلح مع قبائل جبلت على التمرد والثورة على حكامها فقد شاع الانقسام بينها حيث رأى واليها أن يسلك فى رعيته مسلك "المغيرة" بالكوفة ولكن ظروف المصرين مختلفة فالكوفة كانت تتعرض لضغط الخوارج الشراة فكان من اليسير على "المغيرة" أن يستقل هذا العامل فى تجميع القوى الداخلية لمراقبة هذا الخطر ومواجهته.

أما البصرة فإنه كانت أقل من الكوفة تعرضاً لنشاط الخوارج فى هذا الوقت فانصرف أهلها إلى منازعاتهم يشعلون أوارها ويستعينون فى ذلك بالزعار وقطاع الطرق وبهذا عم الفساد وانتشرت الفتن وتكونت العصابات وسيطر القتل والنهب والنصب فى معظم نواحيها حتى عجز واليها "ابن عامر" عن مواجهة عصابة لم يزد أفرادها عن السبعين عداً فأمنهم وصالحهم على أن يكفوه والبصرة أذاهم وشرهم فقبلوا فترة ثم لم يلبثوا أن عادوا إلى ماتعهدوا بتركه من قتل وقطع طريق.

وقد ألمحنا فيما سلفناه إلى أن البصرة ذات موقع استراتيجى بالنسبة لحركة التجارة، والفتوح الإسلامية فى بلاد فارس وانتشار الفساد فيها لا يساعد على استئناف هذا النشاط[1]. ولقد اختلف المؤرخون فيما بينهم حول السبب الذى جعل "معاوية بن أبى سفيان" يعزل "عبد الله بن عامر" عن البصرة فالسواد الأعظم منهم يذكرون أن السبب فى

---

(١) محمد حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموى ص١٤٢، ص١٤٣.

ذلك راجع إلى كون الفساد قد استشرى أمره بين البصريين كما ذكرنا. فلما علم "معاوية" به استزار "عبد الله بن عامر" فلما جاء أكرمه ثم قال له: (إني سائلك ثلاثاً فقل هن لك قال: هن لك وأنا ابن "أم حكيم" فقال ترد على عملي ولا تغضب. قال: قد فعلت. قال: وتهب لي مالك بعرفة. قال: قد فعلت. قال: وتهب لي دورك بمكة. قال: قد فعلت. قال. وصلتك رحم.

قال "ابن عامر" ياأمير المؤمنين إني سائلك ثلاثاً فقل هن لك قال: هن لك وأنا ابن "هند" قال: ترد على مالي بعرفة. قال: قد فعلت. قال: ولا تحاسب لي عاملاً ولا تتبع لي أثراً. قال: قد فعلت. قال: وتنكحني ابنتك "هند". قال: قد فعلت[1]).

ومنهم من قال إن سبب عزل "معاوية" لعبد الله بن عامر" راجع إلى الحسد الذي تملك "معاوية" لما وجد ألسنة الناس بالبصرة وغيرها من أمصار الدولة الإسلامية تلهج بالثناء على "ابن عامر" للأعمال الجليلة التي قام بها في مختلف المناطق فأراد حجبه عن الأضواء كي لا ينافس ولده "يزيد" بعد وفاته؛ فيذكرون أن "معاوية" سأل "قبيصة بن جابر[2]" من ترى للخلافة بعدي؟ قال له "قبيصة" وأما فناها حياء

---

(١) خليفة بن خياط: التاريخ ص٢٠٧. الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢٠٣، ص٢١٤.

(٢) قبيصة بن جابر الأسدي الكوفي تابعي من رجال الحديث الفصحاء ومن الفقهاء [illegible] من الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة بعد الصحابة وهو أخو "معاوية بن أبي سفيان" من الرضاعة توفي سنة تسع وستين للهجرة [illegible]

وحلما وسخاء "فابن عامر" محتشى منه "معاوية" ثم استدعاه إليه[1] وكان ماكان من رواية العزل التى سلفنا الحديث عنها.

والذى نراه أن الرواية الثانية ضعيفة فإن "معاوية" -رضوان الله عليه- عاصر كبار صحابة النبى مع مالهم من مكانة رفيعة تؤهلهم للخلافة و لم يعمد إلى حجبهم عن الأضواء كى يخلو الجو لولده "يزيد" فكيف و"عبد الله بن عامر" ليس كهؤلاء فى المكانة لصغر سنه يفعل معه "معاوية" مايفعل من العزل عن مصر له مكانة استراتيجية كالبصرة ليخلى الجو لابنه "يزيد" اللهم إلا أن يكون ذلك لعجز أبداه الوالى أمام النزعة القبلية للبصريين مما عجل بعزله كما قالت الرواية الأولى. ومما يدعم رأينا هذا أن "عبد الله بن عامر" تربطه "بمعاوية الروابط التى تجعله يأمن إليه فى البصرة أكثر من غيره؛ فحين يعزله ويولى مكانهُ "الحارث بن عبد الله الأزدى" لا يكون هذا إلا لرأب الصدع الذى أصاب العلائق بين قبائل البصرة وواليها.

والذى يؤكد صحة ماقررناه أيضاً أن هذا الوالى الجديد لم يمكث فى المصر سوى أربعة أشهر، فكانت ولايته الواقعة بين ولايتى "ابن عامر" و"زياد" كالفرس المحلل على حد قول "الطبرى[2]"

حجر: تهذيب التهذيب ج٨، ص١٤٥. عبد السلام الترمانينى: أزمنة التاريخ الإسلامى ج١، م٢، ص٨٠٩.

(١) البلخى: البدء والتاريخ ج٦، ص١ النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص١٠٣. محمود نصير: أبطال الفتح الإسلامى ١٠٧.

(٢) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢١٦، ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٤٤٧.

آلت البصرة بعد "الحارث بن عبد الله" إلى "زياد بن أبيه" الذى كان "معاوية" يرمقه بعينين فاحصتين حيث إن عقليته جعلته يبذ أقرانه ويسبق عصره.

فيروى المؤرخون أن "عمر بن الخطاب" عهد إليه بمهام فأداها بكفاءة راقت أمير المؤمنين وأن بلاغته حين ألقى خطبة فى جماعة من كبار صحابة النبى ﷺ أبهرت "عمرو بن العاص" الذى قال: لله هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه[1]. ولقد جذب نبوغ "زياد" عتبة بن غزوان" إليه فولاه الكتابة وجعل له على ذلك درهمين عن كل يوم[2].

وحاول "معاوية بن أبى سفيان" ضم "زياداً" إليه أثناء خلافه مع الإمام علي" -رضوان الله عليهما- فما استطاع إلى ذلك سبيلاً حتى استشهد الإمام فأرسل "معاوية" إليه كتاباً يتهدده فيه بسوء الوعيد ليسلم له بلاد فارس التى تحصن بها فأجابه "زياد" فى قوة وشجاعة قائلاً: (العجب من ابن آكلة الأكباد وكهف النفاق ورئيس الأحزاب يتهددنى وبينى وبينه ابنا عم رسول الله ﷺ يعنى "ابن عباس" و"الحسن بن على" فى سبعين واضعى سيوفهم على عواتقهم أما والله لئن خلص إلى ليجدنى أحمر ضراباً بالسيف[3]).

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٤٤٣.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ص٤٣٢. محمود حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموى ص١٤٠.

(٣) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٧٠.

بيد أن الصلح الذى أبرمه "الحسن" مع "معاوية" ومسعى بعض الناس بين "زياد" والخليفة بالخير قد قربت بين "معاوية" و"زياد" ليحقق "معاوية" ماتمناه منذ أمد بعيد، وينال "زياد" أعظم أمانيه قاطبة ألا وهى الانتساب "لأبى سفيان" ولقد اختلف الرواة فيما بينهم حول من أشار على "معاوية: بأمر الاستلحاق ليغرى به "زياداً". فابن الأثير يذكر أن "زيادا" واضع "مصقلة بن هبيرة الشيبانى" وضمن له عشرين ألف درهم ليقول "لمعاوية" إن "زيادا" قد أكل فارس براً وبحراً وصالحك على ألف ألف درهم والله ماأرى الذى يقال إلا حقاً فإذا قال لك: ومايقال؟ فقل: يقال إنه ابن "أبى سفيان" ففعل "مصقلة" ذلك ورأى "معاوية" أن يستميل "زياداً" واستصفى مودته باستلحاقه فاتفقا على ذلك وأحضر الناس وحضر من يشهد "لزياد" وكان فيمن حضر "أبو مريم السلولى" فقال له "معاوية": بم تشهد يا "أبا مريم"؟ فقال: أنا أشهد أن "أبا سفيان" حضر عندى وطلب منى بغيا فقلت له: ليس عندى إلا "سمية" فقال: إيتنى بها على قذرها[1] ووضرها[2] فأتيته بها فخلا معها[3].

ويذكر الطبرى فيما رواه عن "عبد الملك بن عبد الله الثقفى" أن "المغيرة" ابن شعبة هو الذى أشار على "معاوية" بأمر الاستلحاق

---

(١) القذور من النساء المتنحية من الرجال. ابن منظور: لسان العرب ج٣ مادة قذر ص٣٥٥٩.

(٢) تطلق الكلمة على الصفرة والحمرة من الطيب الذى له لون يرى وقالوا إنها تطلق ويراد بها لامتلاء.

(٣) الكامل ج٣، ص٤٤٤ الذهبى: دول الإسلام ج١، ص٣٩. محمود شاكر: التاريخ الإسلامى ج٤، ص٨٥..

"لزياد" وأنه بذل الجهد ذاته مع "زياد" ببلاد فارس حتى كان ماكان من أمر استلحاق "معاوية" "لزياد[١]".

كان لهذا الاستلحاق ردود فعل في البيت الأموى فقد جاهر بعض أفراد هذا البيت برفضه له إلا أن "معاوية" وقف بالمرصاد لمثل هؤلاء فهدد وتوعد كل من شكك في نسبة "زياد" إلى "أبي سفيان" بسوء العاقبة[٢].

أما "زياد" فإنه هو الآخر حرص حرصاً شديداً على نسبته "لأبي سفيان" في المكاتبات التي تأتيه فكان يغضب غضباً شديداً على رجل يكتب له فلا ينسبه وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن هذا الاستلحاق الذي مَنّ "معاوية" به عليه قد محى عن "زياد" نقيصة كان يشعر بها من داخله كلما فعل فعلاً وإن لم يبد هذا للعيان وحاول تغطية هذا الشعور بالأعمال العظيمة التي قام بها قبل استلحاق "معاوية" له ثم توليته البصرة سنة خمس وأربعين للهجرة. وآية ماقلناه هذه الرواية التي ذكرها "ابن سعد: وفيها: (أن "مرة" صاحب نهر مرة أتى "عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق" وكان مولاهم فسأله أن يكتب له إلى "زياد" في حاجة له فكتب: من "عبد الرحمن" إلى "زياد" ونسبهُ إلى غير "أبي سفيان" فقال: لا أذهب بكتابك هذا فيضرني. فأتى عائشة فكتبت له: من عائشة أم المؤمنين إلى "زياد بن أبي سفيان" فلما

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٧٨. الخضرى: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية) ص٤٢٧.

(٢) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ج٤، ص ١٧١-١٧٤.

جاءه بالكتاب قال له: إذا كان غداً فجئني بكتابك وجمع الناس فقال: ياغلام اقرأه قال فقرأه: من عائشة أم المؤمنين إلى "زياد بن أبي سفيان" فقضى له حاجته(١).

وعلى النقيض من هذا الموقف نرى "زياداً" يأبى قبول شفاعة "الحسن بن علي" -رضي الله عنهما- في رجل من رجالاته بحيث لا يعرض له "زياد" بسوء وذلك بناء على الصلح المبرم بين "الحسن" و"معاوية" وماذلك إلا لأن "الحسن" كتب له كتاباً لم ينسبه فيه إلى أبيه. فأجابه "زياد" على كتابه بكتاب كال له فيه الصاع بالصاع حيث لم ينسب "الحسن" إلى أبيه وأعلمه أنه سيطلب الرجل المشفع فيه ولو كان بين جلده ولحمه فلما رفع "الحسن" الأمر إلى "معاوية" نهى "زياداً" عن ملاحقته الرجل وقبل الخليفة شفاعة "الحسن" فيه(٢).

وعلى أية حال فإن زياداً لما وصل البصرة والياً لم يكن مستغرباً من أهلها وجاهلاً بأرضها فقد عرفوه فعاملوه وألفه بعضهم وبجه وكرهه آخرون و لم يكن هذا الأمر ليغيب عن "معاوية" حين ولى "زياداً" البصرة فمهد له بأرض المصر لما له من خبرات سابقة في التعامل مع قاطنيه من الرعية مما يمكنه من النهوض بأموره على أكمل وجه.

بدأ زياد ولايته على المصر فرقى مراقي منبر المسجد الجامع وألقى خطبة عرفت بين الناس بالبتراء لكونها خلت من البسملة في بدايتها وصح فيها طرائق حكمه ومنهج سياسته لرعية مصره فبعد أن بين لهم

(١) الطبقات: ج٧، ص٧٠.

(٢) الجاحظ: البيان والتبين ص٣٦١

أن الإنسان يعيش دنياه وأخراه مابين ثواب وعقاب بسبب عمل عمله، حذرهم بسط الحماية على سفهائهم الذين سعوا فى المصر فساداً وإفساداً (ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بهم ماترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوساً فى مكانس الريب، حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً إنى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله، لين فى غير ضعف وشدة فى غير جبرية وعنف. وإنى لأقسم بالله لآخذن الولى بالولى، والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: أنج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لى قناتكم وقد أعلمهم أنه لا يسمح بالتجوال ليلاً بعد فراغهم من صلاة العشاء ليضبط الأمن ويحفظ النظام؛ (إياى ودلج الليل فإنى لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه وقد أجلتكم فى ذلك بقدر مايأتى الخبر الكوفة ويرجع إليكم). وحذرهم من العصبية القبلية فإنه لن يسمح بها مابقى فى المصر إذ هى تعيدهم القهقرى إلى عصر الظلام ذلك الذى كان قبل ظهور الإسلام (وإياى ودعوى الجاهلية فإنى لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه). وأعلمهم أنه لا تأخذه بهم رحمة ولا تهاون إن اعتدى بعضهم على بعض أو حادوا عن السياسة التى بينها لهم فلا حائل يحول بينه وبين إنزال العقوبة بهم أنى كانوا؛ (من غرق قوماً غرقناه ومن حرق على قوم حرقناه ومن نقب بيتاً نقبت عن قلبه ومن نبش قبراً دفنته فيه حياً، فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم لسانى ويدى)، ومع ذلك أعلمهم أنه لا يمنع إنساناً يريد لقاءه ليقضى له حاجته، لأن هذا حق الرعية على الراعى (لست محتجباً عن طالب

حاجة منكم ولو أتاني طارقاً بليل، ولا حابساً رزقاً ولا عطاء عن إبانة، ولا مجمراً لكم بعثاً[1].

قرن "زياد" القول بالفعل فكانت سياسته في المصر تنفيذاً حرفياً لما تضمنت الخطبة البتراء حيث جرد السيف وأخذ بالظنة وعاقب بالشبهة؛ فخاف الناس في إمارة "زياد" خوفاً شديداً حتى أمن بعضهم من بعض فكان ربما سقط الشيء من الرجل والمرأة فلا يتعرض إليه أحد حتى يأتيه صاحبهُ فيأخذه. وكانت المرأة تبيت في منزلها فلا تغلق بابها ولا تخاف لصاً يدخل إليها.

فأقام "زياد" بالبصرةمدة وساس أهلها سياسة لم يروا مثلها وهابه الناس هيبة شديدة فأحبه الأخيار وأنفر عنه الأشرار[2]. ومع ذلك فإن "زياداً" حاول قدر جهده جعل فئات المجتمع تعيش على احترام بعضها بعضاً كما قضت بذلك التقاليد العربية وأيدتها الشريعة الإسلامية؛ (استوصوا بثلاثة منكم خيراً، الشريف والعالم والشيخ فوالله لا يأتيني شيخ بشاب قد استخف به إلا أوجعته، ولا يأتيني عالم بجاهل استخف به إلا نكلت به، ولا يأتيني شريف بوضيع استخف به إلا نكلت به وانتقمت له منه[3].

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢١٧ -ص٢٢١. ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٤٤٧-ص٤٥٠. النويرى: نهاية الأرب ج٢٠ ص٣٠٩-ص٣١٣. ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٤، ص١١٠.

(٢) ابن أعثم الكوفى: الفتوح ج٤، ص١٧٤،ص١٧٥.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين ص٢٨٧.

واستعان "زياد" في تمهيد تلك السياسة بأربعة آلاف شرطي عملوا بالليل والنهار دون كلل أو ملل فإذا ما وجدوا أحداً يسير بعد صلاة العشاء بادروا إلى قتله او إحضاره إلى الأمير؛ ويذكرون أن صاحب الشرطة ألقى القبض على أعرابي تجول في شوارع البصرة في وقت لا يسمح فيه بالتجوال فلما سأله الأمير عن سبب عدم إذعانه للأمر. أجابه بقوله: ما سمعت بهذا، (قدمت بحلوبة لي، وغشيني الليل، فاضطررتها إلى موضع، فأقمت لأصبح، ولا علم لي بما كان من الأمير.

قال: أظنك والله صادقاً، ولكن في قتلك صلاح هذه الأمة.

ثم أمر به فضربت عنقه)

ولم يكن "زياد" يطبق تلك السياسة في أول أمره في سائر أنحاء الإقليم الذي يحكمه؛ فطبقها أولاً بالبصرة؛ فساد الأمن والأمان بها بخلاف المناطق الأخرى في الإقليم، فلما سألوه عن سبب التطبيق في البصرة وحدها قال: (لا يعنيني شيئاً سوى المصر حتى أغلب على المصر وأصلحه، فإن غلبني المصر فغيره أشد غلبة. فلما ضبط المصر تكلف ماسوى ذلك فأحكمه، وكان يقول: لو ضاع حبل بيني وبين خراسان علمت من أخذه[1]).

وكان يدبر الأمور المالية لمصره والبلاد التي يحكمها من خلاله تدبيراً يدل على أنه صاحب عقلية اقتصادية بقدر ماهي سياسية، ولا

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢٢٢،ص٢٢٣. ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٤٥٠،ص٤٥١. محمد حلمي: الخلافة والدولة في العصر الأموي ص١٤٤.

نغالى إذا ماقلنا إنه طبق فى عصره سياسة اقتصادية تطبقها الدول العظمى فى عصرنا، فعمل على ضبط توزيع العطاء على سكان البلد بعد أن زادوا زيادة كبيرة فى عهده نتيجة الهجرة إليها من أمصار الدولة الإسلامية، فخطب فى رعيته خطبة أطلعهم فيها على المشكلة المالية التى يواجهها ورأيه فى التعامل معها فقال: "إن عشائركم وردت علينا، فاختاروا أن يأخذوا نصف أعطياتكم وأرزاقكم، فنقويهم بهما مع مالهم عندنا، أو تكفينا كل عشيرة من فيها، فمنهم من ضم إلى عشيرته، ومنهم من طابت نفسه بنصف عطائه ورزقه وأرزاق عياله".

ولاريب فى أن اختلاف العشائر فى عدد أفرادها كان يحدث مشاكل إدارية واسعة؛ لذلك أعاد "زياد" تنظيم البصرة فجعل العشائر متكافئة فى العدد، ويضم كل منها حوالى ألف مقاتل مع أفراد أسرهم، وجعل لكل عشيرة عريفاً يشرف على إدارتها وعلى من فيها، ويقوم بتوزيع العطاء على أفرادها، وقد استلزم هذا ضم بعض العشائر الصغيرة إلى أخرى، وتقسيم العشائر الكبيرة بحيث تصبح كل واحدة مكونة من حوالى ألف مقاتل، ثم وضع "زياد" تقسيمات كبرى، فجعل البصرة خمسة أخماس، يضم كل خمس عدداً من العشائر وهذه الأخماس هى: أهل العالية (أى أهل الحجاز) وتميم وبكر والأزد وعبد القيس وجعل لكل خمس رئيساً يقر تعيينه الخليفة، وكثيراً مايقوم بقيادة خمسة فى الحروب[1].

---

(١) البلاذرى: أنساب الأشراف ج٤، ص٢٠٦. صالح العلى: خطط البصرة ومنطقتها ص٥١. محمود حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموى ص١٤٥.

أخذ "زياد" بمبدأ الادخار من يومه لغده، فنظم ميزانيته الاقتصادية في البصرة والمناطق التي تتبعها لتسد حاجيات الرعية المتنوعة من رواتب وأعطيات على النحو الذي نظمه، فكانت البصرة وكورها تغل ستين ألف ألف درهم، فيعطي الذرية منها ستة عشر ألف ألف. وينفق في البنيان وما يحتاج إليه من العمارة وغير ذلك ألفي ألف، ويدخر في بيت المال ألفي ألف درهم، ويوجه باقي ذلك إلى "معاوية"[1].

فإذا ماولينا وجهنا شطر جهود "زياد" المعمارية في البصرة وجدناه قد قام بتوسعة مسجدها وإعادة بنائه باللبن وسقفه بالساج، وجعل له سوار من حجارة، وكان يراقب العمل فيه بدقة، ويتفحص البناء تفحص خبير به، ليظهر كأكمل وأجمل مايكون البناء. وهو أول من عمل المقصورة، ونقل دار الإمارة إلى قبلة المسجد، وكان بناؤه إياها بلبن وطين.

بيد أن الذي يؤخذ على "زياد" وعلى كثير من الولاة والحكام منذ آماد بعيدة لجوؤهم إلى طمس الأعمال البارزة التي قام بها السابقون عليهم، ونسبة كل مافي المصر من تقدم وشيء جميل إلى من يحكم البلد، فإذا ماغيبته الأيام عن أريكة الحكم فعل به مافعل بغيره ولقد كان "زياد" من هؤلاء في بعض أفعاله، فقد قام بهدم كل قصر ومصنع كان "لابن عامر"[2].

---

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ج٤، ص١٨١.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ج٢، ص٤٢٦،ص٤٢٧. ياقوت: معجم البلدان ج١، ص٤٣٣، ص٤٣٤. صالح العلي: خطط البصرة ومنطقتها ص٥٥، ص٥٨، ص٦٧.

ويلوح لنا أن سياسته بشكل عام قد راقت "معاوية" الذى أصبح بأمن جانب البصرة بعد أن استوى على أريكة إمارتها "زياد"، وآية ذلك أن منصب إمارة الكوفة حين شغر بموت "المغيرة" سنة خمسين من الهجرة عهد به "معاوية" إلى "زياد" ليحكم المصرين. ولا مراء فى أن هذا يدل على قوة شخصية "زياد"!! فرجل يحكم المصرين بنجاح كما ذكر المؤرخون لهو من الأفذاذ الذين سطروا أسماءهم فى التاريخ بأعمال بذوا بها السابقين وكانت موضوع احترام وانبهار من اللاحقين.

استعان "زياد" بـ"سمرة بن جندب"[1] ليعاونه فى أمر ولايته تلك بعد اتساعها. والرجل له سابقة فى الإسلام فكان من أهل بيعة الرضوان وكان من الحفاظ المكثرين عن الرسول ﷺ اثنى عليه غير واحد من الأئمة الصالحين مثل "الحسن البصرى" و"ابن سيرين". فكان "سمرة" يلى البصرة كلما غاب عنا "زياد" ليدبر أمر الكوفة فقد كان يقيم فى كل مصر من المصرين ستة أشهر[2].

---

(١) ابن هلال بن جريج بن مرة الهلالى الفزازى، توفى سنة (٥٩هـ) حيث سقط فى قدر مملوءة ماء حاراً ووفاته بهذا الشكل تصديقاً لما أخبره به النبى ﷺ: سمرة وأبوهريرة وأبا محذوره فقال ﷺ: (آخركم موتاً فى النار) فكان سمرة آخر من توفى منهم. [ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٤، ص٢٣٧].

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٧، ص١٠٨. النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٣٢٥. محمود شاكر: التاريخ الإسلامى ج٤، ص٨٩. عبد السلام الترمانينى: أزمنة التاريخ الإسلامى ج١، ص٦٥٢.

ويظهر أن اختيار "زياد" "لسمرة" كان على أساس أن هواه يوافق سياسة "زياد" حيث أخذ البصريين بالقوة فيذكرون أنه قتل من أهلها حين كان "زياد" غائباً عنها ثمانية آلاف من الناس وأثر عنه أنه قال للبصريين: إذا ... بنا قد ركبنا فاتقوا أسنتنا[1].

والذى نعتقده أن قتل "سمرة" لهذا العدد الكبير من البصريين لا ينعته بحب سفك الدماء بحق أو بغير حق؛ لأن ماسلفناه عن مكانته وروايته الحديث عن النبى محمد ﷺ ينأيان به عن الوقوع فى مثل هذا الأمر المنهى عنه فى القرآن الكريم من قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق.

ولعل قتله هذا العدد الكبير -إن صح- على حد الرواية يعزى إلى احتبال البصريين غياب "زياد" عن البصرة فقاموا بثوراتهم للنيل من عامله الذى ولاه فكان ماكان من أمر القتل الذى أشارت إليه الرواية. والذى يدعم ماذهبنا إليه أن "معاوية" -رضوان الله عليه- ولاه البصرة بعد أن مات "زياد" وماكان لرجل مثل الخليفة فى عقله ودهائه وحرصه على ضبط أمصاره ووصل الرعية به ولو بخيط رفيع ليفعل هذا إلا إذا كان "سمرة بن جندب" قد فعل مافعل وهو على حق لأنه لو كان على غير ذلك لجه البصريون بعد أن تنفسوا الصعداء بموت "زياد". وأمر آخر لا سبيل إلى إغفاله هو هذا الثناء على "سمرة بن جندب" من غير واحد من أئمة العلم فإنه ليدل دلالة قطعية على أن الرجل كان يحكم دينه فى كل مايفعله.

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢٣٦،ص٢٣٧. ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٤٦٢،ص٤٦٣.

أتت سياسة "زياد" بالبصرة ثمارها اليانعة بالنسبة لتجنيب أهلها شرور الخوارج حيث كانت أقل تعرضاً من الكوفة لنهبهم حيث إن "زياداً" سلك معهم سياسة قامت على المسالمة[1] حيناً وتجريد السيوف عليهم أحياناً، فاتسع صدره لمن قبل منهم العيش في ظلال إمارته دون ترويع الناس وإرغامهم على اعتناق مذهبه.

فقد خرج في عهده رجلان هما "قريب" و"زحاف" حين كان "زياد" بالكوفة و"سمرة" بالبصرة الذي استطاع التصدي لهما فألحق الهزيمة بأتباعهما. ولقد اشتد "زياد" وعامله في ملاحقة الخوارج والتنكيل بهم وحذر البصريين من معاونتهم؛ (ياأهل البصرة والله لتكفني هؤلاء أو لأبدأ بكم، والله لئن أفلت رجل منهم لا تأخذون العام من عطاياكم درهما)؛ فسار الناس إليهم فقتلوهم[2].

ولم تشهد البصرة بعد ذلك في عهده من ثورات الخوارج إلا اليسير فإن "زياد بن خراش العجلي" قد خرج في سنة اثنتين وخمسين في ثلاثمائة فأتى أرض مسكن من السواد فسرح إليه "زياد بن أبيه" خيلاً عليها "سعد بن حذيفة" فقتلوهم.

---

(١) محمد حلمي: الخلافة والدولة في العصر الأموي ص١٤٦. حسين عطوان: الأمويون والخلافة ص٨٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢٣٧،ص٢٣٨. ابن عبدربه: العقد الفريد ج١، ص١٢٠، ص١٢١. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ج٢، ص١١٧.

وخرج رجل من طئ اسمه "معاذ" في ثلاثين رجلاً فبعث "زياد" من قتله وقتل أصحابه ويقال بل حل لواءه واستأمن[1].

ظل "زياد" يرقب حركات الخوراج وسكناتهم طيلة ولايته للبصرة ليدرأ باب فتنهم مااستطاع إلى ذلك سبيلاً ففطن إلى أنهم يستغلون النساء لما لهن من حرمة في إنجاز المهامَ التي تسهل لهم أمرهم من اتصال بعضهم ببعض وإيصال الطعام إلى الهاربين منهم فألقى "زياد" القبض على امرأة منهن فأمر بقتلها ثم عراها فلم تخرج النساء إلا بعد "زياد" ولكن إذا أرغمن على الخروج قلن لولا التعرية لسارعنا[2]، وإن كنا نسلم بما ذكر فلا نسلم بأنه عرى النساء.

وعلى الجملة فإن "زياد بن أبيه" قد عاون "معاوية" في إخلاص لما ولاه البصرة وماذلك إلا لأن الخليفة أطلق يدهُ في أن يولي من يولي ويعزل من يعزل من الرجال الذين يعاونونه، وكان يلين حين يشتد "زياد" على بعض الرعية فأسهم بلا ريب في رأب الصدع بالبصرة مما سهل صعود نجم "زياد" في البلاد، ولقد سهل "زياد" أمر مبايعة "يزيد بن معاوية" بولاية العهد في حياة أبيه على الرغم من وجود معارضة خفية لدى العديد من جماعات البصريين[3].

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٤٩١. النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٢٨٣.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج١، ص٢٢١،ص٢٢٢. محمد حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموى ص١٤٤.

(٣) النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٣٥٠، ص٣٥١، ص٣٥٤. محمد حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموى ص١٣٢-ص١٤٥.

ظل "زياد" يقوم بأمر مصريه البصرة والكوفة حتى توفي سنة ثلاث وخمسين للهجرة بالطاعون وقيل بالفالج ودفن في شهر رمضان من العام. قال عنه "عبد الله بن عمر": (اذهب إليك ابن سمية فلا الدنيا بقيت لك ولا الآخرة أدركت[1]).

عاشت البصرة فترة انتقالية بين "زياد" وولده تولى أمرها فيها "سمرة بن جندب" لمدة اختلف المؤرخون في تقديرها فمنهم من قال ثمانية عشر شهراً ومنهم من قال ستة أشهر تلاه في حكم البصرة بعد ذلك "عمرو بن غيلان[2]".

أما عن سبب عزل "عمرو بن غيلان" عن البصرة فإن "ابن الأثير" يذكر أنه خطب على منبر البصرة فحصبه رجل من بني ضبة فقطع يده فأتاه بنو ضبة وقالوا: إن صاحبنا جنى ماجنى وقد عاقبته ولا نأمن أن يبلغ خبرنا أمير المؤمنين فيعاقب عقوبة تعم؛ فاكتب لنا كتاباً إلى أمير المؤمنين يخرج به أحدنا إليه يخبره أنك قطعت على شبهة وأمر لم تتضح مكتب لهم، فلما كان رأس السنة توجه "عبد الله" إلى "معاوية" ووافاه الضبيون بالكتاب وادعوا أنه قطع صاحبهم ظلماً فلما رأى "معاوية" الكتاب قال: أما القود من عمالي فلا سبيل إليه ولكن أدى صاحبكم من بيت المال فعزل "معاوية" بعد ذلك "عمرو" عن البصرة[3]

---

(١) البلخي: البدء والتاريخ ج٦، ص٢،ص٣. خليفة بن خياط: التاريخ ص٢١٩. الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢٨٨،ص٢٨٩.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢١٩. النويري: نهاية الأرب ج٢٠، ص٣٤٤-٣٤٦.

(٣) الكامل ج٣، ص٥٠١،ص٥٠٢.

وهكذا نرى العصبية القبلية تنشب أنيابها في هذا الوالي لتفتك به ولذا يستمتع بحكم مصره زمناً يسمح له القيام بأعمال تحكم له أو عليه.

ويتهيأ الجو بالبصرة لتستقبل والياً جديداً شهد شطراً من حكم "معاوية" وصدر حكم "يزيد" هو "عبيد الله بن زياد" الذي كان على غرار أبيه في شدته الضابطة للمصر. فلما دخل البصرة أقام بها يسوس البلاد ويحاول التيسير على العباد فيقول البلازري إنه أقام صهريجاً يحمل إليه الماء من دجلة ليكون مستعذباً للشاربين[1].

ولقد شهد حكم هذا الوالي بالبصرة حدثين على جانب كبير من الأهمية:

أولهما: ماكان من أمر ثورات الحرورية في مصره كما كان قبلاً في عهد أبيه.

وثانيهما: ثورة الحسين -رضوان الله عليه-.

فمن خلال معالجته للأمرين يستبين لنا الكثير من معالم شخصيته ومبادئ سياسته. فالنسبة للأمر الأول خرج في عهد "عبيد الله بن زياد" غير واحد من زعماء الخوارج. فهذا "طواف بن غلاق" الذي كان وجماعة معه يجتمعون عند رجل منهم يسمى "جدار" فألقى "عبيد الله" القبض عليهم حين علم بهم وبأهداف اجتماعهم فحكم عليهم بأن يقاتل بعضهم بعضاً فمن نجى منهم أطلق سراحه وكان "طواف"

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢٩٩. النويري: نهاية الأرب ج٢٠، ص٣٤٧.

ممن يحى فعلق بعض أصابع الندم على طاعته "لابن زياد" فيما أمر وراح يسأل ألا من توبة يغسل به كبيرته فقال له "العباس بن ثور السدوسي": ماأجد لك إلا آية في كتاب الله -عز وجل- قوله: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾.

فدعا "طواف" أصحابه إلى الخروج وإلى أن يفتكوا "بابن زياد" فبايعوه في سنة ثمان وخمسين وكانوا سبعين رجلاً من بني عبد القيس بالبصرة فسعى بهم رجل من أصحابهم إلى "ابن زياد" فبلغ ذلك "طواف" فعجل الخروج فخرجوا من ليلتهم فقتلوا رجلاً ومضوا إلى الجلحاء فندب "ابن زياد" الشرط البخارية فقاتلوهم فانهزم الشرط حتى دخلوا البصرة واتبعوهم وذلك يوم عيد الفطر وكثرهم الناس فقاتلوا فقتلوا وبقى "طواف" في ستة نفر وعطش فرسه فأقحمه الماء فرماه البخارية بالنشاب حتى قتلوه وصلبوه ثم دفنه أهله[1]

ومن الخوارج الذين قتلوا على يد "عبيد الله بن زياد" "عروة بن أدية" الذى اشتهر بنسبته إلى أمه فأدية "أمه" وقد كان أحد صحابا "عبيد الله بن زياد" الذى أخذ بمبدأ الأخذ بالظنه والمعاقبة بالشبهة. فيذكر المؤرخون أن سبب قتله خروج "ابن زياد" في رهان له فلما جلس ينظر الخيل اجتمع الناس إليه وفيهم "عروة بن أدية" فأقبل "عروة" على "زياد" يعظمه فكان مما قال له: ﴿أتبنون بكل ريع آية

(١) ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٥١٦،ص٥١٧. النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٢٨٣-٢٨٥. والآية الكريمة رقم (١١٠) من سورة النحل.

تعبثون ✿ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ✿ وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾[1].

فلما قال ذلك ظن "ابن زياد" أنه لم يقله إلا ومعه جماعة فركب وترك رهانة فقيل "لعروة": ليقتلنك. فاختفى فطلبه "ابن زياد" فأتى الكوفة فأخذ. وأتى به إلى "ابن زياد" فقطع يديه ورجليه وقتله وقتل ابنته[2].

وحابه أخوه "بلال بن مرداس" عبيد الله بن زياد "أثناء ولايته للبصرة ولقد ذكر غير واحد من المؤرخين أن "بلال" هذا كان من الدّين والخلق بمكان. فكان عابداً مجتهداً عظيم القدر في الخوارج وشهد "صفين" مع "على" فأنكر التحكيم وشهد النهروان مع الخوارج وكانت الخوارج كلها تتولاهُ ورأى على "ابن عامر" قباء أنكره فقال: هذا لباس الفساق.

فقال: "أبو بكرة" لا تقل هذا للسلطان فإن من أبغض السلطان أبغضه الله. أما عن سبب خروجه على "ابن زياد" في هذا الوقت هو أن امرأة تسمى "البثخاء" نذرت نفسها للعبادة والاجتهاد فوشى بها عند "ابن زياد" فذكرها في مجلسه فأخبرها "بلال" بما كان من أمر الأمير في شأنها وطالبها بالاستتار عن الطلب فأبت إلا البقاء حيث

---

(١) الآيات الكريمة: رقم (١٢٨، ١٢٩، ١٣٠) من سورة الشعراء.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٣١٢، ص٣١٣. النويري: نهاية الأرب ج٢٠، ص٢٨٥. الخضري: الدولة الأموية ص٤٤٠. د/ عبد الشافي عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي ص٤٦١.

هي كي لا تصيب أحداً بأذى إن هو أحماها فقبض عليها "ابن زياد" فقتلها.

فلما علم "بلال" بمآلها ثار ثورة كبيرة وأنشأ يقول: (أهذه أطيب نفساً بالموت منك يامرداس؟ ماميته أموتها أحب إلى من ميتة "الشخاء". ومر "أبو بلال" ببعير قد طلى بقطران فغشي عليه ثم أفاق فتلا ﴿سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار﴾[1].

وعلى الرغم من أن "ابن زياد" قد ألقى القبض عليه لما اشتد على الخوارج وإطلاقه سراحه إثر شفاعة السجان فيه عنده فقد عاد إلى التمرد ثانية فشهر الحسام في وجه الأمير "عبيد الله بن زياد" فجرد إليه جيشاً بقيادة أسلم بن زرعة فسار إليه على رأس ألفي رجل فاستطاع "بلال" ومعه قرابة الأربعين رجلاً إلحاق الهزيمة بالبصريين فاستشنعها "عبيد الله" أيما استشناع مما جعله يبعث إليه جيشاً آخر بقيادة "عباد" فاستطاع التغلب عليهم بعد أن أخذهم على غرة[2].

تلك كانت اللماعة عن أبرز ثورات الحرورية في عهد "عبيد الله بن زياد" ومنها نتبين أنه جابههم بالقوة وتعقبهم حيث كانوا فقتل منهم الآلاف دون شفقة ونالت يده النساء مثلما فعل بابنة "عروة" حين أمر بقتلها لا لجريرة سوى أنها ابنة الرجل الذى أعلن التمرد عليه حيث إن

---

(١) الآية رقم (٥٠) من سورة إبراهيم.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٥١٨،ص٥١٩. ابن عبد ربه: العقد الفريد ج١، ص٢١٨.

المصادر التى بين أيدينا لم تشر من قريب أو بعيد إلى دور لعبته القتيلة حين خرج أبوها على "عبيد الله" بالبصرة.

ويبدو أن "ابن زياد" قد أبهرته ساسة أبيه فحذا حذوه لينال بها شهرة فى دنياه غير مبال بما يترتب عليها من أشياء وأشياء لا يعلم بها إلا الله.

ثانيهما: موقفه من ثورة "الحسين" تلك الثورة التى كانت الكوفة مسرحاً لمعظم أحداثها ومن ثم فإنه لا يعنينى هنا تفصيل أخبارها وماكان من أمرها من لدن اشتعال نارها إلى أن استشهد ملهبها "الحسين بن على" -رضوان الله عليهما- وإنما الذى يعنينا من هذا أن "ابن زياد" والى البصرة حين علم من "المنذر بن الجارود" أن "حسيناً" -رضوان الله عليه- قد كتب إلى أشراف البصرة كتاباً دعاهم فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإن السنة قد ماتت والبدعة قد أحييت أخذ حذوه فلما جاءه "المنذر برسول "الحسين" إلى الأمير ضرب عنقه.

فى الوقت الذى كان فيه "يزيد بن معاوية" قد أزمع رأيه على جعل الكوفة تحت حكم "عبيد الله بن زياد" مع البصرة حين علم بضعف واليها "النعمان بن بشير" أمام الخطر الشيعى الذى يتهدد الدولة الأموية بها[1].

فرقى "عبيد الله" منبر المسجد الجامع بالبصرة قبل الخروج إلى الكوفة وألقى فيهم خطبة قال فيها: (ياأهل البصرة إن أمير المؤمنين

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك جـ٥،ص٣٦١-ص٣٦٤.

ولانى الكوفة، وأنا غاد إليها بالغد، وقد استخلفت عليكم أخى "عثمان بن زياد" فإياكم والخلاف والإرجاف فوالله لئن بلغنى عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه ووليه ولآخذن الأدنى بالأقصى حتى تستقيموا ولا يكون فيكم خلاف ولا شقاق إنى أنا "ابن زياد" أشبهته من بين من وطئ الحصى فلم ينتزعنى شبه خال ولا ابن عم ثم خرج من البصرة ومعه "مسلم بن عمرو الباهلى" وشريك بن الأعور الحارثى وحشمه وأهل بيته وكان "شريك" شيعياً وقيل: كان معه خمسمائة فتساقطوا عنه وكان أول من سقط "شريك" ورجوا أن يقف عليهم فيسبقه "الحسين" إلى الكوفة فلم يقف على أحد منهم حتى دخل الكوفة وحده[1]).

وعلى كل حال فإن تهديدات "ابن زياد" أتت ثمارها فى البصرة فلم يخرج إلا واحد منهم مع "الحسين فقتل مع من قتل فى "كربلاء[2]".

لم تعرف البصرة والياً جديداً عليها حتى توفى "يزيد بن معاوية" وكان ماكان من أمر "معاوية" الثانى ورفضه النهوض بأمر الأمة إذ ظل "عبيد الله ابن زياد" عليها حتى طوى التاريخ صفحة السفيانين من خلفاء بنى أمية لتعيش البصرة كغيرها من أمصار الدولة الإسلامية وسط بحر لجى تغشاه الأمواج وتعصف به الأنواء إلى أن تمكنت الأمة من إلقاء مرسى سفينتها على مرفأ الاستقرار لما كان عام الجماعة الثانى الذى هيأ الفرصة (لبنى مروان) كيف يحكموا الدولة الإسلامية بلا منازع لتعيش البصرة فى ظلال ولاة جدد أرسلتهم الأسرة المروانية .

وذلك ما سوف نتناوله بالدراسة فى الفصل الثالث .

---

(١) النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٢٨٩.

(٢) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٣٥٤.

الفصل الثالث

ولاة البصرة بين عهدي السفيانيين والمروانيين

لما آل أمر الخلافة الأموية بعد وفاة يزيد الى معاوية الثانى [1] لم يمكث طويلاً يدبر أمر الدولة الاموية فقد تنازل عنها وتركها للأمة تختار لها واحد من رجالها ثم توفى .

وكان عبيد الله بن زياد ما يزال بالبصرة يدبر أمرها فبينما هو كذلك أتاه الخبر بوفاة معاوية الثانى مع مولاه حمران ، فأمر الوالى فنودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس ورقى عبيد الله بن زياد منبر المسجد الجامع بالبصرة فنعى الى أهلها معاوية الثانى، ثم راح يعدد لهم أوجه النعم التى عاشوا فيها منذ تولى أمرهم ، فزادت أعداد المقاتلين الذين ضمهم ديوانه ، ومثل ذلك ديوان العمال .

بالاضافة إلى الأمان الذى نعم به كل بصرى يعيش علي أرض المصر فلا يعتدى علي ماله وعرضه معتد .

---

[1] ابن يزيد أبو ليلى أمة أم هاشم ، وقيل أم خالد بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، بويع له بالخلافة فى النصف من شهر ربيع الأول سنة ٦٤ هـ ، اختلف فى مدة خلافته فقيل أربعون يوماً ، وقيل ثلاثة أشهر وجعلها بعضهم عشرين يوماً ، نقش خاتمة "الدنيا غرور" ، توفى لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين هـ عن عمر بلغ ثلاثا وعشرين وقيل إحدى وعشرين وقيل سبع عشرة سنة .

القضاعى : الإنباء بأنباء الأنبياء ص ٢٠٩ .

(لقد رأيتكم وما يحصى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألفا ولقد أحصى

اليوم مائة ألف ، وما كان يحصى ديوان عمالكم إلا تسعين ألف ،

ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفا ، وما تركتُ لكم ذا ظنةٍ أخافه

عليكم إلا ، وهو في سجنكم . وذكر لهم أن موقع بلادهم والرخاء

الذى يعيشون فيه يجعلهم بمنأى عن التأثر بالخلافات التى وقعت بين

الشاميين بعد موت معاوية الثانى فالناس لا يستغنون عنهم وفوض

إليهم اختيار واحد منهم يولونه أمرهم فما ؟ إلا واحد منهم يرضى

بما يرضون به (وقد اختلف الناس بالشام وأنتم اليوم أكثر الناس

عدداً ، وأعرضهم فناءً[1]

وأغناهم عن الناس ، وأوسعهم بلاداً فاختاروا لأنفسكم رجلاً

ترضونه لدينكم وجماعتكم ، فأنا أول راضٍ من رضيتموه فإن اجتمع

أهل الشام على رجل ترضونه لدينكم وجماعتكم دخلتم فيما دخل فيه

المسلمون وإن كرهتم ذلك كنتم على جديلتكم حتى تعطوا حاجتكم ،

فما بكم إلى أحد من أهل البلدان حاجة ولا يستغنى الناس عنكم)

فأبى المجتمعون إلا مبايعته فقبل ذلك منهم بعد تظاهره بالامتناع ،

---

[1] يريد انتشارهم وتشعبهم - ابن منظور : لسان العرب مادة فنى .

وحسب أن الأمور بالبصرة قد استقامت له [1] بيد أن البصريين كـــان لهم رأى آخر حين أرسل إليهم عبد الله بن الزبير سلمه بـــن ذؤيـــب الحنظلى ليدعوهم إلى بيعته مهتبلاً فرصة الفـــراغ السياســـى الـــذى عاشته الأمة بعد وفاة معاوية الثانى فلما وصلها رسول ابن الزبـــير قال لأهلها (إنى أدعوكم إلى ما لم يدعكم اليه أحد أدعوكم الى العـــائذ بالحرم يعنى عبد الله بن الزُبَير) فاجتمع إليه ناس وجعلوا يصفقـــون علي يديه يبايعونه فبلغ الخبر ابن زياد فجمع الناس فخطبهم قـــائلا : (إنه بلغنى أنكم مسحتم أكفكم بالحيطان وباب الدار وقلتم مـــا قلتـــم ، وإنى آمر بالأمر فلا ينفذ ويُرد علىّ رأيى ويُحال بين أعوانـــى وبيـــن طلبتى ثم إنّ هذا سلمة بن ذؤيب يدعو إلى الخـــلاف عليكـــم ليفـــرّق جماعتكم ويضرب بعضكم رقاب بعض بالســـيف) فقـــال الأحنـــف [2] والناس : نحن نأتيك بسلمة فأتوه بسلمه فإذا جمعُهُ قد كثف والفتـــق قد اتسع ، فلمّا رأوا ذلك قعدوا عن ابن زياد فلم يأتوه .فدعا عبيدُ الله رؤساء محاربة السلطان وأرادهم ليقاتلوا معه ، قـــالوا : إن أمرَنـــا قوّادُنا فعلنا فقال له إخوته : ما من خليفه فتقاتل عنه فـــإن هزمـــت

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـــ ٥ ص ٥٠٤ ، ٥٠٥ ابن الأثير : الكامل حـــ ٤ ص ١٣١ ، ١٣٢ .

[2] الضحاك بن قيس بن معاوية أبو بحر التميمى أسلم فى حياة النبـــى -ﷺ- سيد بنى تميم ، روى عن عمرو وعلي وأبى ذر وآخرين وعنه روى عمرو بـــن جاوان والحسن البصرى وآخرون ، قاتل مع على فى صفين، غلب عليـــه لقـــب الأحنف لحنف رجليه وهو العوج والميل ، اختلف فى تاريخ وفاته فمنهم من قال توفى فى سنة سبع وستين ومنهم من قال إحدى وسبعين . الذهبـــى : سير أعلام النبلاء حـــ ٥ ص ١١٩ : ١٢٧ .

رجعت إليه فأمدك ، ولعلّ الحرب تكون عليك وقد اتخذنا بين هـــؤلاء القوم أموالاً فإن ظفروا بنا أهلكونا وأهلكوها فلم تبقَ لك بقية [1]

أدرك ابن زياد أن استمرار ولايته بالبصرة أمر صعب المنال بعد النجاح الذي حققه سلمه بن ذؤيب فقرر الهروب منـــها فلاذ بدار مسعود بن عمرو الأزدى فظل بها حتى توفى فسار عبيد الله بن زيـــاد إلى الشام [2] ليشارك الأمويين بالرأى بعد الذى كان من وفاة معاويـــة الثانى .

صار البصريون بدون والٍ يدبر امرهم ، ويقيم القـــانون فيـــهم ، وحتى يجنبوا أنفسهم الاحتراق بنار العصبية القبلية فوضوا قيس بن الهيثم والنعمان بن سفيان الراسبى فى اختيـــار رجـــلٍ يتولـــى أمـــر البصرة فى هذا الظرف الدقيق ، وكان رأى قيس فى بنى أميـــة ورأى النعمان فى بنى هاشم فقال النعمان : ما أرى احداً أحق بـــهذا الأمـــر من فلان لرجل من بنى أمية ، وقيل بل ذكر له عبد الله بن الأسود

---

[1] خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٥٨ ، ٢٥٩
ابن الأثير : الكامل هـــ٤ ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .
[2] خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٥٨ .
ابن الأثير : الكامل هـــ٤ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥

الزهري وكان هوى قيس فيه ، وإنما قال النعمان ذلك خديعةً ومكـــراً
بقيس ، فقال قيس : قد ملكتك أمري ورضيت من رضيت ، ثم خرجـــا
إلى الناس ، فقال قيس قد رضيت من رضي النعمان فكـــــانت ولايـــة
عبد الله بن الحارث علي البصرة [1]

---

[1] الطبري : تاريخ الرسل والملوك حـ٥ ص ٥١٢ ، ٥١٣ .
ابن الأثير : الكامل حـ٤ ص ١٣٥ .
النويري : نهاية الأرب حـ ٢٠ ص ٥٠٥ .

ولاية عبد الله بن الحارث

على البصرة

لما فوض قيس النعمان بن سفيان الراسبي في اختيار من يراه صالحاً لأهل البصرة أمسك بيد عبد الله بن الأسود وكان ممن توجهت اليه أنظار البصريين وهم بصدد اختيار والٍ يتولى أمرهم فأخذ عليه العهود والمواثيق حتى ظن الناس أنه اختاره له والياً ثم تركه وسار الى الحارث بن عبد الله ففعل معه نظير ذلك ورقى النعمان منبر المسجد الجامع بالبصرة ليعلن على الناس ما استقر رأيه عليه ، وهو يختار حاكماً لهم يتولى أمر مصرهم فقال : (أيها الناس ما تنقمون من رجل من بنى عمّ نبيّكم وأمهُ هند بنت أبي سفيان قد كان الأمر فيهم ، فهو ابن اختكم ثمّ أخذ بيده وقال : رضيتُ لكم به فنادوه : قد رضينا ، وبايعوه وأقبلوا به إلى دار الإمارة حتى نزلها وذلك أول جمادى الأخرة سنة أربع وستّين) [1]

ولعل الذى جعل النعمان يختار عبد الله أنه من ذوى القرابة برسول الله -ﷺ- وأنه ممن شهد له غير واحد بالصلاح والصدق [2] فضلا عن كونه يتصل بالسفيانيين من جهة أمه الذين كان اليهم حكم الدولة الأموية قبل ذلك .

*فهو عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى ، وأمه هند بنت أبى سفيان بن حرب

---

(1) ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ١٣٦ .
النويري : نهاية الأرب جـ ٢٠ ص ٥٠٦

(2) ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ٥ ص ١٨١ .

ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي (1) ولد في حياة رسول الله ﷺ فأتت به هند بنت أبي سفيان أختها أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب زوج النبي -عليه السلام- فدخل عليها رسول الله ﷺ -فقال : ما هذا يا أم حبيبة ؟ قالت : هذا ابن عمك وابن أختي . فتفل رسول الله في فيه ودعا له (2) شهد الجابية (3) مع عمر بن الخطاب (4) -رضي الله عنه- تزوج بخالدة بنت معتب بن أبي لهب في إمارة عثمان بن عفان رضي الله عنه - الذي ولاه إمارة مكة في خلافته (5) .

حدث عبد الله بن الحارث عن عمر وعثمان وعلي والعباس و[illegible] بن [illegible] ، وكعب الأحبار وطائفة وأرسل حديثا .

كنى بأبي محمد ولقد انتقل عبد الله بن الحارث إلى البصرة مع أبيه وابتنى بها داراً وكان يلقب بَبَّه (6) ، إذ كانت أمه ترقصه في صغره وهي تقول :-

يا ببهْ يا ببه   لأنكحن بَبَّه

جاريةً خِدَبّة (7)   تسودُ أهلَ الكعبة (8)

---

(1) الزبيري / نسب قريش ص86 - الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ3 ص126
(2) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ5 ص 17 .
(3) بكسر الباء وياء مخففة قرية من أعمال دمشق: يا قوت : معجم البلدان جـ3 ص 21 .
(4) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ3 ص 126 .
(5) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ5 ص 17 ، 18 .
(6) حكاية صوت صبي وتطلق علي الغلام الممتلئ البدن: ابن منظور : لسان العرب مادة ببب .
(7) يراد بها السمينة اللحم . - ابن منظور : لسان العرب مادة خبب ، ببب
(8) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ3 ص 126 .

فلما استقر أمر البصريين على عبد الله بن الحارث كتبوا إلى عبد الله بن الزبير إنا قد رضينا به فأقره عبد الله بن الزبير على البصرة .[1]

كان من المأمول ألا تجد العصبية القبلية مجالاً لها بعد إجماع البصريين علي مبايعة ببّه بالإمارة لما اختاره النعمان ابن سفيان لهم إلا أن قبيلتى الأزد وربيعة عمدتا الى بعث هذه العصبية من جديد فأحيوا التحالف بينهما ، وقرر إعادة عبيد الله بن زياد إلى إمارته بالبصرة وتنحية ببّه عنها ، فلما رفعوا الأمر الى عبيد الله ابن زياد رأى البقاء فى مكانه حيث هو فى دار مسعود بن عمرو إلى أن ينجح المتحالفون فى تعبيد طريق عودته إلى إمارته بالبصرة ، وأوعز عبيد الله بن زياد إلى عدد من مواليه بالانخراط فى صفوف البصريين حتى يوافوه بسكناتهم وحركاتهم ليكون علي بينه من أمره وهو يتخذ قراره بالعودة إلى البصرة من عدمه .

تمكن المتحالفون من جعل مسعود بن عمرو يرقى منبر المسجد الجامع بالبصرة والخطبة فى أهلها ، وكان عبد الله ابن الحارث فى دار الإمارة فلما قيل له ، إن مسعوداً وأهل اليمن وربيعة قد ساروا وسيهيج بين الناس شر فلو أصلحت بينهم وركبت فى بنى تميم ، فقال : أبعدهم الله ، والله لأفسدت نفسى فى صلاحهم ، فلما رأى بنو تميم أن المتحالفين قد ازداد فسادهم فى البصرة .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٥ ص ١٨

وكثر مقاتليهم برجالهم لجئوا إلى زعيمهم الأحنف بن قيس ليخرج بهم للقاء مسعود بن عمرو ومالك بن مسمع زعيمي الأزد وربيعة فلم يخرج معهم الأحنف بن قيس إلا بعد أن تثبت من الأمر ورأى أن الخروج إلى الحرب صار ضرورة فتمكن التميميون من قتل مسعود بن عمرو في الأول من شوال سنة أربع وستين للهجرة ، ومن ثم أخفق المحالفون في إعادة عبيد الله بن زياد إلى امارته بالبصرة (١)

لما وقف الخوارج علي الخلاف الذى شجر بين البصريين رأوا اهتبال هذه الفرصة فخرجوا بقيادة زعيمهم نافع بن الأزرق فرماهم عبد الله بن الحارث والى البصرة برجال عليهم مسلم ابن عبيس بن ربيعة فتمكن من طردهم من البصرة واشتبك معهم عند الأهواز (٢) فاستشهدوا وقتل نافع بن الأزرق ولقى غير واحد من قادة الفريقين نفس المصير حتى نجح الخوارج فى هزيمة البصريين عند الأهواز فتملك الفزع أفئدة أهل البصرة مما كان سبباً فى جعل عبد الله بن الزبير يامر بعزل (٣) عبد الله بن الحارث عن المصر بعد

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥٢٥ .
النويرى : نهاية الأرب جـ٢٠ ص ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

(٢) أخرها زاى تطلق علي كورة باقليم خوزستان يحده من الشرق بلاد فارس ، يقع شرقى العراق ، وشمال الخليج العربى افتتحه المسلمون حوالى عام ١٦هـ ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص ٢٢٦ : ٢٢٨ . أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى جـ١ ص ٢١١ ، ٢١٢

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ٤ ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥
النويرى : نهاية الأرب جـ٢٠ ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ .

عام من حكمه لها وفيما بعد خرج منها هارباً إلى عمان خوفـــاً مـــن الحجاج إبان فتنة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فمات بعمان فـــي سنة أربع وثمانين [1]

---

[1] ابن سعد : الطبقات الكبرى جــ٥ صـــ ١٨ - الذهبي : سير أعلام النبلاء. جــ٣ ص ١٢٧ .

ولاية الحارث بن عبد الله

علي البصرة

جعل عبد الله بن الزبير الحارث بن عبد الله علـــي البصـــرة عوضا عن عبد الله بن الحارث [1] والوالى الجديد هو الحـــارث ابـــن عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بـــن مخـــزوم القرشى المخزومى [2] وهو لأم ولد نصرانية ماتت علي دينها وشارك المسلمون النصارى فى تشييعها إلى مثواها الأخير [3] ولقب الوالـــى المذكور بقباع [4] فاشتهربه [5] .

روى عن النبـــى - ﷺ - مرســـلاً وعـــن عمـــرو ومعاويـــة وغيرهم وعنه روى سعيد بن جبير والشعبى وغيرهما [6]

كان علي الحارث بن عبد الله تـــأمين البصـــرة مـــن خطـــر الخوارج المتربصين بها فإن هؤلاء لم يفت فى عضدهـــم مـــا نـــزل بقادتهم من القتل والجراحات علي يد البصريين فى عهد عبد الله ابـــن

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـــ٥ ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ . النويرى : نهاية الأرب حـــ٢٠ ص ٥١٠ .

[2] ابن الأثير : أسد الغابة حـــ١ ص ٤٥٧

[3] ابن سعد : الطبقات الكبرى حـــ٥ ص ٢١ .

[4] ذكر ابن منظور أن الحارث عير مكاييل البصرة فنظر إلى مكيال صغير فى مرآة العين أحاط بدقيق كثير فقال : إن مكيالكم هذا لقباع ، وقد تطلق الكلمة فيراد بها المكيال الضخم الواسع ، لسان العرب مادة قبع .

[5] ابن سعد : الطبقات الكبرى حـــ٥ ص ٢١ .

[6] ابن حجر : تهذيب التهذيب حـــ٢ ص ١٤٤ .

الحارث ، فعادوا إلى البصرة يريدون الاستيلاء عليها فى عهد واليها الجديد ، فلما علم البصريون بأمرهم فزعوا إلى الأحنف بن قيس ليخرج بهم حتى يحاربوا الخوارج إلا أن الرجل وهو المجرب العارف بالرجال أشار عليهم بالمهلب بن أبى صفرة [١] ليولوه عليهم [٢] فوضع البصريون كتاباً علي لسان عبد الله بن الزبير يأمر فيه المهلب بالخروج علي رأس جيش البصرة لقتال الخوارج فلما جاءه الكتاب قال المهلب لهم (والله لا أسير إليهم إلا أن تجعلوا لي ما غلبت عليه وتقطعونى من بيت المال ما أقوى به من معى فأجابوه إلى ذلك وكتبوا له به كتاباً وأرسلوا إلى ابن الزبير فأمضاه فاختار المهلب من أهل البصرة ممن يعرف نجدته وشجاعته اثنى عشر ألفا فسار بهم المهلب حتى طرد الخوارج عن البصرة وظل يلاحقهم إلى أن أجلاهم إلى الأهواز ، هناك صبر الفريقان لبعضهما ودارت بينهما معارك عدة انتهت بهزيمة البصريين علي يد الخوارج الذين انبثت جموعهم تريد ملاحقة فلول البصريين المنهزمة ومن ثم الاستيلاء

---

[١] ظالم بن سراق بن صبح بن كندى العتكى البصرى ، ولد عام الفتح وقيل بل ذلك أبوه ، حدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص وآخرين روى عنه غير واحد منهم سماك بن حرب حمل عكرمة بن أبى جهل أبا المهلب وكان صغيراً إلى المدينة بعد ما هزم قومه الذين كانوا ارتدوا عن الدين ، سكن البصرة توفى بمرو الروذ سنة اثنتين وثمانين وقيل فى التى تليها . ابن سعد: الطبقات الكبرى حـ٧ ص ٩٣ . الذهبى : سير أعلام النبلاء حـ٥ ص ٣٣٠ .

[٢] ذكر ابن اعثم فى الفتوح حـ٦ ص ١٠ ، ١١ أن الذى أشار بالمهلب بعض البصريين وليس الأحنف بن قيس وأن ذلك قد كان فى حضرة الوالى الذى دعاهم للتشاور فى أمر الخوارج الذين هددوا البصرة

على البصرة [1] ومما زاد الموقف حرجاً على أهلها فى هذا الوقت ما بلغهم أن المهلب قُتِل فرَّج المضر بأهله وهم أميرهم الحارث بن أبـى ربيعة بالهروب لولا أن البشير أقبل إلى أهل البصرة بسلامة المـهلب فاستبشروا بذلك واطمأنوا وأقام أميرها فى عمله بعد ما كـان أزمـع الهرب [2].

أما المهلب بن أبى صفرة فإنه اسـتطاع بمهارتـه الحربيـة تحويل هزيمته إلى نصر فاهتبل فرصة ملاحقة الخوارج للبصرييـن وباغت عسكرهم وتمكن من إلحاق الهزيمة بهم وجعلهم ما بين قتيـل وجريح وأسير ، وصارت أمتعتهم غنيمةً له ولجنده[3] وكتب كتاباً إلـى الحارث بن عبد الله يبشره فيه بالفتح الذى أفاء الله بـه عليـه فـى حربه للخوارج فرفع الحارث هذا الكتاب إلى عبـد الله بـن الزبـير بمكة [4] وبذلك أمن المهلب البصرة من خطر الخـوارج فـى عـهد الحارث بن عبد الله الذى ما كاد يستريح من هذا الخطر حتى فاجـأه خطر آخر فى البصرة تمثل فى دعوة المختار بن أبى عبيد البصرييـن للانضمام إلى شيعته فإنه أرسل إليهم رجلاً ذا عشيرة فى البصرييـن هو المثنى بن مخربة العبدى فأجابه إلى دعوته رجال من البصرييـن فسار بهم إلى دار الرزق فعهد الحارث بن عبد الله إلى صاحب شرطته

---

[1] ابن الأثير : الكامل جـ٤ ص ١٩٥ : ٢٠٠ .

[2] الدينورى : الأخبار الطوال ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

[3] ابن الأثير : الكامل جـ٤ ص ١٩٥ : ٢٠٠ . النويرى : نهاية الأرب جـ٢٠ ص ٥٢٤ ، ٥٢٥ .- الخضرى : محاضرات فى تاريخ الدولة الأموية ص٤٨٧ ، ٤٨٩ .

[4] ابن اعثم : الفتوح جـ٦ ص ٢٤ ، ٢٥ .

عباد بن حصين وقيس بن الهيثم التصدى للمثنى ورجاله فلما هزموهم لجأ المثنى إلى عشيرته بالبصرة وكادت تحدث حرب داخلية بها حين أراد واليها القبض علي رسول المختار إلى البصريين لولا تدخل الأحنف بن قيس الذى قضى بخروج المثنى وعصبته من البصرة آمنين دون أن يعرض لهم أحد بسوء [1]

ويبدو أن ابن الزبير كان يثق في الحارث وهمته لما رآه من نجاحه في حفظ بلاده من الخوارج ودعاة المختار فأرسل إليه يطلب منه مدداً حين هاجم جيش ابن دلجة من قبل مروان المدينة المنورة فكان لوجود البصريين أثر في هزيمة المدنيين للأمويين عند تخوم المدينة [2] ظل الحارث بن عبد الله علي البصرة حتى عزله عبد الله ابن الزبير عنها بعد ولاية استغرقت عاما ، ليؤول المصر بعده إلى مصعب بن الزبير [3]

---

[1] ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ . النويرى : نهاية الأرب جـ٢١ ص ٣٤ .

[2] اليعقوبى : تاريخه جـ٢ ص ٢٥٦ .

[3] ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٥ ص ٢١ .

لم تكن ولاية مصعب بن الزبير كغيرها من ولاة الزبيريين علي البصرة فيها ختم العهد الزبيرى ، وكانت أطولها عمراً وأكثرها أثرا علي مجريات الأحداث بالدولة الإسلامية كما سنبينه .

والوالى المذكور هو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد وأمه الرباب بنت أنيف بن عبيد بن مصاد بن كعب بن عليم بن جناب من كلب . تزوج بسكينة بنت الحسين وعائشة ابنة طلحة ، وأنجب أولاداً منهم عكاشة وعيسى ، كان من أحسن الأمراء الذين تولوا أمر البصرة . وهو من أجود الناس وأكثرهم عطاء ، لا يستكثر ما يعطى فكانت عطاياه للقوى والضعيف والوضيع ، والشريف متقاربة [1]

ولأن عبد الله بن الزبير يعلم عن البصرة أهمية موقعها ووفرة رجالها من المقاتلين الشجعان فإنه جعل عليها أخاه مصعبا حتى يحكم السيطرة عليها ويبادر إلى معاونته إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك فلما قلده عبدالله أمرها قدمها مصعب متلثما ودخل المسجد وصعد المنبر فقال الناس : أمير أمير وجاء الحارث بن أبى ربيعة وهو الأمير فسفر مصعب لثامه فعرفوه ، وأمر مصعب الحارث بالصعود إليه فأجلسه تحته بدرجة ثم قام مصعب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم " طسٓمٓ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن

---

[1] ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٥ ص ١٣٩ ، ١٤٠ - ابن كثير : البداية والنهاية جـ٨ ص ٣١٧ : ٣٢٣ - الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ٥ ص ١٥٩ : ١٦٢ .

نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إلى قوله من المفسدين فأشار بيده نحو الشام ؛ (وَنُرِيدُ أن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ استُضعِفُوا فِي الأَرضِ وَ نَجعَلَهُم أئِمَّةً و نَجعلَهُمُ الوَارِثِينَ) وأشار نحو الحجاز ؛ (و نُرِي فِرعَونَ وَهَامَانَ وَ جُنودَهُمَا مِنهُم مَّا كَانُوا يَحذَرُونَ)[1] ؛ وأشار نحو الكوفة ، وقال : يا أهل البصرة بلغني أنكم تلقبون أمراءكم وقد لقبتُ نفسي بالجزّار[2]

وكان المختار بن أبى عبيد قد ظهر بالكوفة والتف حوله الجند الغفير فخشيه أشراف أهلها ولاسيما أولئك الذين اضطلعوا بدور في مقتل الحسين رضوان الله عليه فلجأوا إلى مصعب بن الزبير بالبصرة فكان منهم من قطع ذنب بعيره وطرف أذنها مثل شبث بن ربعي فاستجاب لهم مصعب بن الزبير وكتب إلى المهلب بن أبي صفرة ليوافيه حتى يقاتلوا المختار[3].

ولست هنا بصدد تفصيل فتنة المختار بن أبي عبيد لكونها وقعت على أرض الكوفة إنما الذى يعنيني القول بأن مصعب بن الزبير نجح في القضاء على المختار بن أبى عبيد وقتل أتباعه مما أسهم في علو نجمه.

ويذكر اليعقوبي أنه لما قتل مصعب بن الزبير المختار ، واستقامت له أمور العراق ، حسده عبد الله بن الزبير على ذلك فوجه

---

[1] سورة القصص آية ١ : ٦

[2] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٩٣.

ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧

[3] النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٤٤، ٤٥.

حمزة ابنه إلى البصرة ، وكتب إلى مصعب أن يصرف أمرهـــا إلــى حمزة ففعل ذلك.[1]

ولقد اختلف المؤرخون حول ما إذا كان قرار عزل مصعب عـــن البصرة قد وافاه وهو بالعراق ثم أن عبد الله منع مصعباً من الرجـوع إلى عمله لمـــا زاره إثـــر قتلــه للمختـــار فيذكـــر الطـــبرى أن :- المصعب لما صار إلى المختار استخلف على البصرة عبيـــد الله ابـــن معمر ، فقُتل المختار ثم وفد إلى عبد الله بن الزبير فعزلـــه وحبســـه عنده واعتذرَ إليه من عَزْله ، وقال : والله إنى لأعلـــم أنـــك أحـــرى و كفى من حمزةَ ، ولكنى رأيتُ فيه رأى عثمانَ فـــى عبـد الله ابـــن عامر حين عَزَل أبا موسى الأشعرى وولاه.[2]

فى حين تذكر رواية أخرى :- أن مصعبا أقام بالكوفة سنةً بعـــد قتل المختار معزولاً عن البصرة ، عزله أخـــوه عبـــد الله واســـتعمل عليها ابنَه حمزة ثم إنّ مصعبا وفد على أخيه عبـــد الله فـــردّه علـــى البصرة ، وقيل بل انصرف مصعب إلى البصرة بعد قتـــل المختـــار ، واستعمل على الكوفة الحارث بن أبى ربيعة ، فكانتـــا فـــى عمـــله ،

---

[1] اليعقوبى . تاريخه جـ ٢ ص ٢٦٤.

[2] تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١١٧.

فعزله أخوه عن البصرة واستعمل

ابنه حمزة(١)

إن من يمعن النظر فى الروايات السابقة يجد أن الطبرى جعل العزل عند زيارة مصعب لأخيه بينما جعل ابن الأثير هذه الزيارة بعد العلم بالعزل وحكم مصعب للمصرين زمناً بعد قتله للمختار ، ليس هذا فحسب بل إن رواية الطبرى صرحت بالغاية التى توخى عبد الله تحقيقها لولده حين عزل أخاه عن المصر ليجعله ،ولده معلياً البنوة على الأخوة.

ولقد زاد الطبرى الأمر وضوحا حين ذكر على لسان عبد الله وهو ينقض سياسة ولده بالبصرة (أبعَده الله ! أردتُ أن أباهَى به بنى مروان فنَكصَ).(٢)

وإن جاز للمرء ترجيح رواية على أخرى فإنه يميل إلى ما ذكره الطبرى لأن عبد الله بن الزبير لما رأى أخاه قد وطد له الأمور بالبصرة والكوفة بهزيمته للمختار رأى الدفع بولده إلى حكمها مؤثرا إياه على أخيه بنعيمها ، فليس هناك من سبب يمكن للمرء أن يبرر به عزل عبد الله لمصعب عن البصرة فى ولايته الأولى إلا ما ذكر لأنه لا مجال للمقارنة بين رجل ضرب به المثل فى الشجاعة بين القرشيين هو مصعب بن الزبير وبين آخر دفع به أبوه إلى الحكم

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١١٨.

ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٢٧٩

(٢) تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١١٨

دون النظر فيما إذا كان لديه من التجارب والمؤهلات التي تجعله يحكم بلاداً واسعةً كالبصرة والمناطق التي تتبعها.

وعلى كل حال فإن حمزة بن عبد الله بن الزبير لما قدم البصرة حاكما ظهر منه ما جعل البصريين يستضعفونه ولا يقيمون وزنا لسلطانه فكان يجود أحياناً حتى لا يَدعَ شيئاً يملكه ، ويمنع أحياناً ما لا يمنع مِثلهُ فظهرت منه خفّه وضعف ، فيقال إنه ركب يوماً إلى فَيْض البَصرةُ ، فلما رآه قال : إن هذا الغدير إن رَفقُوا به ليكفينّهم صَيْفهَم ، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقه جازراً ، فقال : قد رأيت هذا ذات يوم وظننت أن لن يكفيهم، فقال الأحنف إن هذا ماءُ يأتينا ثم يغيِّض عنا ، وبعث حمزة إلى مَرْدَانْشاه فاستحثه بالخراج ، فأبطأ به ، فقام إليه بسَيْفه فضربه فقتله ، فقال الأحنف ما أحدُّ سيفَ الأمير[1]!

وكتب إليه أبيه وسأله أن يعزل حمزة عنهم ويعيد أخاه مصعباً فعزله ، فاحتمل حمزة معه عند رحيله عنها مالاً كثيراً من مال البصرة ، فعرض له مالك بن مسمع فقال له : لا ندعك تخرج بعطايانا ، فضمن له عبيد الله بن عبد الله العطاءَ فكفّ عنه ، وشخص حمزة بالمال وأتى المدينة فأودعه رجالاً ، فجحدوه إلا رجلاً واحداً فوفى له ، فلما بلغ ذلك اباه أنكر على ولده ما فعل.[2]

---

[1] الطبرى . تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١١٧

[2] ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٢٧٩

اليعقوبي : تاريخه جـ ٢ ص ٢٦٤

وذكر في سبب عزله قول آخر وهو: أنّه قصر بالأشراف وبسط يده ففزعوا إلى مالك بن مسمع فضرب خيمته على الجسر ثمّ أرسل إلى حمزة : إلحق بأبيك ، وأخرجه عن البصرة.[1]

ويذكر ابن أعثم الكوفي نقيض ما تقدم في سبب عزل حمزة عن البصرة أن الوالي لما لقبه البصريون (بقعيقعان)[2] غضب من ذلك ثم كتب إلى أبيه يستعفيه من الولاية فعزله و أرسل مكانه مصعب ابن الزبير.[3]

مما تقدم يتبين للقارئ الكريم أن حمزة بن عبد الله أثار البصريين عليه بفعله فيهم فإنه تخلى عن الأناة في معالجته لأمور ولايته مثلما رآه القارئ بقتل مردانشاه لما استبطأ وصول خراجه فأخذ عليه الأحنف ذلك وبنى عليه رأيه فيه ذلك الذي رفعه إلى أبيه يطلب فيه عزله عنهم ناهيك عن سوء معاملته لأشراف البصرة ورؤسائها أحدث ذلك هوةً بين الحاكم والمحكومين مما عجل بأفول نجمه وعودة مصعب بن الزبير.

لما جاء مصعب بن الزبير إلى البصرة سنة ثمان وستين للهجرة نهض بعبء المحافظة على أمنها من الخوارج الذين كانوا يحاولون النيل منها والمناطق التابعة لها وقد نجح في ذلك إلى حد

---

(1) ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٢٨١

(2) بالضم ثم الفتح بلفظ تصغير ، جبل بالأهواز نحتت منه أساطين مسجد البصرة سمي بذلك حين زاره واليها حمزة بن الزبير فقال كأنه قعيقعان (يريد جبل مكة) فرمه ذلك

ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ٧٤

(3) الفتوح جـ ٦ ص ٣٩

كبير [١] وبينما هو يعانى من الخوارج إذ بعبد الملك بـن مـروان [٢] يعمل على سلخ العراق من الزبيريين ليكون تحـت سـيطرة الحكـم الأموى فسير إلى البصرة فى سنة سبعين للهجرة خالداً بن عبـد الله ابن خالد بن أسيد بن أبى العيص فى وقت كان فيه مصعب بالكوفة.

وكان خالد قد قال لعبد الملك إن وجهتنى إلى البصرة وأتبعتنـى خيلاً يسيرة رجوت أن أغلب لك عليها.[٣] فوجهه عبد الملك فقدمـها مستخفياً فى خاصته حتى نزل على عمرو بن أصمع فأرسـل عمـرو إلى عباد بن الحصين وهو على شرطة عبيد الله بن معمـر ، وكـان مصعب قد استخلفه على البصرة ، ورجا ابن أصمع أن يبايعه عبـاد ابن الحصين وقال له : إنى قد أجرت خالداً وأحببـت أن تعلـم ذلـك لتكون ظهراً لى ، فوافاه الرسول حين نزل عن فرسه فقال عباد : قـل له و الله لا أضع لبدَ فرسى حتى آتيكَ فى الخيل فقـال ابـن اصمـع لخالد: إن عباداً يأتينا الساعة ولا أقدر أن أمنعك عنه فعليك " بمـالك ابن مسمَع" فأتى خالدٌ مالكاً بن مسمع فأجاره وأرسـل إلـى حلفائـه ليوافوه وانقسم أهل البصرة إلى فريقين : فريق شايع خـالداً بقيـادة

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٢٠،١٢١،١٢٢.

(٢) أبو الوليد بن الحكم ، أمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن ابى العاص ، أول من سمى بهذا الإسم فى الإسلام بويع له بالخلافة فى شهر رمضان سنة ٦٥هـ.

استمر فى المنصب احدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوما منها سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة عشر يوماً جاهد فيها عبد الله بن الزبير فى مكة ؛ نقش خاتمه (آمنت بالله مخلصاً) توفى فى النصف من شوال سنة ست وثمانين عن ستين سنة ، وقد أعقب من الأولاد ثمانية عشر ولداً

القضاعى : الإنباء بأنباء الأنبياء ص ٢١٧:٢١٩.

(٣) الزبيرى : نسب قريش ص ١٨٩

مالك بن مسمع والآخر ظل على ولائه لمصعب بن الزبير بالبصرة وخليفته عليها "ابن معمر".

ودارت بين الفريقين معركة ضروس عند الجفرة [1] امد فيها مصعب رجاله بألف عليهم " زحر بن قيس الجُعْفي " ، ومثل ذلك فعل عبد الملك فأمد خالداً بجند من قبله عليهم عبيد الله بن زياد ابن ظبيان . إلا أن مدد عبد الملك عاد إليه دون أن يصل إلى البصرة إذ كانت الحرب بين الزبيريين والأمويين قد وضعت أوزارها بانهزام خالد وأتباعه.

ولما عاد مصعب إلى البصرة أوسع الرجال الذين شايعوا خالداً ضرباً وأغلظ لهم القول وحلق شعورهم وأقامهم أياماً في العراء وجمر أبناءهم في البعوث وهدم دور بعضهم قبل أن يعود إلى الكوفة مرةً أخرى [2]

وهكذا كانت حرب الجفره بمثابة بداية النهاية لحكم مصعب والزبيريين بالبصرة فإن موقفه من البصريين بعد هذه الموقعة جعل السواد الأعظم منهم لا يبدون حماسةً في الذب عن ولايته ومن ثم

---

[1] بالضم آخرها هاء ، موضع بالبصرة يعرف بجفرة خالد قائد عبد الملك والذى خاض على أرضها معركة استمرت أربعين يوماً ضد الزبيريين.

ياقوت . معجم البلدان جـ ٣ ص ٦٤

[2] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٥١: ١٥٦

ابن اعثم : الفتوح جـ ٦ ص ٢٥٥: ٢٥٩.

ابن الأثير . الكامل جـ ٤ ص ٣٠٦،٣٠٧،٣٠٨

ابن الجوزى . المنتظم جـ ٤ ص ٢٦٣.

ابن خلدون . تاريخه جـ ٣ ص ٤٣،٤٤

عن خلافة أخيه بل على النقيض من ذلك راح الكثير من وجهائهم يعملون سراً لصالح عبد الملك بن مروان مثلما يراه القارئ من موقف العراقيين والأمويين عند مسكن[1]

موقعة مسكن

على الرغم من هزيمة جند عبد الملك عند الجفرة فإن الرجل ما فتئ يعمل على استثمار ما وقع بسببها بين مصعب والبصريين لصالحه فطفق يكاتب سراً وجهاء البصرة والمروانيين المقيمين بها يعدهم ويمنيهم الأعمال حتى ينقلبوا على مصعب بن الزبير الذى علم بامر هذه المراسلات عن طريق إبراهيم بن الأشتر وهو ممن كاتبهم عبد الملك.[2]

ذلك أنه لما وصل الكتاب إليه سار به إلى مصعب بن الزبير فدفعه إبراهيم إليه فقال له مصعب ما فيه فقال: ما قرأته، فقرأه مصعب فإذا هو يدعوه إلى نفسه ويجعل له ولاية العراق . فقال لمصعب : إنه والله ما كان من أحد آيس منه منى ، ولقد كتب إلى أصحابك كلهم بمثل الذى كتب إلى فاطعنى فيهم فاضربْ أعناقهم قال: إذاً لا تُناصحنا عشائرُهم قال : فأوقرْهم حديداً وابعث بهم إلى

---

[1] بالفتح ثم السكون وكسر الكاف ونون
موضع قريب من أوانا على نهر دُجيل عند دير الجاثليق
ياقوت معجم البلدان جـ ٨ ص ٢٦٤،٢٦٥

[2] الطبرى . تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٥٧
الدينورى . الأخبار الطوال ص ٣١٢
ابن عبد ربه العقد الفريد جـ ٤ ص ٤١٠

أبيض كمرّى فاحبسهم هنالك ، ووكلْ بهم من إن غُلبتَ ضرب أعناقهم ، وإن غلبت مننتَ بهم على عشائرهم فقال : يا أبا النعمان ، إني لفي شغل عن ذلك يَرحم الله أبا بَحرْ ، إن كان ليُحذِّرنى غدرَ أهل العراق ، كأنّه كان يَنظُر إلى ما نحن فيه! [1]

ولما أزمع عبد الملك الخروج بالشاميين للقاء مصعب عند دير الجاثليق[2] بمسكن حاول هؤلاء أثناءه عن ذلك وجعل هذه المهمة إلى رجل من قادته أبى ذلك وقال لهم : (إنه لا يقوم بهذا الأمر إلاّ قرشي له رأى ، ولعلّى أبعث من له شجاعة ولا رأى له ، وأنى أجد في نفسي أنى بصير بالحرب شجاعٌ بالسيف إن ألجئتُ إلى ذلك ومصعب في بيت شجاعة ، أبوه أشجع قريش ، وهو شجاع و لا علم له بالحرب ، يحبُ الخفض ومعه من يُخالفه ومعي من ينصح لي.

فسار عبد الملك حتّى نزل مَسْكِن ، وسار [3] مصعب إلى بالجُمَيْرَا [4] فلم يفصله عن معسكر عبد الملك إلا ثلاثة فراسخ.

---

(1) الطبرى تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٥٧

ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٢٥.

(2) دير قديم البناء رحبُ الفناء من طسّوج مسكن قرب بغداد في غربي دجله في عرض حربى وهو في رأس الحد بين السواد وأرض تكريت

ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٣٧.

(3) الطبرى تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٥٧

ابن الجوزى المنتظم جـ ٤ ص ٢٦٤.

(4) بضم الجيم وفتح الميم وياء ساكنة وراء مقصورة موضع دون تكريت / ياقوت معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٥١

ولما التقى الفريقان عند مسكن قاتل مصعب بن الزبير وشيعته جند الشام في جمع يسير من العراقيين الذين انفضوا عنه [1] كعادتهم مع قادتهم في ساعة الوغى ولقد حاول عبد الملك جعل مصعب يدخل في أمانه فأرسل إليه محمداً بن مروان بالأمان فأبى مصعب إلا القتال فقاتل حتى طعنه "زائدة بن قدامة" بسهم أسقطه على الأرض واحتز رأسه " عبيد الله بن زياد بن ظبيان"[2] وذلك في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى أو الآخرة سنة احدى وسبعين للهجرة[3].

كان من الطبعي أن تضطرب الأمور بالبصرة بعد قتل واليها مصعب بن الزبير ، فإن غير واحد من رجالها كان يمني نفسه بولايتها . فها هو ذا حمران بن أبان وعبيد الله بن أبي بكرة يتنازعان ولاية البلد بعد علمهما بقتل مصعب فقال ابن أبي بكرة لحمران بن أبان أنا أعظم غناءً منك ، أنا كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجُفْرة فقيل لحُمران : إنك لا تقوى على ابن أبي بكرة فاستعن بعبد الله بن الأهتم ، فإنه إن أعانك لم يقو عليك ابن أبي بكرة ففعل ، وغلب حمران على البصرة وابن الأهتم على شرطها.

---

(1) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٤ ص ٢٦٤،٢٦٥.

(2) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٥٩.
الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣١٣.
ابن اعثم : الفتوح جـ ٦ ص ٢٦٣، ٢٦٤
اليعقوبي : تاريخه جـ ٢ ص ٢٦٥.

(3) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٤ ص ٢٦٦

وحمران بن أبان ذو منزلة عظيمة عند الأمويين يدلك على هذا أنه حين مال رداؤه عن عاتقه ابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسويه[1]

لم تطل ولاية حمران على البصرة فابن عبد الملك بعد قتله لمصعب دخل بلاد العراق فبايعه[2] العراقيون البصريون منهم والكوفيون لتستقبل البصرة عهداً جديداً حكمها فيه المروانيون بولاة أرسلوهم إليها تباعاً حتى غربت شمس الدولة الاموية على يد العباسيين.

---

(1) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٦٥
ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٨ ص ٣١٧
(2) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٦

الفصل الرابع

ولاة البصرة في العهد المرواني

لما دانت بلاد العراق بالطاعة لعبد الملك طفق يرسل إليها الولاة من قبله فأرسل إلى البصرة أول والٍ عليها بعد قتله لمصعب هو خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسيد ، جده أَسيد بن أبي العيص ، زعموا أن رسول الله - ﷺ - نظر إلى ولده خالد بن أَسيد يتقاذف في مشيته ؛ فقال "اللهم زده فخراً".

مات ذلك الجد بمكة وله من الولد عبد الله بن خالد وغيره فولد عبد الله بن خالد بن أسيد خالداً الذى حارب خليفة مصعب على البصرة عند الجفرة كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، والعجب أن خالداً هذا كان قبلاً من شيعة مصعب فانقلب عليه لما اتهمه بممالأة المختار بن أبي عبيد الثقفي فلما كان ما كان من أمر هزيمة المختار وقتله لجأ خالد إلى عبد الملك فأحسن الأفادة منه.[1]

لما رأى عبيد الله بن أبي بكرة أن حمران بن أبان قد صفت له البصرة دونه شد رحاله إلى حاضرة عبد الملك فرفع إليه ما كان بينه وبين حمران من نزاع على ولاية البصرة .

ويبدو لي أن عبد الملك أراد أن يجنب البصرة صراعاً قبلياً ربما ينشب بسبب الخلاف بين الرجلين فرأى أن الأوفق للمصر أن يعهد به إلى خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسيد هذا ومن ناحية أخرى

---

[1] الزبيري : نسب قريش ص ١٨٧ - ١٩٠

فإن الخليفة ربما أراد مكافأة خالد على إخلاصه له في مجابهته لمصعب بن الزبير ولأن لخالد عشيرةً بالبصرة يتقوى بها ، ومن ثَمَّ جعله أول والٍ له على البلد ، فلما ولاه أوصاه بقوله : أكرم جفريتك يعني الذين قاتلوا معه يوم الجُفرة ونصروه على عمال ابن الزبير فاستعملهم وأكرمهم.

سير خالد عبيد الله بن أبي بكرة خليفة له عليها حتى يصلها بنفسه فلما رأى حمران بن أبان عبيد الله بن أبي بكرة عائدا إلى البصرة من سفرته قال له : لقد جئت لا جئت فكان "عبيد الله عليها حتى قدم "خالد" (١) إليها فاستدعى المهلب بن أبي صفرة فقال له أردت أمراً أكنت أولى به مني ، أنت والله أعلم بحرب القوم غير أني قد رأيت رأيا! قال المهلب : وماذاك؟ أصلح الله الأمير ! فقال أوليك خراج الأهواز فتمضي إليها وتنفي الأزارقة عنها وتقيم بها وأولّي أخي عبد العزيز حرب القوم ، فقال له المهلب : أيها الأمير أنا لا أصلح للخراج ، وأخوك عبد العزيز لا يصلح لحرب الأزارقة لأن هذا الأمر له شأن يسكع عنده الجبان ويثبت عنده الحازم(٢) إلا أن خالدا أبىٰ إلا المضي قدما في رأيه فعزله وولاه الأهواز وجعل مكانه أخاه عبد العزيز بن عبد الله بن خالد في التصدي للأزارقة وأمده بمقاتل ابن مسمع فأخفق الرجلان في مهمتهما فهزمتهم الأزارقة وفر عبد العزيز بن عبد الله بن خالد في فَلّ يسير من رجاله يطلبون النجاه

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٦٨.

الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٦٥.

ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٣٦.

(٢) ابن اعثم : الفتوح جـ ٦ ص ٣٠٢.

بأنفسهم فلما وقف المهلب على ما نزل بجند خالد بن عبد الله على يد الأزارقة عند الأهواز أشخص رسولاً من عنده إلى خالد بن عبد الله يقول له : أرسلني إليك المهلب لأخبرك خبر ما عاينته ، قال : وما عاينت ؟ قال رأيت عبد العزيز برامهرمز[1] مهزوما ، قال كذبت ، قال لا والله ما كذبت وما قلت لك إلا الحق فإن كنت كاذباً فاضرب عنقي ، وإن كنت صادقاً فاعطني أصلحك الله جبتك ومطرفك : قال ويحك ! ما أيسر ما سألت ولقد رضيت مع الخطر العظيم إن كنت كاذباً بالخطر الصغير إن كنت صادقاً فحبسه وأمر بالإحسان إليه حتى تبينت له هزيمة القوم ، فكتب إلى عبد الملك : أما بعد ، فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أني بعثت عبد العزيز بن عبد الله في طلب الخوارج ، وأنهم لقوة بفارس فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم عبد العزيز لما انهزم عند الناس وقتل مقاتل بن مسمع وقدم الفل إلى الأهواز أحببت أن أعلم أمير المؤمنين ذلك ليأتيني رأيه وأمره أنزل عنده إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله.

فكتب إليه :

(أما بعد ، فقد قدم رسولك في كتابك ، تعلمني فيه بعثتك أخاك على قتال الخوارج ، وبهزيمة من هزم وقتل من قتل وسألت رسول عن مكان المهلب فحدثني أنه عامل لك على الأهواز فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابيًا من أهل مكة على القتال ،

---

(1) هي مدينة مشهورة بنواحي خورستان تشتهر بالنخل والجوز
ياقوت معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٨٣،٣٨٢.

وتدع المهلب إلى جنبك يجبى الخرّاج ، وهو الميمونُ النقيبة الحسن السياسة البصير بالحرب ، والمقاسى لها ، ابنها وابن أبنائها!).[1]

وعلى الرغم من الجهود التى قام بها والى البصرة ضد الخوارج مؤيداً من والى الكوفة بشر بن مروان إلا أن عبد الملك قرر عزله عن البصرة بعد ما تأكد له أنه غير قادر على حماية البلد من الخوارج المتربصين به [2] فعزله عن البصره وجعلها إلى أخيه بشر ابن مروان الذى صار والياً على المصرين البصرة والكوفة[3]

ولاية بشر بن مروان

على البصرة

هو بشر بن مروان أخو عبد الملك بن مروان ، أمة قُطية بنت بشر بن عامر ملاعب الأسنة بن مالك بن جعفر بن كلاب[4] ضم إليه أخوه البصرة مع الكوفة بعد الذى كان من أمر خالد بن عبد الله ابن خالد مع الخوارج ، والوالى المذكور منعوت بالسماحه والجود.

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٧١.

[2] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٦٩ . ١٧٣

ابن اعثم الفتوح جـ ٦ ص ٣٠٥ . ٣٠٩.

ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٤٢ : ٣٤٤.

الخضرى · محاضرات فى تاريخ الدولة الأموية ص ٤٩٠ ٤٩١

[3] ابن الأثير الكامل جـ ٤ ص ٣٦٣.

ابن خلدون · تاريخه جـ ٣ ص ٤٦

[4] الزبيرى · نسب قريش ص ١٦١

كان لا يغلق دونه الأبواب ويقول إنما يحتجب النســـاء وكـــان طلق الوجه . وكان يجيز على الشعر بألوف.

وقد امتدحه الأخطل بقوله :-

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ولا دم مهراق[1]

قدم البصرة في ذي الحجة سنة أربع وسبعين [2] فكـــان علـــى غرار سلفه في موقفه من المهلب بن أبي صفرة فإنه لم يتلق بالرضـا أمر أخيه عبد الملك له جعل المهلب بـــن أبـــي صفـــرة علـــى رأس البصريين في التصدي للخوارج فأزمع الكيد له حتـــى يحجبــه عـــن الأضواء ذلك انه لما جاءه كتاب الخليفة يأمر بتسيير المهلب لقتـــال الأزارقة عند الأهواز استدعى "بشر بن مروان" عبد الرحمن بن أبـــي مخنف فولاه قيادة الجند الكوفيين الذين امد بهم جند البصرة بقيـــادة المهلب وقال له : قد عرفت منزلتك عندي ، وقد رأيتُ أن أوليكَ هـــذا الجيش الذي أسيره من الكوفة للذي عرفته منك، فكنْ عنـــد أحســـن ظني بك وانظر إلى هذا الكذا كذا يقع في المهلّب فاستبد عليه بـــالأمر ولا تقبلنّ له مشورة ولا رأياً وتنقّصه . قال عبد الرحمـــن فـــترك أن يوصّيني بالجيش وقتال العدّو والنظر لأهل الإسلام ، وأقبـــل يغرينـــي بابن عمّي كأنّي من السفهاء ، ما رأيتُ شخصاً مثلي طمع منـــه فـــي مثل هذا ، فلما رأى أني لستُ بنشيط إلى جوابه قال لي مالك ؟ قلـــتُ أصلحك الله ، وهل يسعني إلاّ انفاذ أمرك فيما أحببتَ وكرهتَ!

---

[1] ابن كثير البداية والنهاية جـ ٩ ص ٧

[2] خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٧١.

ولقد عقب أحد الباحثين المحدثين على مقولة بشر لعبد الرحمن (وكان بشر أخرق فيما صنع ، لأنه استجهن ... منه ما لا يصح طلبه وأغراه بالمهلب مع أنه ابن عمه . ولذلك فإن ذلك القائد لم يكن منه إلا أنه تجاهل كلام الأمير الشاب واستخف بعقله) [1]

وسار المهلب حتى نزل رامهرمز فلقى بها الخوارج فخندق عليه واقبل عبد الرحمن فى أهل الكوفة فسار حتى نزل على ميل من المهلب حيث يتراءى العسكران برامهرمز فلم يلبث العسكر إلا عشرا حتى أتاهم نعُى بشر بن مروان [2]

فإنه أصيب بقرحة فى عينه فقيل له يقطعها من المفصل فجزع فما أحس حتى خالطت الكتف ثم أصبح وقد خالطت الجوف ثم مات فى أول سنة خمس وسبعين وهو ابن نيف وأربعين سنة ولما احتضر جعل يبكى ويقول : والله لوددت أنى كنت عبداً أرعى الغنم فى

---

(1) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(2) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ .
ابن الأثير . الكامل حـ٤ ص ٣٦٥ ، ٣٦٦

البادية لبعض الأعرب ولم ان ما وليت ، فذكر قولـــه لمشـهد ابـــن المسيب [1] فذا الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يفرون إلينا ولـــم يجعلنا نفر إليهم [2] ،

أحدثت وفاة بشر اضطراباً فى صفوف الجند البصريين وعرورهم وهم يقاتلون الازارقة فعاد كثير منهم الى البصـــرة دون إذن قادتهم فحاول ... بن عبد الله بن خالد الذى كان استخلفه بشر على البصرة وهو فى مرض موته تدارك الأمر بعد وفاة الأمير ، فكتب كتاباً الـــى الجند الذين يحاربون الخوارج حذرهم فيه من غائلة العقوبات التـــى سينزلها بهم عبد الملك إن لم يواصلوا قتال الأزارقة وتامين مصرهم والمناطق التابعة له فليس الخليفة من الرجال الذين لا يخشى المـــرء باسهم (أعلموا على من اجترأتم ومن عصيتم ! إنه عبدُ الملك ابـــنُ مرواز أميرُ المؤمنين ، الذى ليست فيه غَميزة ، ولا لِأهل المعصيـــه عنده رُخْصة سوْطه على من عصَى وعلى من خـــالف سيفه ، فـــلا تجعلوا على انفسكم سبيلاً ، فانى لم آلُكمْ نصيحةً عبـــادَ الله ارجعـــوا إلى مَكتَبْكم (أمكنتكم) وطاعة خليفتكم ولا ترجعوا عاصين مخـــالفين

---

[1] ابن حزن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخـــزوم القرشـــى المخزومى تابعى ، ولد لسنتين بقيتا من خلافه عمر ، روى عن أبى بكر مرسلاً، وعمرو وعثمان وعلى وغيرهم ، وعنه روى ابنه محمد وسالم بن عبد الله بـــن عمرو الزهرى وآخرون ، أفقه أهل الحجاز ، اشتهر بتعبير الرؤيا. توفى ســـنة أربع وتسعين هجرية ، عن عمر بلغ تسعاً وسبعين سنة . ابن حجر : تـــهذيب التهذيب حـــ٤ ، ص ٨٤ : ٨٨ .

[2] خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٧٣ ابن كثير : البداية والنهاية حـــ ٩ ص ٧.

فيأتوكم ما تكرهون . أقسم بالله لا أثقف [١] عاصياً بعد كتابي هذا إلا قتلته إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)

وعلى الرغم من تحذيرات خالد بن عبد الله بن خالد لهم ... الجم الغفير منهم عادوا إلى ديارهم فظلوا بها حتى كانت ولاية الحجاج العراق .[٢]

ولاية الحجاج العراق

حظى هذا الرجل بعناية المؤرخين بأخباره بالنظر الى الأعمال التى قام بها للمروانيين قبل أيلولة العراق إليه ولطول مدة هذه الولاية وعظم الأحداث التى وقعت على أرض البصرة وغيرها من حواضر العراق خلالها وهو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى تزوج أبوه يوسف من الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفى فاستولدها كليباً الذى غلب عليه لقب الحجاج ، نشأ فى الطائف فاشتغل مع أبيه بتعليم الصبية ، روى أحاديث عن ابن عباس وانس[٣]،ولى عبد الملك أباه يوسف عدة ولايات وبعض الألوية فى الحروب وكذلك فعل الخليفة مع عمه محمد فولاه اليمن [٤] .

---

(١) أى تظفر به أو تأخذ . ابن منظور : لسان العرب مادة ثقف .
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ ص ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ .
(٣) ابن الأثير : الكامل حـ٤ ص ٥٨٥ .
(٤) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ .
البلخى: البدء والتاريخ حـ٦ ، ص ٢٨ .
ابن خلكان : وفيات الأعيان حـ٢ ص ٢٩

بدأ الحجاج أول خطواته في طريق الشهرة عندما لحق روح ابن زنباع * الجذامي وزير عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته إلى أن رأى عبد الملك انحلال عسكره وأن الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله فشكا ذلك إلى روح بن زنباع فقال له : إن في شرطتي رجلاً لو قلّده أمير المؤمنين أمر عسكره لأرحل الناسَ برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجاج بن يوسف ، قال : فإنا قد قلدناه ذلك ، فكان لا يقدر أن يتخلّفَ عن الرحيل والنزول إلا أعوان روح بن زنباع ، فوقف عليهم يوماً وقد أرحل الناس وهم على طعام يأكلون فقال لهم : ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين ؟ قالوا له : أنزل يا ابن اللّخناء فكل معنا ، قال لهم : هيهات ، ذهب ما هنا لك ، ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم في العسكر وأمر بفساطيط روح فأحرقت بالنار ، فدخل روح على عبد الملك باكياً وقال يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج الذي كان في شرطتي ضرب غلماني وأحرق فساطيطي ، قال علي به ، فلما دخل عليه قال له : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : أنا ما فعلتُ قال : ومن فعل ؟ قال أنت فعلت ،إنما يدي يدك ، وسوطي سوطك ، وما على أمير المؤمنين أن يخلف لروح عوض الفسطاط فسطاطين ، وعوض الغلام غلامين ، ولا يكسرني فيما قدمني له [1]

---

[1] ابن عبد ربه : العقد الفريد حـ٥ ص ١٣ ، ١٤ .
ابن خلكان : وفيات الأعيان حـ٢ ص ٣٠ ، ٣١ .

راق عبد الملك ما صنعه الحجاج فولاه تبالة [١] فلما رآها احتقرها وانصرف ، فقيل فى المثل أهون من تبالة على الحجاج ثم ولاة عبد الملك الحرمين بعد قتله لعبد الله بن الزبير فى مكة[٢]

ولقد اختلف المؤرخون حول ما إذا كان الحجاج جاءته ولاية العراق فجأة وهو بالمدينة أم أنه طلبها حين عرضها عبد الملك على جلسائه.

فمن الأول ما ذكره الطبرى أن الحّجاج بن يوسف خرج من المدينة حين أتاه كتاب عبد الملك بن مروانَ بولاية العراق بعد وفاة بشر بن مَرْوَانٌ فى إثنى عشر راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجاءة [٣]

ومن الثانى ما روى أن عبد الملك لما علم باضطراب الأحوال فى العراق عرض ذلك على جلسائه فلما فرغ من وصف أحوال البلاد وصفاً دقيقاً قال لهم من للعراق فقد أطرقت الليوث ، ولست أرى أسداً يقصد نحو فريسته، فسكت الناس ، فقام الحجاج بن يوسف الثقفى فقال : أنا للعراق يا أمير المؤمنين ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا الحجاج بن يوسف معدن العفو والبوار ، قال : أجلس فلست هناك ، ثم أطرق ملياً فقال من للعراق فقد قوى الضعيف ، وخضع الشديد ، فقال الحجاج : أنا للعراق يا أمير المؤمنين فقال : يا بن يوسف ، لكل

---

(١) بالفتح بلدة مشهورة من أرض تهامة فى طريق اليمن . يا قوت معجم البلدان حـ٢ ص ٤٢٨

(٢) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٩٦

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٢٠٢

أمر آلة وقلائد .فما آلتك وقلائدك ؟ قال : القتل والعفو ، والمكاشفة والمداراة ، والخوف والرفق ، والعجلة والريث ، والإبراق والتبسم والإرعاد والتنفس ... ألخ.

فولاة عبد الملك العراق جميعه وأطلق يده فى الكراع والسلاح والرجال فدخل الكوفة مستخفياً حتى صعد منبر مسجدها. (١)

إن من يمعن النظر فيما سبق يجد الرواية الأولى راجحة والثانية مرجوحة لأن رواية ابن الجوزى تحمل بين ألفاظها ما يوهنها فلا يعقل أن يسأل عبد الملك قائده الأشهر " من أنت" وهو الذى وقف الموقف القوى من أتباع رُوح بن زنباعٌ ووطدله الأمر بالحرمين فرجل هذا شأنه لا يجهله خليفة مجرب عالم ببواطن الرجال مثل عبد الملك ، ومن ثم فإن الذى يتفق مع واقع الأحداث هو أن عبد الملك اختار الحجاج للعراق لما رآه من تفوق ظاهر لهذا القائد فى مكة ثم المدينة.

وعلى كل حال فإن الحجاج بن يوسف ألقى فى الكوفيين خطبة بين لهم فيها أن أمير المؤمنين ما اختاره إلا بعد ما رآه كفئاً لهذه الولاية وأقسم لهم لينزلن بالخارجين منهم عظيم العقاب الا أن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان كب كنانته فعجم عيدانَها فوجدنى أصلبها عُوداً ، فوجهنى إليكم ، فإنكم طالما سَعْيتم فى الضَلالة وسَنَنْتُم سنن البغى .... أما والله إنى لأحمل الشر بثقله

---

(١) ابن اعثم : الفتوح جـ ٧ ص ٣،٢،١
ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٣٠٤،٣٠٣،٣٠٢.

وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله ، أما والله إنى لأرى رؤسا قـــد أينعـت وحان قطافها ، وكأنى أرى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق.[1]

ولما فرغ الحجاج من خطبته لم يفه أحد ممن كان بالمسجد وفيـهم أهل الشرف والرياسة بكلمة يعترض فيها على قوارص كلمة وشـديد زهوه بنفسه أو يظهر استياءه لما لحق أهل بلده من مذلة وما لحـق بهم من مهانة.

ومن هذه الخطبة نتبين السياسة التى رسـمها الحجـاج للسـير عليها مع أهل العراق وهى سياسة حزم ممزوج بالظلم والجبروت ولا غرو فقد أخذ الناس بغير هوادة وقتلهم على الريبة والظنة[2].

أما البصرة فإن الحجاج وهو بالكوفة أرسل إليها الحكم بـن أيـوب الثقفى وأمره أن يشتد على خالد بن عبدالله فلما بلـغ خـالداً الخـبر خرج من البصرة قبل أن يدخلها الحكم فنزل الجلحاء وشـيعه أهـل البصرة فلم يبرح مصلاه حتى قسم فيهم ألف ألف درهم[3].

ولقد أحسن الحجاج فى اختياره لهذا القائد الثقفى فإنه أمّن له المصر قبل قدومه إليه فقد تصدى لداود بن النعمان أحد بنى مازن بن عبـد

---

(1) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥.
ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧.
ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٥ ص ١٧، ١٨.
(2) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام جـ ١ ص ٣٠١، ٣٠٢.
(3) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٢٠٩
ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٣٠٩.
ابن خلدون : تاريخه جـ ٣ ص ٥٤

القيس الذي قدم البصرة من البحرين يريد اثارة التمرد بها في وجـــه السلطة الحاكمة فأرسل إليه "الحكم" "عباد بن حصين" فقضـــى عليـــه قبل أن يستفلظ عودة[1] فلما قدم الحجاج البصرة فعل بها نظـــير مـــا فعل بالكوفة فألقى فى أهلها خطبةً توعدهم فيها مثل وعيده للكوفيين، ، وقتل أمام أهلها رجلاً من بنى يشكر مثلما فعل بالكوفة عندما قتـــل ابن ضابئ فتملك أهل البصرة الفزع[2] من واليهم الجديـــد بعـــد مـــا شاهدوا بأعينهم شدته فيهم تلك التى ترامت إلى أسماعهم عن طريـــق الكوفيين القادمين إليها وتمنوا الخلاص منه.

ولقد بدا هذا جلياً فى موقف الجارود بن عبـــد الله العبـــدى مـــن الحجاج حين خطب البصريين مخـــبراً إيـــاهم رغبتـــه فـــى نقصـــان أعطياتهم فقال : إنّ الزيادة التى زادكم ابنُ الزبير فى أعطياتكم زيـــادة فاسق منافق ، ولستُ أجيزُها فقام إليه عبدُ الله بن الجارود العبْـــدى فقال: إنها ليست بزيادة فاسق منافق ، ولكنها زيادة أمير المؤمنيـــن "عبدالملك" قد أثبتها لنا . فكذبه وتوعده[3].

تسببت هذه المواجهة بين ابن الجارود وأميره الحجاج فى نشـــوب ثورة بالبصرة كادت تفضى إلى القضاء على ولايته ولمّا يمض عليـــها سوى وقت يسير لا يجاوز بضعة أشهر ذلك أن ابـــن الجـــارود لقـــى

---

[1] خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٧٢.
اليعقوبى : تاريخه ص ٢٧٥.
ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٠.
[2] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٢١٠.
[3] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ص ٢١١.

وجهاء البصرة بعد الذى كان من وعيد الحجاج له لو عاوده النصرة وقالوا : نحن معك وأعوانك إن هذا الرجل غير كافٍ حتى ينقصنا هذه الزيادة ، فهلم نبايعك على اخراجه من العراق ثم نكتب إلى عبد الملك نسأله أن يولى علينا غيره فإن أبى خلعناه ، فإنه هائب لنا ما دامت الخوارج فبايعه الناس سراً وأعطوه المواثيق على الوفاء وأخذ بعضهم العهود على بعضهم.

فلما وقف الحجّاج على أمر ابن الجارود وأتباعه أخذ حذره فأحرز بيت مال المصر فلما خرج ابن الجارود بالبصريين عليه في ربيع الآخر سنة ست وسبعين ؛ وجد الحجّاج نفسه في موقف بالغ الحرج ؛ إذ لم يبق معه إلا النزر اليسير من الرجال . أما السواد الأعظم من البصريين فقد التفوا حول ابن الجارود فقطعوا الجسر فأرسل الحجاج رسولاً إلى ابن الجارود برسالة فيها : أتطيب نفساً بقتلك وقتل أهل بيتك وعشيرتك؟ والذى نفسى بيده لئن لم تأتنى لأدعن قومك عامة وأهلك خاصة حديثاً للغابرين.

لم تحقق هذه الرسالة للحجاج مرتجاه ، فإن ابن الجارود ظل على موقفه من الثورة عليه فزحف بأتباعه نحوه ، وأخذ أتباع ابن الجارود زوجتى الوالى الذى شاور صاحب شرطته بالبصرة زياد ابن عمرو العتكى وعثمان بن قَطَنٍ فى كيفية مواجهة هذا الموقف الصعب الذى ألم به فقال له : زياد أنا آخذ لك من القوم أماناً وتخرج حتى تلحق بأمير المؤمنين فقد ارفض أكثر الناس عنك ولا أرى لك ان تقاتل بمن معك فقال عثمان بن قطن لكنى لا أرى ذلك إن أمير المؤمنين قد شركك فى أمرك وخالطك بنفسه [illegible] ساطه

فسرت إلى ابن الزبير ، وهم أعظم الناس خطراً فقتلته ، فـــولاك الله شرف ذلك وسناه ، وولاك أمير المؤمنين الحجاز ، ثم رفعت فـــولاك العراقين ، فحيث جريت إلى المدى وأصبت الغرض الأقصـــى تخــرج على قعود إلى الشام والله لئن فعلت لا نلت من عبدالملك مثل الـــذى أنت فيه من سلطان أبداً وليتضعن شـــأنك ، ولكنـــى أرى أن نمشـــى بسيوفنا معك فنقاتل حتى نلقى ظفراً أو نمـــوت كرامـــاً . فقـــال لـــه الحجاج:الرأى ما رأيت وحفظ هـــذا لعثمـــان وحقدهـــا علـــى زيـــاد ابن عمرو.

ولما اشتد الأمر على الحجاج أرسل إلى بعض رؤســـاء العشـــائر بالبصرة يطلب الأمان فلم يستجب إليه واحد منهم وأخذ يتظاهر أمـــام جند ابن الجارود بالتهديد والوعيد حتى يسمعه أتباع جند ابن الجارود كى لا يزدادوا طمعاً فيه.

ولقد أخفق ابن الجارود في تحقيق الهدف المرتجى من ثورتـــه تلك عندما لم يأخذ برأى أحد أتباعه وهو يرى الحجاج.

وقد أخذ بعض البصريين ينضمون إليه رويداً رويداً فقـــال لـــه : تعش بالجدى قبل أن يتغدى بك ، أما ترى من قد أتاه منكـــم ؟ ولئـــن أصبح ليكثرن ناصره ولتضعفن منتكم فقال : قد قرب الـ[illegible] ولكنـــا نعاجله بالغداة.

وثمت سبب آخر يعزى إليه اخفاق ثورة ابن الجارود فى تحقيـــق اهدافها هو ذلك الإنقسام الذى وقع فى معسكر هذا القـــائد لبصـــرى فانه حين مر به عباد بن الحصين الحبطى وجده فى خاصـــة رجالـــه

وهم يتناجون ، فقال أشركونا فى نجواكم . فقالوا هيهات أن يدخل فى نجوانا أحد من بنى الحبط! فغضب وسار إلى الحجاج فى مائة رجل فأبدى ترحيباً شديداً به وقال له : ما أبالى من بعدك.

شجع هذا الموقف الذى وقفه عباد بن الحصين من ابن الجارود كثيراً من رؤساء العشائر البصريين على الانضمام للحجاج فأخذوا رويداً رويداً ينفضون عن "ابن الجارود"[1] وينضمون إلى الحجاج فزحف على الثوار بستة آلاف رجل من البصريين فاشتبكوا معهم فى معركة انجلت عن قتل ابن الجارود وانفضاض الناس عنه فساروا هنا و هناك ونادى الحجاج فيهم بالأمان فأمنوا على أنفسهم وأموالهم[2] وبذلك ينجح الحجاج فى التغلب على أول عقبة كؤود صادفته بعد قدومه إلى البصرة.

وبعد القضاء على هذه الثورة التى قام بها البصريون على الحجاج أمكنه التصدى لخطر الأزارقة فنجح فى ذلك نجاحاً فاق به الولاة السابقين عليه بالبصرة[3].

فإنه ظل يمد المهلب بالرجال من الكوفة والبصرة من سنة ست وسبعين إلى سنة ثمان وسبعين للهجرة إلى أن استطاع تأمين

---

(1) ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٨٣،٣٨٤.
ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ٩،١٠.
ابن خلدون : تاريخه جـ ٣ ص ٥٤،٥٥.
(2) ابن الأثير : الكامل جـ ٤ص ٣٨٤،٣٨٥.
ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٣١٠.
(3) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٢٢١.

البصرة والسدادق تابعة لولايته من مطر هؤلاء الأزارقة وإن لم يتمكن من استئصال شأفتهم بالكلية.[1]

ولم يكن هذا بالأمر الهين فإن الخوارج أرهقوا البصريين وولاته من أمرهم عسراً فكانوا يقتتلون على الشيء الحقير إذا ضاع منهم قتالهم على الشيء العظيم يرونه في ملاحقتهم لأعدائهم كما زعموا وموتهم في سبيل ذلك نعمة لا تدانيها نعمة ، فكان الواحد منهم إذا أصيب بسهم أو طعن برمح يسعى إلى قاتله ويقول عَجِلْت إليك ربِّ لترضى[2].

ما كاد الحجاج بن يوسف الثقفي يستريح من ثورة ابن الجارود حتى قامت في وجهه بعد وقت قليل ثورة أشد من سابقتها تلك التي تزعمها ابن الأشعث.

ثورة ابن الأشعث

كان عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي[3] من الذين استرعوا أنظار معاوني الحجاج بالبصرة إليهم ، فحين أراد الحجاج اختيار رجل يعهد إليه بشرطته هناك ذكر له كاتبه عبد الرحمن بن الأشعث الذي وجد هذا المنصب أقل من طموحاته التي منّى نفسه بها فقد (روى الشعبي أن ابن الأشعث قال له حين جاءه

---

[1] ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٨٨.
ابن خلدون : تاريخه جـ ٣ ص ٥٦،٥٧.
[2] ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ١ ص ٢١٩،٢٢٣.
[3] الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٥ ص ١٩١
ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ٦ ص ٢٥٦

يبشره بموافقة الحجاج على ترشيح الكاتب له) (ومثنى يتقلد سيفا ويمشى بين يدى ابن أبى رغال ! والله ما رأيت أحداً قط على منبره يخطب إلا وظننت فى نفسى أنى أحق بذلك منه ! قال فقال له : عنك هذا ، فإن الحجاج ليس ممن يعادى ولا يناوح ، فلا تسأله عن نفسك ! فتبينت الكراهة فى وجهه)[1] ثم ركب وركبت معه إلى عنبسه ابن سعيد كاتب الحجاج ، فلما دخلنا عليه قلت : أصلحك الله ! إنى قد أخبرت أبا الأشعث بما كان من برك وعنايتك ورأيك فكره ذلك ! فقال عنبسه : ولم ذلك ؟ قال ابن الأشعث لأنه لا حاجة لى فى ولاية الشرطة . قال الشعبى فسكت عنبسه ، فقلت له : جعلت فداك ! تدارك إصلاح ذلك ، فقال : أفعل ذلك . ثم ركب إلى الحجاج فلما دخل وأخذ مجلسه جعل يتناعس فى المجلس ، فقال له الحجاج : ما قدمتك ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! إنى إمتنعت اليوم من القائلة ، قال الحجاج ولم ذلك ؟ قال : لأنى أشرت على الأمير أصلحه الله بعبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث ، وهو رجل شريف شديد الحياء من الناس،وأخاف عليه الشفاعات قال الحجاج : فلا حاجة لى فيه ولكن دلونى على رجل يصلح لهذا الأمر !. فعين آخر على شرطتة.[2]

ولقد استعان الحجاج بابن الأشعث بعد ذلك فى التصدى للخوارج غير أنه لم يحدث بينهم وبين ابن الأشعث قتال مما يدلك على أن الرجل كان محط أنظار الوالى ومعاونيه ولولا ذلك ما سيره الحجاج لقتال الخوارج خلفاً لزائدة بن قدامة الذى قتل على أيديهم.

---

(1) ابن اعثم : الفتوح جـ ٧ ص ١٠٩،١١٠.

(2) ابن اعثم : الفتوح جـ ٧ ص ١١٠.

ولما فرغ الحجاج من تخضيض شوكة الخوارج كما سبقت الإشارة إليه عقد العزم على وضع حد للتجاوزات التى يرتكبها رتبيل ملك الترك من منعه للجزية غير مرة فسير لهم الحجاج جيوشا بقيادة ابن أبى بكرة الذى هزم على يد رتبيل بخديعة خدع بها المسلمين فكتب الحجاج الى عبد الملك يخبره بهزيمة الجيش ويستأذنه فى توجيه جيش آخر إلى تلك البلاد حتى لايزداد طمع أعداء الدولة فى المسلمين المقيمين بالعراق.(١)

ولقد جاء كتاب عبد الملك موافقاً لما أرتآه الحجاج فى ضرورة التصدى للخارجين بقيادة رتبيل فأزمع الحجاج تجهيز جيش غير مسبوق فى عدده وعتاده ليبعث به إلى هذه الوجهة وجعل عليه عبد الرحمن بن الأشعث وهو من أهل الكوفة على الرغم من أن الطبرى وغيره ذكروا فى روايات لهم أن الحجاج كان يبغض هذا الرجل فإنه كان يقول عنه : ما رأيته قط إلا أردت قتله ، وسمع الشعبى ذلك من الحجاج ذات يوم فأخبر عبد الرحمن به ، فقال : والله لأحاولن أن أزيل الحجاج عن سلطانه . فلما أراد الحجاج أن يبعث عبد الرحمن على ذلك الجيش أتاه إسماعيل بن الأشعث فقال له : لا تبعثه فوالله ما جاز جسر الفرات فرأى لوال عليه طاعة وإنى أخاف خلافة ، فقال

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٣٢٢،٣٢٤.
ابن أعثم : الفتوح جـ ٧ ص ١١٢،١١٣.
فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٢٢٣.
عبد الشافى عبداللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموى ص ٥٠٧،٥٠٨.

الحجاج : هو أهيب لى من أن يخالف أمرى ومشورة على دلك الجويش.[1]

ولا يدرى المرء سبباً يجعل الحجاج يبعث به على راس جيش الطواويس مع بغضه له اللهم إلا أن يكون الحجاج قد رأى كفاءة فى ابن الأشعث فنحى بغضه جانباً وآثر عليه صالح البلاد.

وعلى كل حال فإن ابن الأشعث خرج على رأس هذا الجيش الجرار فوصل إلى بلاد "رتبيل" فخاض أولى معاركه بهذه البلاد فأرسل إليه ملكها "رتبيل" يسأله الصلح فأبى ابن الأشعث إلا المضى قدماً وطفق كلما حاز بلدا من بلاد هذا الملك عين عليها العمال ثم حبس ابن الأشعث أتباعه عن الوغول فى أرض "رُتْبيل" وقال نكتفى بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها، وتجترىء المسلمون على طرقها ثم نتعاطى فى العام المقبل ما وراءها[2].

وكتب ابن الأشعث بذلك الرأى إلى الحجاج فلما وقف عليه والى العراق سفه رأى قائده ابن الأشعث فى رسائل ثلاث انتهى فيها إلى تهديده بالخلع واستبدال اسحاق بن الأشعث به.

---

(1) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٩.
ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٥.
ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٤٥٤،٤٥٥.
(2) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٣٢٩.
ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٢.

هنا دعا عبد الرحمن الناس وقال أيها الناس إنـــى لكــم نــاصح ولصلاحكم محبّ ولكم فى كل ما يحيط بكم نفعه ناظرٌ ، وقد كان رأيـى فيما بينى وبين عدوّى بما رضيه ذوو أحلامكم وأولو التجربة منكــم ، وكتبت بذلك إلى أميركم الحجّاج فأتانى كتابـــه يعجزّنـــى ويضعّفنـــى ويأمرنى بتعجيل الوغول بكم فى أرض العدُو وهى البلاد التـــى هلــك فيها اخوانكم بالأمّس ، وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مضيتم وآبـــى إذا أبيتم.

فثار إليه الناس وقالوا : بل نأبَى على عدوّ الله ولا نسمع لــه ولا نطيع . وأنشأ غير واحد من وجهاء الجيـــش يقولـــون أقـــوالاً فـــى الجموع المحتشدة دعوا فيها الناس إلىٰ خلع الحجاج ومؤازرة ابـــن الأشعث فمنهم من قال : اخلعوا عدوّ الله الحجاج وبايعوا الأمير عبـــد الرحمن ، فإنىّ أشهدكم أنّى أوّل خالع ومنهم من قال : بايعوا أمـــيركم وأنصرفوا إلى عدوّكم الحجاج فانفوه عن بلادكم . فوثب الناس إلـــى عبد الرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من أرض العراق وعلـى النّصرةُ له.[1]

وكان نص البيعة (تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه وخلع أئمـــة الضلالة وجهادِ المحِلّين ، فإذا قالوا نعم بايَعَ)[2]

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٣٣٦،٣٣٥،٣٣٤.

ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٤٦٣،٤٦٢،٤٦١.

ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٥.

ابن خلدون : تاريخه جـ ٣ ص ٦١.

[2] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٣٣٨.

وأنشأ ابن الأشعث بعد هذا الموقف يرسل من قبله عمالاً يجبون أموال الخراج من الأهواز والمناطق المحيطة بها حتى يتقوى بذلك قبل توجهه المرتقب إلى البصرة[1] رفع الحجاج خبر هذا التمرد إلى الخليفة عبد الملك بن مروان وسأله أن يمده بالجنود حتى يتصدى له وانتقل إلى البصرة ليحميها من خطر ابن الأشعث الذى استعد لهذه المواجهة فراسل المهلب بن أبى صفره ليساعده فى ثورته على الحجاج[2] فكتب إليه المهلب كتاباً نصحه فيه بلزوم الطاعه والبقاء فى الجماعة حقناً لدماء المسلمين وكتب المهلب إلى الحجاج كتاباً آخر ضمنه تجربته مع أهل العراق فقال له : (إنّ لأهل العراق شـّرةً فى أول مخرجهم ، وصبّابة إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شىء يردّهم حتى يسقطوا إلى أهليهم ، ويشمّوا أولادهم ، ثمّ واقِفهم عندها

فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله) .

فلما قرأ كتابه قال : (فَعَلَ الله به وفَعل . لا والله مالى نَظَر ولكن لابن عمه نصح) [3] أخذ عبد الملك يشخص جموع الشاميين إلى الحجاج بالبصرة فخرج منها يريد لقاء ابن الأشعث قبل دخوله

---

[1] ابن اعثم : الفتوح جـ ٧ ص ١٢٩ .

[2] خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٧٩ .

ابن كثير : البداية والنهاية جـ٩ ص ٣١ .

[3] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٣٣٩

ابن اعثم : الفتوح جـ٧ صـ١١٨ ، ١١٩ .

عبد الشافى عبد اللطيف: العالم الإسلامى فى العهد الأموى صـ ٥١٣ ، ١٤

إياها غير أن جيوشه منيت بالهزيمة على يد أتبـــاع ابـــن الأشـــعث فلاحق العراقيون فلول جنده يقتلون ويأسرون ويغنمون الأمتعة حتـــى دخلوا البصرة التي تركها الحجاج وخطب ابن الأشعث أهلها قـــائلاً : (أما الحجّاج فليس بشئ ، ولكنا نريد غزو عبد الملك) .

وأقبل أهل البصرة على ابن الأشعث فـــى ذى الحجـــة ســـنة إحدى وثمانين [1] فبايعوه ولا سيما قراؤهم .

وكان السبب في سرعة إجابتهم إلى بيعته أنّ عمال الحجّـــاج كتبوا إليه : إن الخراج قد انكسر وإن أهل الذمّة قد أسلموا ولحقـــوا بالأمصار . فكتب إلى البصرة وغيرها : إنّ مَنْ كان له أصل من قرية فليخرُج إليها ، فأخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية ، فجعلـــوا يبكـــون وينادون يا محمّداه يا محمّداه ! ولا يدرون أين يذهبون ، وجعل قـــرّاء البصرة يبكون لما يرون ومن ثَمّ بادروا إلى مبايعة ابن الأشعث علـــى خلع الحجاج وعبد الملك [2].

لم تكن هذه المعركة التي دخل إثرها ابن الأشـــعث البصـــرة حاسمةً للصراع بينه وبين الحجاج فإن جيوش الرجلين التقـــت عنـــد

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ صـ ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢.
ابن كثير البداية والنهاية جـ٩ صـ ٣٦ ، ٣٧ . ٥

[2] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ صـ ٣٨١
ابن الأثير : الكامل جـ٤ ٤٦٥
فلهوزن : تاريخ الدولة العربية صـ ٢٢٦ .

الزاوية [١] فى معركة تمكن فيها الحجاج بعد لأى من هزيمـــة ابـــن الأشعث[٢] الذى سار إلى الكوفة .

وهنا يرى القارئ أهل البصرة يريدون تدارك أمرهم ، وتثبيت سلطانهم بعد هزيمة ابن الأشعث فوثبوا إلى عبد الرحمن بن عبـــاس ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتل بهم خمس ليال الحجاج أشد قتال رآه الناس ، ثم انصرف فلحق بابن الأشعث وتبعـــه طائفة من أهل البصرة [٣] .

وبعد أن استقامت البصرة للحجاج خرج منها يريـــد الكوفـــة التى بايع أهلها ابن الأشعث على خلع عبد الملك بن مروان والحجـــاج ، وتفاقم الأمر وكثر متابعوا ابن الأشعث على ذلـــك واشـتد الحـــال وتفرقت الكلمة جداً وعظم الخطب واتسع الخرق على الراقع .

فقد وقعت عند أرض الكوفة موقعةٌ كبيرةٌ بين الحجاج وابـــن الأشعث فى دير الجماجم[٤] تلك التى استمرت مائة يـــوم كـــان فيـــها الفريقان يخرجان عند مطلع كل شمس لخوض الحرب فما يعودون إلا

---

[١] موضع قرب البصرة.
ياقوت : معجم البلدان جـ٤ صـ٤٦٦

[٢] خليفة بن خياط : تاريخه صـ٢٨١ /الطبرى:تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٣٤٢، ٣٤٣.
اليعقوبى تاريخه جـ٢ صـ٢٧٨

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ صـ ٣٤٣
ابن الجوزى: المنتظم جـ٤ ص٣٧١
ابن خلدون: تاريخه جـ٣ ص٦٢.

[٤] بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر للسالك إلى البصرة
ياقوت : معجم البلدان جـ٤ صـ٣٣٨

عند الغروب وقد تكسرت السيوف فكان يؤازر ابن الأشعث فيها مائة ألف من أهل العراق ومثلهم من مواليهم[1] .

أما الحجاج فقد آزره جند الشام ونزل عند دير قرة [2] وقال ما بهذا المنزل بُعدٌ من أمير المؤمنين ، وإنّ الفلاليج [3]وعين التمر[4] إلى جنبنا فنزل فكان فى عسكره مخندقاً وابن محمد كذلك .

فكان كل يوم من الأيام المذكورة يمضى عليها يزيد فى قرب المعسكرين من بعضهما وهم يتصارعون بالسيوف ، فلما بلغ عبد الملك ذلك اراد[5] أن يجنب دولته هذه الحرب الداخلية التى تحصد أرواح الألوف من الناس ، وتطمع الأعداء فى أمة الإسلام .

ومن ثمّ استجاب الخليفة لنصائحه حين قالوا له فى شأن ابن الأشعث وخلافه إن كان إنما يرضى أهل العراق أن يُنزع عنهم الحجاج فانزعه تحقن به الدماء ، فإن نزعه أيسر من حربهم ، فأخذ عبد الملك برأى نصحائه وقرر الكتابة إلى ابن الأشعث بذلك لعله

---

(1) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٣٤٧
ابن الجوزى : المنتظم جـ٤ صـ٣٧١،٣٧٢
عبد الشافى عبد اللطيف : العالم الإسلامى فى العصر الأموى صـ٥١٥

(2) موضع ملاصق لدير الجماجم من طرف البر مما يلى الكوفة .
ياقوت : معجم البلدان جـ٤ صـ٣٥٥

(3) بالفتح وهى قرى السواد .
ياقوت : معجم البلدان جـ٦ صـ٤٤١

(4) بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة
ياقوت : معجم البلدان جـ٦ صـ٣٦٩

(5) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٣٤٧

يدرك بقلمه ما يغنى أتباعه عن استخدام الحسام فلما بلغ ذلك الحجاج كتب إلى عبد الملك كتابا حاول فيه الحيلولة دون ظهور هذا الرأى إلى النور معتمداً على ما لأهل العراق من ماضٍ أليمٍ مع قادتهم فقوم هذه حالهم لا تجدى سياسة اللين معهم نفعاً (يا أمير المؤمنين ، والله لئن أعطيت أهل العراق ترعى فإنهم لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك ، ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر على عثمان بن عفان ، فلما سألهم ما تريدون ، قالوا : نزع سعيد بن العاص ، فلما نزعه لم تقم لهم قائمة حتى ساروا إليه فقتلوه ، إن الحديد بالحديد يقرع ، خار الله لك فيما ارتأيت)[1] فأبى عبد الملك الأخذ برأيه ووصل رسول الخليفة إلى أهل العراق بكتاب من عبد الملك إليهم فيه : (إن كان يرضيكم منى عزل الحجاج عنكم عزلته عنكم ، وبعثت عليكم أعطياتكم مثل أهل الشام ، وليختر ابن الأشعث أى بلد شاء يكون عليه أميراً ما عاش وعشت وتكون إمرة العراق لمحمد بن مروان ، وقال فى عهده هذا : فإن لم تجب أهل العراق إلى ذلك فالحجاج على ما هو عليه وإليه إمرة الحرب ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك فى طاعة الحجاج ، وتحت أمره لا يخرجون عن رأيه فى الحرب وغيره)[2]

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم جـ٤ص٣٧٢
الخضرى: محاضرات فى تاريخ الدولة الأموية ص٤٨٢
(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٣٤٧، ٣٤٨
ابن اعثم : الفتوح جـ٧ ص ١٣٧
ابن كثير: البداية والنهاية جـ٩ ص ٤١

فلما وقف أهل العراق على ما فى كتاب الخليفة اجتمعوا إلـــى ابن الأشعث ليسمعوا رأيه فيما عرضه الخليفة عليـــــهم ، فحمـــد الله تعالى ثم قال : أما بعد فاقبلوا ما عَرضوا عليكم وأنتم أعزّاءُ أقويـــاءُ والقومُ لكم هائبون .

فوثب الناس من كل جانب فقـــالوا : إن الله عـــز وجـــل قــد أهلكهم ، فأصبحوا فى الضنك والمجاعة والقلة والذلة ، ونحـــن ذوو العَدَدُ الكثير ، والمادّة القريبة ، لا والله لا نقبل وأعادوا خلعه ثانيـــة ، فرجع محمد بن مروان ، وعبد الله إلى الحجاج فقالا : شأنَكَ بعسكرك وجندك فاعمل برأيك ، فإنا قد أُمرنـــا أن نسَـــمع ونطيـــع ، وخلَّيـــاه والحرب.[1]

وعلى كل حال فإنه بعد إخفاق مساعى عبد الملك السلمية فـى تجنب إراقة الدماء استمر الحجاج على رأس جيشه يخـــوض حـــرب دير الجماجم ضد ابن الأشعث[2] .

حتى إذا كان آخر يوم من أيام القتال قاتل أهل العراق أحسن قتال إذ خرج سفيان بن الأبرد الكلبى من قبل ميمنة جيـــش الحجـــاج حتى دنا من الأبرد بن قرة التميمى ، وهو على ميمســـرة جيش ابـــن

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص ٣٤٩

ابن الجوزى : المنتظم جـ٤ ص٣٧٢ ، ٣٧٣ .

(٢) يمكن للقارئ الكريم إن هو أراد الوقوف على تفاصيل صور المبارزة وأحداث معركة دير الجماجم مطالعة تاريخ الطبرى جـ٦ ص٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤. ابن كثير : البداية والنهاية جـ٩ ص ٤٢ ، ٥٠ .

الأشعث فما قاتله كبير قتال حتى انهزم ، وكان شجاعاً ولم يكن الفرار له بعادة ، فظن الناس أنه قد كان أُعطِى له الأمان وقد صولح على أن ينهزم بالناس ، وأثار ذلك ريبة الخيانة ، وأحدث ذعراً بين الجند فتقوضت الصفوف من نحوه ، وركب الناس وجوههم وأخذوا فى كل وقت هاربين ولم يستطع ابن الأشعث أن يوقف فرارهم وفر[1] هو أيضا[2] فوصل بيته[3] وعليه السلاح ، وهو على فرسه لم ينزل عنه ، فخرجتْ إليه ابنتهُ فالتزمها وخرج إليه أهلهُ يبكون فأوصاهم بوصّية وقال : لا تبكوُا ، أرأيتم إن لم أترككْم كم عسيتُ أن أبقَى معكم حتى أموت ! وإن أنا مِتّ فإن الذى رَزقَكم الآن حىٌّ لا يموت وسيَرزُقكم بعدَ وَفاتى كما رَزقكم فى حياتى ، ثم ودع اهله وخرج من الكوفة[4] هائماً على وجهه فى صحبة ثلة من الأتباع حتى وصل إلى بلاد رُتبيل ملك الترك.[5]

---

(١) ما طالعة القارئ الكريم من أخبار معارك ابن الأشعث ضد الدولة الأموية لا يتضمن كل المواقع التى خاضها هذا الثائر ضد والى العراق فإنه حارب الحجاج فى أربع وثمانين موقعة كانت له الغلبه فيها جميعاً خلا موقعة دير الجماجم التى وقف القارئ علي بعض أخبارها هنا

خليفه بن خياط : تاريخه ص ٢٨٥

اليافعى : مرآة الجنان جـ١ ص ١٣٠

الذهبى العبر جـ١ ص ٦٨

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص ٣٦٣

ابن كثير : البداية والنهاية جـ٩ ص٤٧

فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٢٣٠

(٣) ابن اعثم الكوفى : الفتوح جـ ٧ ص ١٤٠ ، ١٤١

(٤) الطبرى :تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٣٦٤

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٩ ص ٤٨،٤٩

فلما وقف الحجاج على مكان ابن الأشعث تتابعت كتبه إلى رتبيل في عبد الرحمن : أن ابعث به إليّ ، وإلا والذى لا إله غيره لأوطئن أرضك ألف ألف مقاتل .

وكان مع عبد الرحمن رجل من تميم يقال له عبيد بن سُبَيع ، التميمي وكان رسوله إلى رتبيل فخص برتبيل وخف عليه ، فقال القاسم بن محمّد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن : إنى لا آمن غدر هذا التميمي فاقتله . فخافه عبيد ووشى به إلى رتبيل وَخوفه الحَجّاج ودعاه إلى ... بابن الأشعث وقال له : أنا آخذ لك من الحجّاج عهداً ليكفّنّ عن أرضك سبع سنين على أن تدفع إليه عبد الرحمن فأجابه إلى ذلك ، فخرج عُبَيد إلى " عمارة بن تميم اللخمى " سُّراً وهو ممن آزروا الحجاج فى التصدى لثورة ابن الأشعث وملاحقته بعد فراره من واقعة دير الجماجم[1] فذكر عبيد لعمارة ما استقّر مع رتبيل وما بذل له ، وكتب عُمارة إلى الحَّجاج بذلك ، وأجابه إليه أيضاً وبعث رتبيل برأس عبد الرحّمن إلى الحجاج .

وقيل إنّ عبد الرحمن كان قد أصابه السلّ فمات فأرسل رتبيل إليه فقطع رأسه قبل أن يُدفَنَ وأرسله إلى الحَّجاج.[2]

---

[1] يمكن للقارئ إن هو أراد الوقوف علي المزيد من أخبار عمارة بن تميم اللخمى مع الحجاج وهو يتصدى لابن الأشعث مراجعة الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٣٤٩ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٩ ، ٣٩١

(٢)ابن الأثير : الكامل جـ٤ ص٥٠١ ، ٥٠٢

ابن الجوزى : المنتظم هـ٤ ص٣٩٥

ابن خلدون : تاريخه هـ٣ ص ٦٦

ومن المؤرخين من خالف ذلك فقال : بعث الحجاج عمارة أبـو تميم القينى إلى رتبيل فى أمر ابن الأشعث فصالح رتبيلَ ، وخلى بينه وبين "ابن الأشعث" فأوثقه عمارة وعدة من أهل بيتـــه فـــى الحديـــد وأقبل بريد الحجاج وقد قرن به رجل يكنى " أبا العنز " ، فلما صــــار بالرخج[1] طرح نفسه من فوق القصر فماتا جميعاً ، وحمل رأس ابـــن الأشعث إلى الحجاج ثم بعث به إلى عبد الملك[2] ، ولما فرغ الحجـــاج من حرب ابن الأشعث أنشأ يأخذ البيعة ممن آزروه لعبد الملـــك ابـــن مروان ولم يكن يقبلها إلا من رجل شهد على نفسه بالكفر ثم التوبـــة منه[3]

وأنشأ الحجاج ينكل بأتباع الثـــائر فمنـــهم مـــن لاذ بـــالفرار واحتجب عن الأنظار ومنهم من قبض عليه فألقاه فى غياهب الســـجن أو قتله أمثال سعيد بن جبير وإبراهيم التيمى وغيرهما.[4]

---

(١) بتشديد ثانيه وآخره جيم
كورة ومدينة من نواحى كابل
ياقوت: معجم البلدان جـ٤ ص ٣٩٨

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٨٨ ، ٢٨٩
البلخى : البدء والتاريخ ج٦ ص ٣٦
اليعقوبى : تاريخه ج٢ ص ٢٧٩

(٣) خليفه بن خياط : تاريخه ص ٢٨٢

(٤) البلاذرى: فتوح البلدان ق٢ ص٤٣٦
أبو العرب التميمى: المحن ص ٢٠٤، ٢٠٥
ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ٥ ص ٥٣، ٥٤
أبى الفدا المختصر فى أخبار البشر جـ١ ص٢٧٦
ابن الوردى : تاريخه جـ١ ص١٧٠، ١٧١
ابن كثير: البداية والنهاية جـ٩ ص ٩٦ ، ٩٧

وهكذا نجح الحجاج فى تجنيب ولايته بل الدولة الأموية خطر ثورة كانت ستقضى على سلطان الأمويين فى بلاد العراق وفارس ثم بقية الحواضر ولعل الأسباب التى جعلت الحجاج يحرز هذه الانتصارات تتلخص فيما يلى :-

١-سوء إدارة ابن الأشعث لثورته فإنه حين خرج على الحجاج لم يعمل على تأمين سلطانه بشكل كامل فى المناطق التى حازها بل كان يتعجل إضافة المزيد إليها من ولاية الحجاج دون ضمان لاستقرار حكمه فيها .

٢-طمع أهل العراق فى القائد جعله غير قادر على اتخاذ قرار نابع من ذاته فى القضايا التى عرضت له خلال مدة ثورته فقد رأيته يميل إلى الأخذ بأمان عبد الملك له ولأتباعه ليتحقق للعراقيين ما كانوا يتمنون من إقصاء الحجاج عنهم ولنفسه ما كان يطمح فى الحصول عليه وهو ولاية مصر من الأمصار كى يكون فى مصاف أولى الأمر فى الولايات الإسلامية ولقد رآه القارئ الكريم يعبر عن هذه الطموحات فى مقولته السابقة للشعبى عندما نقل إليه رأى الحجاج فى ابن الأشعث ، ومع عدم قناعته بموقف أتباعه من أمان عبد الملك فقد مضى معهم حتى كان الذى رأيته من الإخفاق عند دير الجماجم .

٣- همة عبد الملك بن مروان كانت هى الأخرى عاملاً حاسماً فى جعل كفة الصراع تميل إلى صالحه فقد أمد الحجاج بصفوة رجاله ومنهم أخوه محمد بن مروان فكان لوجود هؤلاء الأثر العظيم فى جعل الشاميين والعراقيين الذين آزروهم يصبرون على ندرة

الغذاء وهم يخوضون بعض المعارك ضد ابن الأشعث في وقت كان فيه الثوار ينعمون بوفرة الأقوات فكان صبر جند الأمويين سبباً في انضمام بعض العراقيين إلى الحجاج لمعاونته في إحراز الإنتصار على الثوار الموالين لابن الأشعث .

مما تقدم يرى للقارئ الكريم أن ابن الجارود ثم ابن الأشعث قد لعبا دوراً عظيماً في التأثير على مجرى الأحداث بالبصرة وعلى أهلها ، ولقد شاء الله لهذا المصر بعد رحيلهما أن يتأثر برجل ثالث كان أعظم أثراً منهما على حياة البصريين بالنظر إلى أنه عاصر أربعة خلفاء أمويين منذ عهد عبد الملك إلى خلافة يزيد بن عبد الملك . ليس هذا فحسب بل إنه يحمل بين جنبيه ميراث أسرة خلدت اسمها في التاريخ .

وهذا الرجل هو يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ، ولسوف تكشف الصفحات التالية للقارئ الأطوار التى مرت بها علاقة يزيد مع من تولوا البصرة وخلفاء الدولة الأموية وما تركه ذلك من آثار على أهل البلد .

ولد أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي سنة ثلاث وخمسين للهجرة في عهد معاوية بن أبي سفيان، روى عنه ابنه عبد الرحمن ، وأبو اسحاق السبيعي.[1]

ولقد شب يزيد عن الطوق وهو يرى أباه واخوته يشدون اركان دولة ابن الزبير بتصديهم للخوارج الأزارقة كما سبق ثم أيلولة ذلك إليهم في عهد عبد الملك بن مروان الذي عرف لهذه الأسرة قدرها فأبقى على الاستعانة بأفرادها وتوليتهم الأعمال ، والذي يدلك على مكانة هذه الأسرة أن الحجاج والى العراق حرص على الأصهار إليها فتزوج " هند " أخت يزيد بن المهلب.[2]

ليس هذا فحسب بل إن يزيد بن المهلب كان موضع احترام الداني والقاصي لما عرف عنه من كرم فاق به النظراء وكثيراً من الولاة حتى كان مضرب الأمثال وحديث الألسنة فإن يزيد حين حج

---

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦ ص٢٧٨
الذهبي : سير أعلام النبلاء حـ٥ ص٤١٣
عمرو بن عبد الله بن ذى يحمد وقيل عمرو بن عبد الله بن علي الهمداني الكوفي الحافظ ، ولد في السنة الثانية من خلافة عثمان بن عفان ، غزى في زمن زياد بن أبيه ست غزوات أو سبع غزوات حجه ثقه
سمع العلم من ثمانية وثلاثين صحابياً ، روى عن جمع من كبار التابعين توفى بالكوفة سنة سبع وعشرين ومائة للهجرة
الذهبي : سير أعلام النبلاء حـ٦ ص ١٨٦ : ١٩٣
(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاءجـ٥ ص ٤١٣

وحلق رأسه الحلاق أعطاه ألف درهم ، فدهش وقال : أمضى أبشـــر أمى فقال : أعطوه ألفا أخرى ، فقال امرأتى طـــالق إن حلقــت رأس أحد بعدك قال : أعطوه ألفين آخرين.[1]

ورجل رأى القارئ اهتمام الخاصة والعامة بـــه فـــى الدولـــة لامراء يثير حفيظة مثل الحجاج فإنه رأى فيه منافســـا قويـــاً يـــهدد وجوده فى ولاية العراق .

ولقد ذهبت الروايات التاريخية إلى التماس أكثر مـــن ســـبب لتكدر العلاقات بين يزيد وبين الحجاج منها ما قال : إن الحجاج لمـــا وفد إلى عبد الملك ومر فى طريقه براهب قيل له إن عنده علماً مـــن الحدثان ، فقال : هل تجدون فى كتابكم ما أنتم فيه ، قال نعم ، فقال: مسمى أو موصوفاً ؟ قال : موصوفاً . قال : فما تجدون صفه ملكنـــا؟ قال صفته كذا . قال : ثم من ؟ قال آخر اسمه الوليد قال ثم من ؟ قال آخر اسمه ثقفى . قال : فمن تجد بعدى ، قال رجل يدعى يزيد . قـــال أتعرف صفته قال لا أعرف صفته إلا أنه يغدر غدرة.[2]

تركت هذه القصة الأثر الأليم فى نفسية الحجاج فسار وجـــلاً من عزل يأتيه من الخلافة عن بلاد العراق فبادر بالكتابة إلى الخليفـــة عبد الملك يستعفيه من ولاية العراق ليعلم مكانته عنده ، فجـــاء رد الخليفة بالتقريع والتأنيب والتوبيخ والأمر بالثبات والاستمرار علـــى

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦ ٢٨٠

الذهبى : سير أعلام النبلاء هـ ٥ ص ٤١٤

(٢) ابن خلدون : تاريخه جـ٣ ص ٦٨ ، ٦٩

ما هو عليه ثم إن الحجاج جلس يوماً مفكراً واستدعى عبيد ابن موهب فدخل عليه وهو ينكت في الأرض فرفع رأسه إليه فقال : ويحك يا عبيد ، إن أهل الكتاب يذكرون أن ما تحت يدى سيليه رجل يقال له يزيد ، وقد تذكرت " يزيد بن أبي كبشة " و"يزيد بن حصين بن نمير" "ويزيد بن دينار " وليسوا هناك ، وما هو إلا يزيد بن المهلب. فقال عبيد لقد شرفتهم وعظمت ولايتهم وإن لهم لقدراً وجلداً وحظاً[1]

وكان يزيد بن المهلب قد تولى في سنة اثنتين وثمانين خراسان فظل بها إلى سنة خمس وثمانين حتى كانت قصة المنجم الذى لقيه الحجاج[2] فأخذ يحتال علي يزيد بن المهلب ليستقدمه من خراسان فجعل الحجاج يكتب إليه ويأمره أن ينصرف من خراسان إلى ما قبله ، ويزيد يعتل عليه فلما ورد هذا الكتاب علي يزيد دعا برجل من أجلاء عرب خراسان يقال له حضين بن المنذر الربعي، فقال يا حضين إنه قد كثرت علي كتب الحجاج يأمرنى بالمسير إلى ما قبله ، وهذا أخى المفضل قد نزل الرى[3] وقد أمرنى الحجاج أن أسلم إليه أمور خراسان فهات ما عندك من الرأى فقال له حضين ابن المنذر: لا والله أيها الأمير ! ما أشير عليك بالمسير إلى الحجاج،لأني

---

(١)ابن كثير : البداية والنهاية جـ٩ ص٥٥،٥٦

(٢)ابن الجوزى : المنتظم حـ٤ ص٣٧٤،٣٩٦-

(٣)بفتح أوله وتشديد ثانيه مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات وهى محط الحاج علي طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً ومن قزوين إلى أبهر اثنا عشر فرسخاً ومن أبهر إلى زنجان خمسة عشر فرسخاً ياقوت : معجم البلدان حـ٤ ص٤٥٧

أخاف عليك الحبس والغرم ولعله أن يقتلك ولا يبالى ، ولعلـــه إنمـــا ولى أخاك المفضل الرى ونواحيها مكيدة لك حتى تقع فى يده ، فيأتق الله فى نفسك ، وأقم بموضعك هذا فإنه خـــير لـــك ، واعتـــل علـــي الحجاج بحروب الترك والصغد فإنه يكف عنك ، فإن هـــو فعـــل وإلا فاخرج عليه وحاربه وتمسك بما فى يدك من بلاد خراســـان فإنـــه إن حاربته أعانك الناس عليه لبغضهم إياه وكراهتهم لولايته فقـــال لـــه :يزيد ويلك يا حضين ! أما قولك بأنه يحبسنى ويغرمنى فإنى لا أشـــك فى هذا ، وأما أن يقدم عليّ بالقتل فما أظنـــــه يـــروم ذلـــك وأمـــير المؤمنين عبد الملك بن مروان حى ، لأنه قد علم بأنى وأبى وأهـــل بيتى من صنائع أمير المؤمنين ، وبعد فإنا أهل بيت قد بورك لنا فـــى الطاعة[1]

فتجهز يزيد للمسير من خراسان إلى الحجاج الذى كان حصـــل علي موافقة الخليفة علي عزل يزيد عنها,فلمـــا وصـــل إليـــه ألقـــى الحجاج القبض عليه[2] سنة ست وثمانين للهجرة[3]

وثمت سبب آخر ذكره المؤرخون للخلاف بين يزيد والحجـــاج هو أن الوالى حين حاز بلاد العراق أذل العراقيين شريفهم ووضيعـــهم ولم يبق إلا آل المهلب فإنهم لم يصابوا منهم بسوء فأزمع الـــتربص

(١) ابن اعثم الفتوح جـ٧ ص ١٩٩ ، ٢٠٠
ابن خلدون : تاريخه هـ٣ ص٦٩
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية حـ٩ ص٥٦
ابن خلدون تاريخه جـ٣ ص٦٩
(٣) ابن خلدون تاريخه جـ٣ ص ٨١

بيريد لينال من مكانته بين العراقيين[1] وهناك سبب راجـــع الـــى ان يزيد لم ينفذ اوامر الحجاج كما يراها الوالى شأنه فى ذلك شأن بقيـة العمال فقد قيل ان الحجاج كتب اليه ان يغزو خوارزم[2] فاعتذر يزيـد اليه بأنها قليلة السَلَب شديدة الكلف ثم استقدمه بعد ذلك فقـــال انـــى اغرو حوارزم فكتب الحجاج لا تغزها فغزاها واصاب سبياً ، وصالحـه أهلها وانفتل فى الشتاء[3]

مما تقدم يرى القارئ الكريم ان الحجاج علي شـــاكلة الـــولاه السابقين بالبصره والكوفه فى شان موقفهم من المهلب بـــن ابـــى صفرة وبنيه وذلك يجعل المرء يجزم بأن موقف الحجاج من يزيد بن المهلب ليس له من مبرر معقول أو مقبول الا رغبته اراحة نفسه من منافسة يزيد له فى بلاد العراق

وعلى كل حال فإن الحجاج صب عذابه[4] علـــي يزيـــد ابـــن المهلب وهو فى محبسه وكان الحجاج يجهد نفسه فى تعذيـــب يزيـــد ابن المهلب حتى يسمع أنينه وهو يعذب إلا أن الرجل كان يتصبر فـــلا

---

(١) ابن اعثم الفتوح جـ٧ ص ١٩٩
ابن الاثير الكامل جـ٤ ص٥٠٤

تطلق علي الاقليم الذى يشمل الحوض الادنى لنهر أموداريا (جيحون) ودلتاه التى تصب بفروعها العديدة فى بحر أرال (بحر الخزر) كما كان يطلق اسم خوارزم (أو خيوة) علي عاصمه هذا الإقليم افتتحه المسلمون علي يد قتيبه بن مسلم عام ٩٣ هـ ٧١٢ م
ياقوت معجم البلدان جـ٣ ص ٢٥٢ ٢٥٣ . ٢٥٤
احمد عطيه الله القاموس الاسلامى جـ٢ ص ٢٩٣
ابن خلدون تاريخه جـ٣ ص ٠
ابن قتيبه المعارف ص ٠

يظهر صوتاً مع شدة ما يفعل به فكان ذلك يغيظ الحجاج فقيل له إنـــه رمى بنشابة فثبت نصلها في ساقه فهو لا يمسها شـــيئ إلا صـــاح ، فإن حرّكت أدنى شيئ سمعت صوته فأمر أن يُعذب ويُدهق سياقه فلمـا فُعل ذلك به صَاح ، ولخته هند بنت المهلب عنـــد الحجـــاج ، فلمـا سمعت صياح يزيد صاحت وناحت فطلقها[1] .

واستمر الحجاج في تعذيبه له علي هذه الحالة حتى أن يزيـد سأله أن يخفف عنه العذاب ، علي أن يعطيه كل يوم مائة الف درهـم فإن أداها وإلا عذبه إلى الليل[2] .

وعلى الرغم من شدة التعذيب الذى وقف القارئ علي شـــيئ منه فإن يزيد بن المهلب لم يحجب كرمه عن الذى يأتيه في محبسـه فقد دخل عليه أحد الشعراء في سجنه وأنشده فلما فرغ مـــن مدحـه ومواساته ليزيد في تعذيبه قال لهذا الشاعر ما لنا ولك يا هذا قـــال : وجدتك رخيصاً ، فأحببت أن أسلفك فقال لخادمه كم معك للنفقـــه ؟ فقال نحو عشرة آلاف درهم ، قال : ادفعها إليه[3]

اهتبل يزيد بن المهلب فرصة انشغال الحجاج بقتـــال الأكـــراد الذين غلبوا علي المناطق التابعة لادارته ببلاد فارس فقرر الـــهروب من محبس الوالي وكان الحجاج أخذ يزيداً واخواته

---

(1) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص ٤٤٨
ابن خلدون : تاريخه جـ٣ ص٨١
ابن اعثم : الفتوح جـ٧ ص ٢٠٨
(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦ ص ٢٧٩
(3) الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ٥ ص ٤١٤

مع جيشه المتوجه الى هذه البلاد زيادة فى الحيطة والحذر منهم فأقامهم فى فسطاط قريبا من مكان إقامته بين جيشه وجعل الجند الشاميين حراساً عليهم ، ومع تلك الحيطة فإن يزيداً استطاع إرسال رسول من محبسه فى رستقباذ[1] إلى أخيه مروان بن المهلب يأمره أن يضمّر لهم الخيل ، ويُرى الناس أنه إنما يريد بيعَها ويعرضها للبيع ، ويُغلى بها لئلا تُشترَى، فتكون لنا عُدّة إن نحن قدرنا على أن ننجوَ مما ها هنا . ففعل ذلك مَروان وحبيب بالبصَرة يعذّب أيضاً ، وأمر يزيدُ بالحَرَس فصُنع لهم طعام كثير فأكلوا، وأمرَ بشراب فسقُوا فكانوا متشاغلين به ، ولبس يزيدُ ثيابَ طبّاخه ، ووضع على لحيته أخرى بيضاء، وخرج فرآه بعضُ الحرس فقال : كأنّ هذه مشية يزيد ! فجاء حتى استعرض وجهَه ليلاً فرأى بياضَ اللّحيه ، فانصرف عنه ، فقال : هذا شيخ وخرج المفضّل على أثره ، ولم يُفطنَ ، فجاءوا إلى سفُنهم وقد هيّئوها فى البطائح ، وبينهم وبين البصَرة ثمانية عشرَ فرسْخاً[2] فلما علم الحجاج بهروب يزيد بن المهلب واخوانه فزع له وظن أنهم ذهبوا قِبل خراسان وبعث البريد إلى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم ، ويأمره أن يستعد لهم وكذلك فعل مع أمراء الثغور والكُوَر فطلب منهم أن يرصدوهم ويستعدّوا لهم وكتب[3] إلى الوليد بن عبد

---

(1) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٤٤٨/ابن اعثم: الفتوح جـ٧ ص٢٠٩.

(2) الطبرى تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص ٤٤٨،٤٤٩.

(3) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٤٤٩

ابن خلدون : تاريخه جـ٣ ص٨١.

الملك [1] الذى كان تولى الخلافة بعد وفاة عبد الملك فى شوال سنة ست وثمانين [2] يخبره بهَرَبهم ، وأنه لا يراهم أرادوا إلا خُراسان وظن الحجاج أن يزيد يحدث نفسَه بمثل الذى صنع ابن الأشعث [3] من الخروج عليه ومضى يزيدُ حتى قدم فلسطين ، فنَزَل على وهيب بن عبدالرّحمن الأزدَى وكان كريماً على سليمان [4] وأنزل بعض ثَقَلة وأهله على سُفيان بن سليمان الأزدّى ، وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتى دخل على سليمان ، فقال هذا يزيدٌ بن المهلب واخوتُه فى منزلى ، وقد أتوك هُرّاباً من الحّجاج متعوذين بك ، قال فأتنى بهم فهم آمِنون لا يوصل إليهم أبداً وأنا حىٌ فجاء بهم حتى أدخلهم عليه ، فكانوا فى مكان آمِن [5] .

---

[1] أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان أمه ولادة بنت العباس، ولى الخلافة بعهد من أبيه إليه وإلى أخيه سليمان من بعده وذلك فى يوم الخميس النصف من شوال سنة ست وثمانين ، شيد وجدد عمائر للعامة فى خلافته وفى مدة حكمه ، كان الطاعون الجارف بالبصرة . يقال إنه مات بالبصرة فى (ثلاثة أيام)ثلاثمائة ألف انسان. وكان نقش خاتمة " يا وليد انك ميت ومُحَاسَب، توفى يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنةً ست وتسعين،وسنه ثمان وأربعون سنه وأشهر / القضاعى الإنباء بأنباءالأنبياء ص ٢٢٢ : ٢٢٦ .

[2] العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٥٠ /السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٢٤ .

[3] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٤٤٩

[4] أبو أيوب سليمان بن عبد الملك ، أمه ولادة بنت العباس ، بويع له يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين كان نقش خاتمة "آمنت بالله مخلصاً" توفى بذات الجنب بدابق لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وله خمس وأربعون سنة وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام. القضاعى:الأنباء بأنباء الأنبياء ص ٢٢٧ : ٢٢٩ .

[5] الطبرى : تاريخ الرسول والملوك هـ٦ ص ٤٥٠ /ابن كثير : البداية والنهاية هـ ٩ ص ٧٨ .

(وكتب سليمان إلى أخيه الوليد: بن عبد الملك يقول له : إنّ يزيدَ بن المهلب عندى وقد أمنته ، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف ، وبقى ثلاثة آلاف ألف فهى علىّ فكتب إليه : لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به إلىّ فكتب إليه : لئن أنا بعثتُ به إليك لأجيئنّ معه ، فأنشدك الله أن تفضحنى ولا أن تُخفرنى . فكتب إليه : والله لئن جئتنى لا أؤمنه فقال يزيد ابعثنى إليه ، فو الله ما أحبّ أن أوقع بينك وبينه عداوةً وحرباً ، ولا أن يتشاءم بى لكما الناسُ ابعث إليه بى وأرسل معى ابنك واكتُب إليه بألطفِ ما قدَرتَ عليه فأرسَلَ ابنه أيوب معه وكان الوليد أمَرَهُ أن يَبعَث به إليه فى وثاق فبعَث به إليه ، وقال لابنه إذا أردتَ أن تدخُل عليه فادخلْ أنتَ ويزيد فى سلسلة ثُمّ ادخُلا عليه جميعاً ففعل ذلك حين انتهيا إلى الوليد ، فدَخَلا عليه ، فلما رأى الوليدُ ابنَ أخيه فى سلسلة قال واللهِ لقد بلغْنا من سليمان ! ثم إن الغلام دَفَعَ كتاب أبيه إلى عمّه وقال : يا أمير المؤمنين ، نفسى فداؤك! إلا تُخفر ذِمةّ أبى ، وأنت أحقّ من منَعَها ، ولا تقطَعَ منا رجاءَ من رجا السلامة فى جوارنا لمكاننا منك ، ولا تُذل من رجا العزّ فى الانقطاع إلينا لعزّنا بك وقرأ الكتاب) [1] فإذا فيه من ضروب الاستعطاف ما جعل الوليد بن عبد الملك يرق لأخيه سليمان ويقبل شفاعته فى يزيد بن المهلب تلك التى جعلت الخليفة يكتب إلى الحجاج واليها على العراق يقول له : إنى لم أصل إلى يزيد ، وأهل بيته مع سليمان ، فاكفف عنهم ، واله عن الكتاب إلى فيهم [2]

(1) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ ص ٤٥١ - ابن كثير : البداية والنهاية حـ٩ ص ٧٨ ، ٧٩ .
ابن قتيبه : المعارف ص ٤٠٠ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ ص ٤٥٢ .

استمر الحجاج يدبر أمر البصرة فى قوة لم ينل منها ما كان بينه وبين يزيد بن المهلب فإنه حين أراد زيارة مكة استخلف على البصرة ولده محمداً وخطب أهلها بقوله يا أهل البصرة إنى أريد الخروج إلى مكة وقد استخلفت عليكم محمداً ابنى وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى رسول الله - ﷺ - فى الأنصار فإنه أوصى فى الأنصار أن يقبل من مُحسنهم ويتجاوز عن مُسيئهم ألا وأنى قد أوصيته بكم ، ألا يقبل من مُحسنكم ولا يتجاوز عن مُسيئكم ألا فإنكم قائلون: أحسن الله له الصحابة ، وإنى معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة [1]

ويتنفس البصريون الصعداء حين مات الحجاج فى سنة خمس وتسعين للهجرة [2] بعد مضى عشرين عاماً حكمهم فيها هم وغيرهم من أهل العراق .

وكذلك كانت حال بنى المهلب الذين أخذت الدنيا تقبل عليهم من جديد بعد ما كانت ولتهم دبرها حين تأهبت البصرة لاستقبال عهد خليفة جديد بعد وفاة الوليد فى نصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين [3] وأيلولة الأمر لسليمان بن عبد الملك الذى أعلى فى عهده شأن بنى المهلب ولا سيما يزيد بن المهلب الذى تولى

---

[1] ابن الجوزى : المنتظم حـ٤ ص ٤٧٣ .

[2] أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر حـ١ ص ٢٧٦ .

ابن الوردى : تاريخه حـ١ ص ١٧١

الذهبى : العبر حـ١ ص ٨٤ .

[3] العمرانى : الانباء فى تاريخ الخلفاء ص ٥٠. / السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٢٢٤، ٢٢٥.

البصرة فى عهد سليمان بن عبد الملك عوضاً عن يزيد بن أبى كبشة [1] الذى كان الحجاج قد استخلفه عليها حين نزل به مرض الموت [2].

ويرى دوزى ان السبب الذى جعل الخليفة الجديد يولى يزيد بن المهلب البصرة راجع إلى الاختلاف فى موقف كل من سليمان والوليد إزاء الأحزاب الكبرى التى كانت تتألف من القبائل ، فيقول إن الوليد كان قيسيا لحماً ودماً ، اما سليمان فكان يمنى الهوى ، ويقول " إن حكومة الوليد كانت قد أبلغت قيساً ذروة قوتها ، فجاء سقوطها بعد موته على الفور ، وكان سقوطاً مريعاً ". على أن يزيد بن المهلب أخذ جانب اليمن فى صورة صريحة ، وكان باعتباره أزدياً ينتسب إليهم ، وكان معارضاً لقيس . أما الحجاج فإنه لم يضطره إلى معارضة اليمن والى الظهور بمظهر من يكون فى جانب قيس إلا يزيد بن المهلب وابن الأشعث من قبله ، وهو من نفسه لم يتنكر لأصله وأنه من ثقيف الذين كانوا يعدون من قيس ، كما قد آثر أن يختار حاشيته من دائرة من يعرفهم [3] .

وهذا الذى ذهب إليه دوزى لم يرتض الأخذ به صاحب تاريخ الدولة العربية على أساس أن السبب الذى جعل عبد الملك ثم الوليد

---

[1] السكسكى الدمشقى من أهل بيت لهيا روى عن أبيه أبى كبشه جبريل ابن يسار بن شبل ، ومروان بن الحكم ورجل له صحبه ، وعنه روى أبو بشر والحكم بن عتيبة وغيرهما ، توفى فى خلافة سليمان بن عبد الملك .
ابن حجر : تهذيب التهذيب حـ١١ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

[2] ابن الأثير : الكامل حـ٤ ص ٥٨٣ ، ٥٨٤ - ابن الجوزى المنتظم حـ٤ ص ٤٧٦

[3] فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٢٥١ ، ٢٥٢

يتمسكان بالحجاج لا يعود إلى قيسيته إذهو كان من المعمورين قبل أن يرفعه عبد الملك ثم الوليد فلما رأى فيه عبد الملك همةً ودقةً في ضبطه للأمور تمسك به وأوصى بذلك ولده أما سليمان فإن عزله لعمال الحجاج كان على أساس البغض الشخصي للوالي ومقولة الوشاه عنده في حقه وليس نتيجةً لعصبية الخليفة ضد القيسية . فسليمان أمه هي أم الوليد ، وكانت قيسية من عبس ، ومن العسير جداً أن يتنكر سليمان لما يجري في عروقه من دم . اما انقسام العالم العربي إلى قسمين متخاصمين على أساس الإنقسام القبلي ، فإنه كان في ذلك الوقت ما يزال في دَور التكوين . وقد كان ما بين الولاة والرؤساء الأقوياء من عداء شخصي سبباً جوهرياً في تفاقم خطب هذا الانقسام .

ولا يصح للمؤرخ أن يعمد إلى ماهو نتيجة في التاريخ فيجعله بمثابة أصل وقاعدة يرجع بها إلى الوراء حتى يجعلها في بدايات ما قبل التاريخ .[1]

وعندي أن ما ذهب إليه يوليوس فلهوزن هو الصحيح فتعيين يزيد على ولاية البصرة ليس له من تبرير معقول سوى أن الخليفة رأى في يزيد بن المهلب بعد مخالطته له كفاءةً وكياسةً تؤهلانه لقيادة بلد دأب أهله على القيام بالثورات في وجه ولاتهم فرأى أنه من الأجدى لخلافته الإفادة من خبرة هذا الرجل وقوة شوكة عائلته

---

[1] فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ص٢٥٢ . ٢٥٣

وقبيلته بين ساكنى البصرة حتى يؤمن لنفسه خلافةً مستقرةً فى هــذا الثغر الهام ، وذلك شأن سائر الحكام فى مختلف العصور فــلا يقــال عن حاكم يدفع بخلصائه من الرجال إلى ولاية الأعمال علـــى أســـاس اعتبارات بعينها أنه يحيى العصبية القبلية بتعيينه هذا وتركــه لــذاك فإتهام خلفاء الدولة الأموية بإحياء العصبية القبلية تهمة لا أســـــاس لها من الصحة وتحتاج إلى جهد المنصفين من المؤرخين حتى ينفــوا تلك التهمة عن خلفاء الدولة التى قدمت للإسلام الكثير والكثير.

وعلى كل حال فإن يزيد بن المهلب حين جاء البصـــــرة واليـــاً عليها من قبل سليمان ، وعين العمال فى الأعمال [1] وحرص علـــى حسن معاملة أهلها فابتعد عن جباية الخراج جاعلاً إياه إلى صالح بن عبد الرحمن [2] الذى كان من عمال الحجاج فمارس وظيفته مســـتقلاً عن يزيد وضيق عليه وعلى العراقيين فرفض تحمل شئ من النفقــات الكثيرة التى كان ينفقها يزيد ، ولقد كان يزيد بن المهلب فى ولايتــه محجةً يؤمها الوجهاء إذا ما نزلت بهم الملمات حتـــى يفــرج عنــهم الكربات . فها هوذا عمر بن هبيرة يأتيه فى عصبة من كبار رجــالات الدولة منهم عثمان بن حيان المرى ، والقعقاع بن خــالد العبســى ، والهذيل بن زفر بن الحارث الكلابى ، وغيرهم من "قيس" يلتمســـون

---

[1] خليفه بن خياط : تاريخه ص٣١٧.

[2] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٥٠٧ ابن الجوزى : المنتظم جـ٤ ص٤٩٠ ، ٤٩١ . فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص٢٥٣ ، ٢٥٤ .

من "يزيد" أن يحمل عن ابن هبيرة نصف المال الذى أغرمه إياه سليمان بن عبد الملك وكان يبلغ ألف ألف درهم ففعل فلما خرجوا من عنده جاءوا إليه يرجونه أن يحمل عنهم النصف الآخر فقبل ذلك ورفع أمرهم إلى سليمان بن عبد الملك فصمم على أن يحمل يزيد ابن المهلب إلى بيت مال المسلمين المال الذى كان أغرمه ابن هبيرة فلما حمله يزيد من غده وأُخبر به الخليفة سليمان بن عبد الملك دخل عليه يزيد فقال له : أمير المؤمنين (ذكت بك نارى ، ووريت بك زنادى ، غرمها علي وحمدها لك، وقد وفت لى يمينى ، فأرجع المال إليك ففعل) [1] .

عمل يزيد وهو بالبصرة علي تنفيذ أمر الخليفة سليمان له فنكب آل أبى العقيل قوم الحجاج وبنى أبيه [2] وكان سبب تعذيبهم أن سليمان بن عبد الملك لمَّا ولى الخلافة طلب آل أبى عقيل فأخذهم وسلّمهم إلى يزيد بن المهلّب ليخلص أموالهم ، فعذّبهم وبعث ابن المهلب إلى البلقاء من أعمال دمشق ، وبها خزائن الحجّاج ابن يوسف وعياله ، فنقلهم وما معهم إليه ، وكان فيمَّنْ أُتى به أم الحجاج زوجة يزيد بن عبد الملك [3] وقيل بل أخت لها ، فعذّبها فأتى

---

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان هـ٦ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢

(2) ابن خلدون : تاريخه هـ٣ ص ٨٦ .

(3) ابو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بويع له بالخلافة يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومايه استمرت خلافته اربع سنين وشهراً نقش خاتمه " قني السيئات يا عزيز
توفى لخمس بقين من شعبان سنه خمس ومايه (القضاعى الإنباء بأنباء الأنبياء ص ٢٣٣ : ٢٣٥

يزيدُ بن عبد الملك إلى ابن المهّلب فى منزلة فشفع فيها ، فلم يشفعه فقال : الذى قررتم عليها أنا أحمله ، فلم يقبل منه ، فقال لابن المهّلب : أما والله لئن وليتُ من الأمر شيئاً لأقطعن منك عضواً ! فقال : ابنُ المهلّب وأنا والله لئن كان ذلك لأرمينّك بمائة ألف سيف . فحمل يزيد بن عبد الملك ما كان عليها وكان مائة ألف دينار وقيل أكثر من ذلك [1] وبسط أصناف العذاب عليهم . فولى علي ذلك عبد الملك بن المهلب [2] ومن ثم كان ذلك سبباً فى تكدر العلاقات بين يزيد بن المهلب ويزيد بن عبد الملك .

ويذكر بعض المؤرخين سبباً آخر غير ذلك فقد كان يزيد بن المهلب فى أيام سليمان بن عبد الملك دخل ذات يوم إلى الحمام ، وخرج وعليه حله له يمانية ، وفى رجله نُعل له يصر صريراً وقد تضمخ بالغالية ، فقال يزيد بن عبد الملك وهو جالس إلى جنب عمر بن عبد العزيز قبح الله هذه الدنيا وما فيها ! لوددت أن مثقال غالية بألف دينار فلا ينالها إلا كل شريف فسمع ذلك يزيد ابن المهلب فالتفت إلى يزيد بن عبد الملك فقال : يا مؤنث ! ألى يقال هذا وأنا ابن المهلب بن أبى صفرة ! إنما كان يجب عليك أن تقول : وددت أن الغالية لا توجد إلا فى جبهة الأسد فلا ينالها إلا مثلى فقال : عمر بن عبد العزيز : مهلاً أبا خالد ! ولا كل هذا ، فإنه ولى عهد ومع اليوم غد فالتفت يزيد بن عبد الملك فقال : والله يا ابن المهلب لئن وليت هذا الأمر يوماً من الأيام لأقطعن خير طابق من يديك !

---

(1) ابن الأثير : الكامل جـ٥ ص ٥٧ . ابن الجوزى : المنتظم جـ٤ ص ٥٣٣ .
(2) ابن خلدون : تاريخه جـ٣ ص ٨٦ .

فقال له يزيد بن المهلب : والله لئن وليت هذا الأمر وأنا حيٌّ لأضربن وجهك بخمسين ألف سيف [1] .

وعندى أن ما ذكره ابن اعثم فى هذه الرواية ليس له نصيب من الصحة بل قل إن شئت هو من قبيل النسج القصصى المنبنى على الخيال ليس إلا ، فلا يتصور المرء من يزيد الظهور بمظهر غير المبالى بالسلطة ، وأنيابها ، التى تحميها وهو الأريب السياسى حتى يقول ما يقول .

ومن ثَمّ فإن هذه الرواية التى ذكرها ابن اعثم وهو شيعى محترق ليس القصد منها إلا تشويه صورة بنى أمية

وكيفما كان فإن يزيد بن عبد الملك أسر ذلك فى نفسه إلى أن آلت إليه الخلافة فكان ما يراه القارئ من موقفه من ابن المهلب وخرج يزيد من البصرة علي رأس عدة حملات [2] إلى طبرستان وجرجان وظل يزيد يدبر أمر البصرة حتى توفى سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين للهجرة [3] ومجئ عمر بن عبد العزيز إلى الخلافة فى صفر سنة تسع وتسعين لتبدأ مرحلة جديدة من المراحل التى مربها يزيد بن المهلب فقد رأيته فى مرحلته الأولى والياً علي خراسان فإذا به يحبس عند الحجاج ثم والياً علي البصرة تلك الولاية التى انتهت بمجئ وال أخر علي المصر من قبل عمر بن عبد العزيز هو عدى

(١)ابن اعثم : الفتوح جـ٧ ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

[2] خليفة بن خياط / تاريخه ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

[3] العمرانى : الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٥٠ . السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٣١ .

ابن ارطاه لتبدأ بينه وبين يزيد بن المهلب مرحلة ثالثة دفع فيها الرجلان حياتهما فى صراعهما الذى أنهك الدولة الأموية كما سيراه القارئ فى الصفحات التالية .

بين عدى بن أرطاه
ويزيد بن المهلب

جعل عمر بن عبد العزيز عدى بن أرطاه (بـخ) الفزارى الدمشقى والياً على البصرة لما عرفه عنه من الصلاح فقد حدث عن عدى عمرو بن عبسة وأبو أمامه ، ولقد خطب عدى الناس قبل ولايته حتى بكى وأبكى [1]

وحين بعثه عمر عليها وصاه بقوله : (إذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق القادر عليك ، وأعلم أن مالك عند الله أكثر مما لك عند الناس) [2]

كان على الوالى الجديد مجابهة نفوذ يزيد بن المهلب الوالى السابق على المصر حتى يستقيم له أمر البلد وقد واتته الفرصة حين جاءت جماعة من خراسان إلى البصرة تشكو يزيداً إلى عدى طالبين منه رد أموالهم التى سلبها ابن المهلب [3] فارسل بعد وصوله إلى عمله فى أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوجيه الحميرى للقبض

---

(1) الذهبى : سير أعلام النبلاء هـ٥ ص ٦٣٤ . ابن حجر : تهذيب التهذيب هـ٧ ص ١٦٤ .

(٢)ابن عبد ربه : العقد الفريد هـ٤ ص ٤٣٦ .

(٣)ابن اعثم / الفتوح هـ٧ ص ٣١٣ : ٣١٨ .

عليه [1] فلقيه وهو قادم من خراسان إلى البصرة عند نهر معقل عند الجسر فقيده [2] وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز وقد كان الخليفة يبغضه ويبغض بنيه ويقول : جبابرة ، وكان يزيد يبغض عمر فلما وصل إلى عمر سأله عن الأموال التى كتب بها إلى سليمان ، قال : إنما كتبت إليه لأسمع الناس ، ولم يكن سليمان ليأخذنى بشئ سمعت به ، فقال له : ما أجد فى أمرك إلا حبسك فاتق الله وأدما قبلك فإنها حقوق المسلمين لا يسعنى تركها فحبسه إلى أن مرض عمر [3] وثمت رواية أخرى ذكرها الطبرى عن كيفية القبض علي يزيد ابن المهلب فيها أن عمر بن عبد العزيز عندما طلب من واليه علي البصرة عدى ابن ارطاة ارسال يزيد بن المهلب إلى جند الخلافة بعين التمر ، ومن ثم إلى حاضرة خلافته أنفذه عدى بن أرطاه مع وكيع بن حسان ابن أبى سود التميمى فلما أركبه البحر هم الأزد قوم يزيد بانتزاعه منه فأقسم وكيع بغلاظ الإيمان إن اقترب منه أحد ليضربن عنق يزيد بالسيف فمنعهم ابن المهلب من الاقتراب منه [4] ولقد جاء مخلد بن يزيد بن المهلب عمر بن عبد العزيز يسأله إطلاق سراح أبيه فقال له : إن الله يا أمير المؤمنين صنع لهذه الأمة بولايتك عليها ، وقد ابتلينا بك فلا تكن أشقى الناس بولايتك علام تحبس هذا الشيخ ! أنا أتحمل ما عليه فصالحنى علي ما إياه تسأل ،

---

(1) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص ٥٥٤ .

(٢) ابن خلدون : تاريخه جـ٣ ص ٩٤ ، ٩٥ .

(3) ابن الجوزى : المنتظم جـ٤ ص ٥٢٧ . محمود شيت خطاب : مسلمة بن عبد الملك بن مروان فاتح شطر الأناضول ومحاصر القسطنطينية بحث منشور فى مجلة المجمع العلمى العراقى مجلد رقم ٢٩ لسنة ١٩٧٨ . ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص ٥٥٨ .

فقال عمر : لا إلا أن تحمل جميع ما نسأله إياه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كانت له بينه فخذ بها ، وإن لم تكن بينه فصدق مقالة يزيد ، وإلا فاستحلفه ، فإن لم يفعل فصالحه فقال له عمر : ما أجد إلا أخذه بجميع المال فلما خرج مخلد قال هذا خير عندى من أبيه فلم يلبث مخلد إلا قليلاً حتى مات [1]

تملك يزيد بن المهلب الفزع الشديد وهو فى محبس عمر بن عبد العزيز حين وجد الخليفة ثقل المرض عليه وأن يزيد بن عبد الملك سيكون إليه الأمر من بعده ولا يخفى علي القارئ ما بين اليزيد ابن عبد الملك وابن المهلب من خلاف سبقت الإشارة إليه ومن ثم مالأ الحراس علي الهروب ورتب لذلك مع مواليه فخرج من محبسه قبل وفاة عمر بيومين [2] فلما نجح فى ذلك كتب الى عمر بن عبد العزيز كتاباً يقول : (إنىّ والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك، ولكنىّ خفت أن يلى يزيد فيقتلنى شرّ قتله . فورد الكتاب عمر وبه رمق ، فقال اللهم إن كان يريد بالمسلمين سوءاً فالحقْهُ به وهضة فقد هاضنى) [3] وقيل إن يزيد بن المهلب إنما هرب من سجن عمر بعد موته [4]

آلت الخلافة بعد وفاة عمر بن العزيز إلى يزيد بن عبد الملك سنة إحدى ومائة فلما تولى مقاليدها وقف علي هروب يزيد بن المهلب من محبس سلفه

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ ص ٥٥٧ . الخضرى : محاضرات فى تاريخ الدولة الأموية ص ٥٣٠ .

(٢)اليعقوبى : تاريخه حـ٢ ص ٣٠٨ .

[3] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك حـ٦ ص ٥٦٤
ابن الأثير : الكامل حـ٥ ص ٥٨ .

(٤)الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ ص ٥٦٥ .

فأرسل إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن [1] واليه علي الكوفة وإلى عدى بن أرطاه يأمرهما بالتحرز من يزيد ويعرفهما قربه وأمر عدياً أن يأخذ من بالبصرة من آل المهلب ، فأخذهم وحبسهم ، فيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب وعلى الرغم من كتابة الخليفة إلى واليه علي البصرة والكوفة بالتصدى ليزيد بن المهلب الا أنه مضى في سيره دون معترض نحو البصرة وقد جمع عدى بن أرطاه أهلها وخندق عليها ، وبعث علي خيل البصرة المغيرة بن عبد الله ابن أبى عقيل الثقفى فلما علم عبد الملك بن المهلب بمسير أخيه إلى البصرة وهو فى محبس عدى أرسل إليه يقول (خذ ابنى حميداً فاحبسه مكانى وأنا أضمن لك ان أرد يزيد عن البصرة حتى يأتى فارس ويطلب لنفسه الأمان ولا يقربك فأبى عدى اطلاق سراحه) [2] فلما جاء يزيد فى أصحابه الذين معه التقاه أخوه محمد بن المهلب فيمن اجتمع إليه من أهله وقومه ومواليه فدخل بهم البصرة دون أن يشتبك معه أحد فكان لا يمر بأتباعه علي خيل من خيول البصريين ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحوا له عن طريقه وأقبل يزيد حتى نزل داره [3]

---

[1] ابن زيد بن الخطاب أبو عمر العدوى الخطابى المدنى الأعرج ، ولى إمرة الكوفة لعمر بن عبد العزيز وروى عن ابن عباس ومحمد بن سعد وغيرهما حدث عنه ابناه عمر وزيد والزهرى وغيرهم . توفى بحران فى سنه نيف عشرة ومائة للهجرة / الذهبى سير أعلام النبلاء حـ٥ ص ٦٠١

(٢)الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ ص ٥٧٩

(٣)ابن اعثم الفتوح حـ٨ ص ١٠١، ٢، ٣ .

ابن الأثير الكامل حـ٥ ص ٧١ /ابن الجوزى المنتظم جـ٤ ص٥٣٧

ابن خلدون تاريخه حـ٣ ص ٩٦

رأى القارئ الكريم مما تقدم عدياً ابن ارطاة والـــى الخليفـــة علي البصرة عاجزاً عن الحيلولة بين يزيد بن المهلب وبين دخولـــه البصرة وهو مع ذلك يأبى إلا ... قدماً في معارضته للثـائر فقـد سبق له رفض سعى عبد الملك بن المهلب في الوساطة بينـــه وبين أخيه يزيد حتى يجنب البصريين أراقه الدماء .

ومع ازدياد موقف عدى حرجاً بدخول يزيـــد بـــن المـــهلب داره بالبصرة فإن واليها ظل متمسكاً برفضه مسالمة الثائر الذى كان علـى النقيض منه فى هذا الأمر فقد أرسل يزيد بن المهلب إلى الوالى يقول: ان ابعث إليّ اخوتى وإنيّ أصالحك علي البصرة وأخليك وإياها حتـــى اخذ لنفسى من يزيد ما أُحب فلم يقبل منه [1] ولقد جـــانب الصـــواب والى البصرة فى موقفه من ابن المهلب وذلك لأمرين:

أولهما أنه لم يقم وزنا لانفضاض البصريين عنه وميلهم الـــى يزيد بن المهلب الذى جعل من أمواله مطية توصله إلى غايته وهـــى إحراز البصرة وما يجاورها ، ومن ثمّ إحراج الخليفة يزيد بـــن عبـــد الملك فإن أهل البصرة حين علموا بنزول يزيد داره بالمصر قصدوهـــا فأخذ يعطى من أتاه قطع الذهب والفضة ، فمال الناس إليـــه وكـــان عدى لا يعطى إلا درهمين درهمين ويقول : لا يحل لـــى أن أعطيكـــم من بيت المال درهماً إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ولكن تبلغوا بـــهذه حتى يأتى الأمر فى ذلك [2]

---

(1) ابن الأثير: الكامل جـ٥ ص ٧١ ، ٧٢ .
(2) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص ٥٨٠ ، ٥٨١ - ابن اعثم الكوفى : الفتوح جـ٨ ص ٤ .

ثانيهما : إن عدياً حين قرر التصدي لنفوذ يزيد بن المهلب بالمصر كان ذلك بناء علي استقراء شخصي لمستجدات أمور ولايته دون الرجوع إلى الخليفة وهو في هذا يخالف ما جرت عليه عادة الولاة من الرجوع إلى الخلفاء في عاجل الأمور وعظيمها ولم يكن أعظم من دخول خارج علي الدولة حاضرة ولاية لسلخه عن جسمها يدلك علي ذلك هذا الاختلاف في معالجة هذه الثورة بين الوالي وخليفته فالوالي يرى التصدي لها بالسلاح كما رأيت أما الخليفة فإنه يرى مفاوضة زعيمها لعله يدرك باللسان ما يغنيه عن الحسام وآية ذلك هذا الأمان الذي ارسله الخليفة الى الثائر حين قصده حميد بن عبد الملك بن المهلب [1] الا أن أمان الخليفة لم يصل البصرة الا بعد ما كان يزيد بن المهلب استولى عليها ذلك انه ترتب على هذا الموقف الذي وقفه الوالي من يزيد بن المهلب ان نشبت بين الرجلين معركة انجلت عن دخول الثائر قصر الإمارة ، واطلاق سراح اخوته وبنيه الذين كانوا في محبس عدي بن أرطاه ليس هذا فحسب بل ان يزيداً القى القبض على والي البصرة الذي قال له يزيد وهو في محبسه .(لولا حبسك اخوتي لما حبستك) [2]

صارت البلد بعد ذلك تحت سيطرة يزيد واتباعه الذي قصد المسجد فبايعه البصريون فيه على كتاب الله وسنه نبيه -ﷺ -وعلى ألا تطأ الجنود بلادهم ولا بيضتهم ولا يعاد عليهم سيرة الحجاج فمن

---

[1] ابن الأثير الكامل ص جـ ٥ ص ٧٢ /ابن خلدون : تاريخه جـ ٣ ص٩٨.
[2] ابن الأثير الكامل ٥ ص٧٣ ، ابن اعثم : الفتوح جـ٨ ص٤ .
٨،٧،٦،٥ فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص٣٠٣ ، ٣٠٤ .

بايعه على ذلك قبل منه ومن أبى جاهده وجعل الله بينه وبينه [١] ثـــم خطب الناس خطبةً اخبرهم فيها أنه يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيــه- ﷺ -ويحث على الجهاد زاعماً أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم الامر الذى جعل الحسن البصرى [٢] وغيره مـــن القراء الذين سمعوها ينقسمون على انفسهم فكان منـــهم المعارض ليزيد بن المهلب ومنهم من دعا النّاس الى مبايعته وموازرته فمـــن الأول ما فعله الحسن البصرى حين دخل الى المسجد ويزيـــد يخطـــب فقال الحسن يزيد يدعو الى كتاب الله والله لقد رأيناك واليـــاً ومولـيـــاً عليه ، فجعل أصحابه يأخذون على فيِّه لئلا يتكلم فقال الحسن : إنمـــا كا ، يزيد بالأمس يضرب رقاب هؤلاء ويسرح بها الى بنـــى مـــر و ان يريد رضاهم ، فلما غضب نصب هؤلاء وقال : أدعوكم إلى كتـــاب الله وسنة العمرين وإن من سنة العمرين أن يوضع قيد فى رجله ثم يـــرد الى محبس عمر [٣] .

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٦ صـ٥٩٢ .

[٢] أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى كان من سادات التابعين أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصارى -ﷺ-، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبى -ﷺ-.

ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب -ﷺ-بالمدينة فى وادى القرى علتته أم سلمة زوج النبى -ﷺ-بثديها ، توفى بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة/ ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ صـ٦٩،٧٣.

[٣] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ ٥٨٧ ، ٥٨٨ .

ابن الجوزى : المنتظم جـ٤ صـ٥٣٧،٥٣٨ .

الخضرى : محاضرات فى تاريخ الدولة الأموية صـ٥٣١ ، ٥٣٢ .

عبدالشافى : العالم الاسلامى فى العصر الأموى صـ٥١٢ ، ٥٢٠ .

ومن الثاني ما كان من النضر بن أنس بن مالك [1] الذي انشأ يدعو الناس إلى يزيد وهو يقول : يا هؤلاء أنكم تسمعون الرجل يدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه محمد - ﷺ - فأجيبوا الرجل ولا تخذلوه فسمعه الحسن البصري وهو يقول ذلك فالتفت إلى قوم كانوا الى جانبه فقال : وهذا النضر بن أنس بن مالك وهو أيضاً ممن يحرض على الفتنة .[2]

فمن الطبعي والحالة هذه أن يتصدى بنو المهلب للحسن البصري وأمثاله حتى لا يفسدوا عليهم البصريين وذلك ما كان فبان مروان بن المهلب حين علم بأقوال الحسن البصري في يزيد ابن المهلب قال : بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي ، ولم يسمه يثبط الناس والله لو أن جاره نزع من خص داره قصبه لظل يرعف لأنفه! وايم الله ليكفن عن ذكرنا وعن جمعه إليه سقاط أبلة وعلوج [3] فرات البصرة أو لأنحين عليه مبرداً خشناً ، فلما بلغ ذلك الحسن قال : والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه . فقال ناس من أصحابه :

---

[1] الأنصاري أبو مالك البصري روى عن أبيه وابن عباس وزيد بن ارقم وآخرين ، وعنه روى قتادة وحميد الطويل وغيرهما ، لم يذكر تاريخ بعينه لوفاته سوى قول ابن حجر أنه توفي في حياة الحسن البصري .
ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ١٠ صـ ٤٣٥ ، ٤٣٦

[2] ابن اعثم : الفتوح جـ ٨ ص ٩،٨

[3] الرجل الشديد الغليظ من كفار العجم
ابن منظور : لسان العرب مادة علج .

لو اراك ثم شلت لمعضاك . فقال لهم : فقد خالفتكم إذاً الى ما نهيتكم عنه ، أمركم أن لا يقتل بعضكم بعضاً مع غيرى وأمركم أن يقتل بعضكم بعضاً دونى ! فبلغ ذلك مروان فاشتد عليهم وطلبهم وتفرقوا وكف عن الحسن [1]

لما استوثق يزيد بن المهلب من سيطرته على البصرة خلّف عليها أخاه مرواناً وسار بجنده حتى نزل واسطاً هناك أراد الوقوف على آراء أصحابه فى السبيل الذى يسلكونه وهم يواجهون جيوش الدولة الأموية فقالوا له حين استنصحهم نرى أن تخرج وتنزل بفارس فتأخذ بالشعاب وبالعقاب ، وتدنو من خراسان وتطاول القوم فإن أهل الجبال ينفضون إليك وفى يديك القلاع والحصون . فقال : ليس هذا برأى ، ليس يوافقنى هذا ، إنما تريدون ان تجعلونى طائراً على رأس جبل فقال له حبيب : فإن الرأى الذى كان ينبغى أن يكون فى أول الأمر قد فات ، قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجه خيلاً عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة فإنما هو عبد الحميد بن عبد الرحمن مررت به فى سبعين رجلاً فعجز عنك فهو عن خيلك أعجز فى العدة ، فنسبق إليها أهل الشام وعظماء أهلها يرون رأيك ، وأن تلى عليهم أحب إلى جلهم من أن يلى عليهم أهل الشام فلم تطعنى وأنا أشير الآن برأى ، سرح مع أهل بيتك خيلاً من خيلك عظيمة فتأتى الجزيرة ، وتبادر إليها حتى ينزلوا حصناً من حصونها وتسير

---

[1] ابن اعثم : الفتوح جـ٨ صـ١٣، ١٤ .

ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٨١ .

ابن خلدون : تاريخه جـ٣ صـ٩٩ .

فلهوزن : تاريخ الدولة العربية صـ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

فى أثرهم ، فإذا أقبل أهل الشام يريدونك لم يدعوا جنداً من جنودك بالجزيرة ويقبلون إليك فيقيمون عليهم ، فكأنهم حابستهم عليك حتى تأتيهم فيأتيك من الموصل من قومك ، وينفض إليك أهل العراق وأهل الثغور وتقاتلهم فى أرض رخيصة السعر ، وقد جعلت العراق كله وراء ظهرك . فقال : إنى أكره أن أقطع جيشى وجندى[1].

فأنت ترى يزيداً يضرب عرض الحائط بآراء رجالاته ويأبى إلا التمسك برأيه فى حربه لجيوش الخلافة الأموية دون أن يبرهن لهم على ضعف آرائهم، صحيح أنه قال لهم عن الرأى الأول (إنما تريدون أن تجعلونى طائراً على رأس جبل) وعن الرأى الثانى بقوله أكره أن أقطع جيشى إلا أن ذلك فيما أظن ليس بالرد المقنع لرجال خرجوا حاملين أرواحهم على أكفهم يجابهون دولة تملك من العدد والعتاد ما لا سبيل إلى مقارنته بالذى يملكونه من ذلك فأراد أتباع يزيد أن يستعيضوا عن البون الشاسع فى الإمكانيات بجعل بلاد العراق وراء ظهورهم ومن [illegible] ان تقاطر الإمدادات عليهم عند الحاجة من رجال أظهر[illegible] على الدولة الأموية وولاتها ليس هذا فحسب بل إن هذا الرأى الذى عرضوه على يزيد بن المهلب يضمن له وفرة المؤن لجيشه فى سهولة ويسر وهذا كما ترى لا يقل أهمية فى الحرب عن العتاد إن لم يفقه فكان هذا الخلاف الذى خالف به يزيد أتباعه من العوامل التى سهلت على مسلمة بن عبد الملك إحراز الإنتصار على يزيد فإن الخليفة يزيد بن عبد الملك حين علم بعدم

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٥٨٨،٥٨٩

ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٧٦ ، ٧٧

ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ صـ٥٤٨

جدوى أمانه للثائر أشخص أخاه مسلمة بن عبد الملك لحربه في سبعين ألف مقاتل وقيل ثمانين ألفاً[1] .

فلما وقفت شيعة يزيد بن المهلب على أخبار الجيش القادم من بلاد الشام بقيادة قائده الفذ مسلمة بن عبد الملك صاحب الانتصارات في الأناضول والقسطنطينية [2] راعهم ذلك فأراد يزيد أن يذهب عنهم فزعهم فذكر لهم أنهم أقوى من الجيش الذى يوشكون على مجابهته وأن قائده اصغر من أن يقيم له وزناً فهو ليس إلا جرادة صفراء لا تحدث أثراً في رجال من العرب يجابهون آخرين دونهم جمعهم القائد الأموى من أماكن شتى فلا يقوى هؤلاء عليهم إن هم قاتلوهم بما عرف عن العرب من همة وقوة في الحرب قد رأيت أهل العسكر وخرقهم ، يقولون جاء أهل الشام ومسلمة ، وما أهل الشام ؟ هل هم إلا تسعة أسياف ، سبعة منها إليّ وسيفان علىّ ، وما مسلمة إلا جرادة صفراء ، أتاكم في برابرة ، وجرامقة ، وجراجمة [3] وأنباط وأبناء فلاحين وأوباش وأخلاط أو ليسوا بشراً يألمون كما تألمون

---

[1] الدينورى : الأخبار الطوال صـ٣٣٢ ، الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٥٩٠

ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ ٧٤

محمود شيت خطاب : مجلة المجمع العلمى العراقى "مسلمة بن عبد الملك" مجلد ٢٩ / ١٩٧٨ صـ٧٦ ، ٧٧ .

[2] القضاعى : الإنباء بأنباء الأنبياء صـ٢٢٧ ، ٢٢٨

[3] اسم شعب قديم كان يسكن الشام اشتق اسمه من مدينة تدعى جرجومة كانوا عوناً للمسلمين على الروم في فتح الشام فصولحوا على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام وأن لا يؤخذوا بالجزية .

أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى جـ١ صـ ٥٨٨

وترجون من الله ما لا يرجون ؟ أعيروني سواعدكم تصفقون بها وجوههم وقد ولوا الأدبار[1].

وعلى كل حال فإن يزيد بن المهلب سار بجيوشه حتى نزل العقر في مواجهة مسلمة بن عبد الملك فما فتئ يزيد بن المهلب يحمس جنده عند مشرق كل شمس على القتال ويحقر لهم من شأن قادة معسكر الشام [2] ، وبدلاً من أن تثمر هذه الأقوال في العراقيين الثمرة التي يتمناها يزيد إذا بها تجعل القائد في موقف بالغ الحرج بعد مضي أيام على مكثه بعسكره عند العقر فإن غير واحد من وجوه عسكر يزيد دعا الشاميين إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - فيهم فوجدها الشاميون فرصة ليخضعوا بها جند يزيد فأعلنوا قبولهم هذه الدعوة الأمر الذي ضيع على يزيد بن المهلب فرصة إحراز الانتصار على مسلمة بن عبد الملك بمباغتته وتبييت عسكره وطم خندقه فلما أطلع أتباعه على ذلك لم يشاطروه رأيه على اعتبار أن ذلك نقض للعهد الذي عقدوه مع الشاميين فنهض أحدهم ليقول له : إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيه - ﷺ - وقد زعموا أنهم قبلوا هذا منا فليس لنا أن نمكر ولا نغدر حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم

---

[1] ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٧٥

[2] الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٥٩١ ، ٥٩٢

قابلوه منا [١] وبعد ثمانية أيام انقضت على وجـــود الجيشـــين عند العقر نشبت بين الفريقين أتباع ابن المهلب وجند الخلافة بقيــادة مسلمة بن عبد الملك معركة ضروس خذل فيها العراقيــون قـــائدهم يزيد بن المهلب فانفضوا عنه وعبثاً حاول ردهم إلى ميدان الحـــرب فإنهم كانوا أقبلوا كالجبال يريدون الفرار دون حرب فقال يزيد حيـــن رآهم في هيئتهم هذه قبحهم الله بَقٌ دُخِّـــن عليــه فطـــار .... دعوهم فوالله إني لأرجو أن لا يجمعني وإياهم مكـــان أبـــدا دعوهـــم يرحمهم الله ، غنم عدا في نواحيها الذئب ، ومضى يزيد بن المـــهلب في عصبة يسيرة من خلصاء أتباعه مستأســـدين يضربـــون خيـــول ووجوه الشاميين الذين مروا بهم حتى وصل يزيد إلى مسلمة بن عبـد الملك يريد الإجهاز عليه فقتله رجل من كلب [٢] وذلك في يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة[٣] فلمـــا بلـــغ ولـــده معاوية وهو بواسط مقتل أبيه أخرج عدى بن أرطاه ومن كان معـــه فضرب أعناقهم ، وركب البحر حتى صار بمن كان مـــن أهـــل بيتـــه وأنصاره إلى قندابيل من أرض السند [٤] .

---

[١] الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٥٩٢ ، ٥٩٣
ابن الأثير : الكامل : جـ٥ صـ٨٠
ابن خلدون : تاريخه جـ٣ صـ٩٨
محمود شيت خطاب : مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ٢٩ / ١٩٧٨ (مسلمة بن عبد الملك) صـ٧٨

[٢] الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧
ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٨١،٨٢،٨٣

[٣] خليفة بن خياط : تاريخه صـ٣٢٥

[٤] خليفة بن خياط : تاريخه صـ٣٢٥
الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ ٥٩٩ ، ٦٠٠
اليعقوبي : تاريخه جـ٢ صـ٣١١

وبهذه النتيجة التى رأها القارئ الكريم أسدل الستار على واحدة من الثورات التى شهدتها البصرة واكتوت بنارها على يد واحد من ولاتها فأخفقت مثل سابقتها فى تحقيق أهدافها التى ماتت فى سبيل نيلها زعيمها وإن أراد المرء التماس أسباب يعزو إليها إخفاق هذه الثورة فإنه يجدها تتلخص فيما يلى :-

١-إن يزيد بن المهلب حين خرج من محبس عمر بن عبد العزيز لم يكن يريد لنفسه قيادة ثورة وإنما كان يريد التماس ملجأ آمن يحميه من بطش يزيد بن عبد الملك به ، فهو إذن قاد من البصرة ثورة كبرى فى وجه الدولة الأموية دون إعداد مسبق فرجل يقبل خوض مغامرة كهذه دون أن يحسب لها حساباً دقيقاً فإن الفشل أقرب إليه من النجاح .

٢-تعجل يزيد بن المهلب فى الحكم على يزيد بن عبد الملك فقد خرج عليه ولمّا يمض على خلافته سوى أيام قلائل فلو أنه جعل للحوار مجالاً لاستطاع به نيل مكانةٍ مرموقةٍ فى خلافته وآية ذلك هذا الأمان الذى بعثه الخليفة إلى الثائر فلو لم يكن يريد الحوار الذى يغنيه عن الحسام ما قبل الخليفة تأمين رجل خارج عليه

٣-إن يزيد بن المهلب لم يحسن استقراء مواقف قادة الثورات السابقة عليه فى البصرة حتى يتلافى الوقوع فى ما وقعوا فيه مما كان السبب فى هزائمهم المتتالية على يد ولاة الدولة الأموية وقادتها فإن البصريين وغيرهم من العراقيين دأبوا الانفضاض عن قادتهم فى حومة الوغى فكأنهم يسلمونهم بإرادتهم مكتوفى الأيدى إلى أعدائهم حتى ينزلوا بهم ما يريدون من قتل أو حبس مثلما رأيته

متكررا فى قتال عبد الملك لمصعب بن الزبير ثم الحجاج مع ابن الجارود وكذلك ثورة ابن الأشعث .

٤-إعتزاز يزيد بن المهلب بنفسه والموروث التاريخى لعائلته جعله لا يحسن الإفادة من المحيطين به مع كونهم من أهل الخبرة مثلما رأينا من تشبهه برأيه فى اختيار الخطة التى يحارب بها الجند الشاميين القادمين لحربه بقيادة مسلمة بن عبد الملك ، ليس هذا فحسب بل إنه جعل من نفسه نداً لرجل هو ولى عهد دولة يقيم على أرضها فأغلظ الخطاب ليزيد بن عبد الملك بحضرة عمر بن عبد العزيز كما رأينا فيما سلف ، فرجل هذه شخصيته لا مراء يجعل غيره من أولى الأمر يثأرون فى سبيل القضاء على طموحاته وذلك ما كان عندما قرر يزيد بن عبد الملك إرسال الجيوش إليه لحربه .

٥-موقف الحسن البصرى من الثائر كان له أثر على العراقيين الذين انضموا إلى يزيد بن المهلب فقاتلوا معه لا عن إيمان بمبادئ ثورته وإنما رغبةً فى الحصول على الأموال التى كان يغدقها على أتباعه هنا وهناك .

والذى يدلك على صحة هذا الأمر أن البصريين انفضوا عن واليهم عدى ابن أرطاه حين لم يعطهم المال بالقدر الذى أعطاهم إياه يزيد بن المهلب ، ومن ثم كان قتال أتباع يزيد معه قتال مرتزقة لا قتال أصحاب مبدأ .

وهذا ما جعلهم ينجون بأنفسهم عند نشوب القتال الحاسم ويفرون من الميدان فى جماعات كالجبال .

ولقد أدرك يزيد بن المهلب مؤخراً هذه الحقيقة حين قال لجلسائه وهو يقارن بين أتباعه من البصرة وأهل العراق وبين قومه

بخراسان ترون أن فى هذا العسكر ألف سيف يضـــرب بـــه ؟ قـــال حنظلة بلا عتاب : إى والله وأربعة آلاف سيف ، قال : إنهم والله مـــا ضربوا ألف سيف قط ، والله لقد أحصى ديوانى مائة وعشرين ألفـــاً والله لوددت أن مكانهم الساعة معى من بخراسان من قومى [1].

ولقد دفع بعض هؤلاء ثمن فرارهم حين أسروا فقتـــل مســـلمة ابن عبد الملك ثلاث مائة منهم فى يوم واحد وهم يقولون :

(إنا لله انهزمنا بالناس وهذا جزاؤنا)[2]

٦-إن مسلمة بن عبد الملك تمكن من إحراز الانتصـــار علـــى يزيد بن المهلب لأنه قاد جيشاً دان له بالولاء بخلاف يزيد بن المهلب فإن جيشه ضم كثيراً من الرجال الذين أبوا إلا التدخل فى كل ما يريـــد القائد فعله فى الأوقات الحاسمة فأدى ذلك التدخل إلى ضياع الفرصـــة على يزيد بن المهلب فى إحراز الإنتصار على مسلمة بن عبد الملـــك كما هو الحال حين حالوا بينه وبين مباغتته القائد الأمـــوى وتبييتـــه ليلاً بحجة أن الشاميين قبلوا تحكيم كتاب الله بينهم وبين العراقيين .

ولأن ابن المهلب كان فى وقت لا تغنى عنه فيه معارضة فقـــد قبل مرغماً هذا الرأى على الرغم من قوله لهم إنها خديعة خدع بـــها الشاميون العراقيين .

ولقد برهن على صحة رأيه للقل اليسير من أتباعه بعد فـــوات الأوان حين قال للسميدع أحد الأتباع المخلصيـــن لـــه وكـــان ممـــن

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٥٩٢

[2] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٥٩٩

عارضوه (يا سميدع لرأيي أجود أم رأيك ألم أعلمك ما يريد القوم ، قال : بلى)[1] .

وعلى كل حال فإن مسلمة بن عبد الملك طفق يتعقب المهالبة بعد هزيمتهم فهاموا على وجوههم يطلبون النجاة بأماكن عدة فقتل منهم من قتل ، ونجا النفر اليسير منهم ومثل ذلك نال أتباعهم وأشياعهم الذين وقعوا فى الأسر وكما كانت البصرة النقطة التى انطلقت منها الثورة فى بدايتها فإنها كانت كذلك المنطقة التى شهدت نهايتها حين أمتها جموع المهالبة المنهزمين فانطلقوا منها على السفن لينجوا من عقاب يزيد بن عبد الملك وأخيه مسلمة .

ولأن هذه الدراسة التى يطالعها القارئ الكريم تعنى بدراسة ولاة البصرة وما حدث على أرضها فى ظلال حكمهم أو فى المناطق التابعة لها فإنى أضرب صفحاً عن تتبع مآل كل واحد من أبناء المهلب بن أبى صفرة بعد هزيمة ولده يزيد عند العقر [2].

ولقد عقب أحد الباحثين المحدثين على ثورة يزيد بن المهلب وما أصاب الدولة الإسلامية بسببها فعد انتصارها على الثائر وقتلها له خسارةً كبرى بالنظر إلى السلبيات التى خلفتها هذه الثورة على الدولة فى المدى القصير والطويل (قد خسرت الدولة بالقضاء على يزيد بن المهلب وبنى المهلب خيرة قادتها وأحسن جنودها وأقدر

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٨٢

(٢) إذا ما أراد القارئ الكريم الوقوف على ما نزل بآل المهلب بعد الهزيمة يمكنه الرجوع إلى الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٥٩٧،٥٩٨،٥٩٩،٦٠٠،٦٠١،٦٠٢،٦٠٣

ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٨٣،٨٤،٨٥

ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ٤ صـ٤٤٢،٤٤٣

ابن خلدون : تاريخه جـ٣ صـ٩٩،١٠١

أمرائها وولاتها وهى خسارة كبيرة بلا مراء وأدهى من ذلك وأمر أن الاقتتال الذى نشب بين الأخوة أدى إلى عداء عميق الجذور بين القبائل العربية فى العراق قاعدة الفتح الإسلامى المتقدمة مما أدى إلى انصراف الفاتحين عن الفتح إلى الاقتتال فيما بينهم ، فأصبحت طاقاتهم موجهة إلى أنفسهم بدلاً من توجيهها إلى أعدائهم ، فانحسر مد الفتح وتقلص نفوذ الدولة فى العراق وفارس وفى السند والأفغان وفيما وراء النهر ، وانتهز هذه الفرصة السانحة العباسيون للقضاء على الأمويين وأصبح دعاة بنى العباس يسرحون ويمرحون فى بلاد فارس بخاصة بحرية كاملة دون رقيب فعال وحسيب مؤثر . لذلك كان انتصار مسلمة فى هذا الاقتتال تعبوياً ولكنه كان هزيمة سوقية (استراتيجية) على المدى البعيد ، والانتصار التعبوى لا قيمة له بالنسبة للهزيمة السوقية كما هو معروف)[1] .

وعلى كل حال فإن يزيد بن عبد الملك سر سروراً شديداً بهذا الانتصار الذى أحرزه أخوه مسلمة على يزيد بن المهلب فكافأ عمر ابن هبيرة على بلائه فى هذه الحرب بأن أقطعه الإقطاعات[2] أما أخوه فقد جعله والياً على العراق لتستقبل البصرة والياً جديداً بعد حكم يزيد بن المهلب لها أشهرا .

---

[1] محمود شيت خطاب : مجلة المجمع العلمى العراقى مجلد ٢٩ سنة ١٩٧٨ (مسلمة بن عبد الملك) صـ٨١ ، ٨٢

[2] البلاذرى : فتوح البلدان جـ٢ صـ٤٥١

ولاية مسلمة بن عبد الملك على العراق

تولى مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأمــوى أبــو سعيد العراق بعد ثورة ابن المهلب وقد كان روى عن ابن عمه عمــر بن عبد العزيز ، وعنه روى أبو واقد صـــالح بــن محمــد الليثــى وآخرون [١] .

نقل عنه ابن الجوزى مقولةً توضح للقارئ شخصية هذا الوالى القوى وهو يدبر أمره ثم شئون أتباعه بعدما آلت إليه قيادة الجيــوش ثم ولاية العراق .

" ما لمت نفسى على خطأ افتتحته بحـــزم ولا حمدتــها علــى صواب افتتحته بعجز [٢]

وعلى الرغم من قوة شخصية هذا الوالى فإنه لم يســرف فــى استغلالها إلا حيث يكون ذلك مفيداً للدولة سواء أكان ذلك بــالداخل أم بالخارج فإن مسلمة بن عبد الملك كره نهج نائبه الذى جعلــه علــى البصرة عبد الرحمن بن سليمان الكلبى عوضاً عن شبيب بن الحــارث التميمى ذلك أن عبد الرحمن لما جاء إلى عملـــه أراد أن يســتعرض أهل البصرة فيقتلهم فنهاه عمرو واستمهله عشرة أيام وكتــب إلــى مسلمة بالخبر ، فعزله وولى البصرة عبد الملك بن بشر بن مــروان وأقر عمرو بن يزيد على الشرط والأحداث [٣].

---

[١] ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ١٠ صـ١٤٤

الزبيرى : نسب قريش صـ١٦٥

[٢] ابن الجوزى : المنتظم جـ٤ صـ٦٩٠

[٣] ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٨٩

ولقد احسن الوالى صنعا بعزل هذا النائب لأن الاستمرار فى إراقة دماء البصريين بعد ثورة ابن المهلب يؤدى إلى اضطراب الجبهة الداخلية واتساع نطاق العصبية القبلية ، وازدياد كراهية البصريين للعمال الأمويين .

فكانت الحكمة كما ترى تقتضى عزل هذا النائب عن المصر تلافياً لوقوع أحداث على أرضه تكلف الدولة المزيد من الأموال والرجال .

لم يبق يزيد بن عبد الملك طويلاً على عامله ببلاد العراق فاستبدل عمر بن هبيرة به ، ولعل الخليفة أراد من ولاية أخيه القصيرة على العراق تلك التى بدأت وانتهت فى سنة اثنتين ومائة التأكد من خضوع العراقيين للخليفة بعد ثورة ابن المهلب هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إرضاء أخيه بعد الذى قدمه للخلافة من نصر عزيز على يزيد بن المهلب فلما رأى الخليفة ان آصرة الأخوة التى تربطه بعامله على العراق تحول بينه وبين محاسبة الوالى على إدارته لعمله بادر إلى استبدال اخر به حين استبطأ اخاه فى رفع حصار العراق

وثمت سبب اخر عزا إليه بعض الرواة عزل مسلمة عن العراق يرجع إلى استغلال عمر بن هبيرة مكانة حبابة لدى الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وقد كان ابن هبيرة يمنى نفسه بولاية العراق منذ زمن ، فلما ولى يزيد بن عبد الملك ورأى ابن هبيرة تحكم حبابة عليه تابع هداياه اليها وإلى يزيد بن عبد الملك ، فعملت له فى ولاية العراق فولاه يزيد ، وكان ابن هبيرة بينه وبين القعقاع بن خليد

العبسى تحاسد ، فقال القعقاع : من يطيق ابن هبيرة ، حبابة بالليل وهداياه بالنهار ، فلما ماتت حبابة قال القعقاع :-

هلم ماتت حبابة سامنى بنفسك يقدمك الذرى والكواهل
أغرك أن كانت حبابة مرة تحميك فانظر كيف ما أنت فاعل

وكان بينه وبين القعقاع يوماً كلام فأغلظ له القول وقال له : من قدمك، فقال : قدمك أنت وأهلك أعجاز الغوانى ، وقدمنى صدور العوالى فسكت القعقاع يعنى أن عبد الملك قدمهم لما تزوج إليهم فإن أم الوليد وسليمان ابنى عبد الملك بن مروان عبسية [1].

وكيفما كان السبب الذى عزل من أجله مسلمة عن العراق فإن الرواة اختلفوا حول الكيفية التى علم بها الوالى خبر عزله.

فمنهم من قال إن الخليفة كتب لمسلمة كتاباً وهو بالعراق جاء فيه استخلف على عملك و أقبل[2]

و قيل غير ذلك فيذكر ابن الأثير أن مسلمة شاور عبد العزيز ابن حاتم بن النعمان فى الشخوص إلى يزيد ليزوره قال: أمن شوق إليه ؟ إن عهدك منه لقريب. قال لابد من ذلك . قال : إذاً لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالى عليه ، فسار مسلمة فلقيه عمر بن هبيرة الفزارى بالعراق على دواب البريد ، فسأله عن مقدمه ، فقال عمر : وجهنى أمير المؤمنين فى حيازة أموال بنى المهلب ، فلما خرج من عنده أحضر مسلمة عبد العزيز بن حاتم و أخبره خبر ابن

---

[1] ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٩٩،١٠٠
[2] ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٩٧

هبيرة ، فقال قد قلت لك قال مسلمه : فإنه جاء لحيازة امـــوال آل المهلب قال هذا أعجب من الاول ، يكون ابن هبيرة على الجزيـرة فيُعزل عنها و يبعث لحيازة أموال بني المهلب و لم يكتب معه إليـــك كتاب فلم يلبث حتى أتاه عزل ابن هبيرة عما له و الغلظة عليهم [1]

و كيفما كان فإن الرجل ظل في خدمة الدولة بعد عزله عن بلاد العراق حيث إنه كان يحظى باحترام الأمويين و كان من الممكـــن أن يكون من الرجال المرشحين للخلافة لولا أنه من أ. ز لد.

و توفى الوالى المذكور في سنه اثنتين و عشرين و مائه[2]

---

[1] ابن الأثير : الكامل جـ ٥ صـ ٩٨

[2] ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ صـ ٦٩٠

ولاية عمر بن هبيرة على العراق

تمهيد :-

الدارس لولاة البصرة يجد أن المصر بعد رحيل مسلمة بن عبد الملك عن العراق أخذ دور أهله يتلاشى فى التأثير على الأحداث السياسية الداخلية بالدولة الأموية فلم تعرف أرض البصرة بعد ثورة يزيد بن المهلب ثورةً حشدت لها الدولة الأموية رجالها و أنفقت عليها أموالها مثلما كانت الحالة فى خراسان و غيرها من حواضر الدولة الإسلامية إذ ذاك ، وتلك سمة ميزت عهود رجال تعاقبوا على ولاينهم من خلال حكمهم لبلاد العراق فطالت مدة حكم معظمهم لبلاد العراق والرجال الذين جعلوهم على البصرة لحكمها نيابةً عنهم لم يكن بينهم و بين أهلها ما يجعل المصادر الأصيلة للتاريخ الإسلامى تعنى بذكرهم وعلاقاتهم بأهل مصرهم .

و من ثَم فإن القارئ الكريم سوف لا يرى فيما يلى من صفحات الدراسة إلا ترجمةً موجزةً لرجالٍ تولوا ولاية العراق من سنةً اثنتين و مائةً إلى سنةً اثنتين و ثلاثين و مائةً للهجرة الغاية منها وقوف القارئ على بداية و نهاية حكم كل واحد منهم حتى يكون على بينةً من أمره وهو يحكم على هؤلاء الولاة أولهم فإنهم فيما أظن أسهموا بطريق مباشر أو غير مباشر فى زعزعة الاستقرار فى الدولة الأموية ، ومن ثُم إتاحة الفرصة لنشر الدعوة العباسية .

و أول هؤلاء الولاة عمر بن هبيرة الأمير ابو المثنى الفزارى الشامى[1] قدم من البادية مع قومه ، و شارك فى غزو الروم مع عمرو بن معاوية العقيلى ، أقطعه عبد الملك إقطاعاً بعدما سيره الحجاج إليه و أثنى عليه لقتله مطرف بن المغيرة بالرى ، و كان خرج على الحجاج بهذا الإقليم ، و لما شجر بين عمر بن هبيرة و الحجاج خلاف بسبب أموال أخذها الأول بغير حق من الوالى لاذ بعبد الملك بن مروان و سأله أن يؤمنه من الحجاج حتى لا يقتله بابن عمه مطرف فأمنه عبد الملك [2]

ولقد رأى القارئ الكريم فيما سبق الوسيلة التى سلكها عمر بن هبيرة للحصول على ولاية العراق من يزيد بن عبد الملك مما يجعل المرء يثقه واحداً من هؤلاء الانتهازيين الذين أخذوا يكثرون فى العقود الثلاثة الأخيرة من عمر الدولة الأموية .

و على كل حال فإن الرجل ظل على بلاد العراق حتى توفى يزيد بن عبد الملك لخمس بقين من شعبان سنة خمس و مائه [3] وجاء هشام بن عبد الملك [4] إلى الخلافة فعزل عمر عن العراق بخالد ابن عبد الله القسرى .

---

(1) الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ٥ صـ ٤٥٥

(2) ابن الأثير : الكامل جـ ٥ صـ ٩٨، ٩٩

(3) العمرانى : الانباء فى تاريخ الخلفاء صـ ٥١

السيوطى : تاريخ الخلفاء صـ ٢٤٧

(4) أبو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان أمه أم هاشم فاطمة بنت هشام المخزومى بويع له بعهد أخيه إليه لخمس بقين من شعبان و سنة خمس ومايه . ونقش خاتمة " الحكم للحكم الحكيم " استمرت خلافته تسع عشرة سنه و سبعه أشهر و أحد عشر يوماً توفى بالرصافة لست خلون من ربيع الأول سنه خمس و عشرين و مايه

القضاعى : الإنباء بأنباء الأنبياء صـ ٢٣٦

ولاية خالد على العراق

و ثاني الولاة الذين تعاقبوا على العراق في هذه الحقبة التي أشرت إليها أبو يزيد و أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد ابن كرز البجلي القسري ولد من أم نصرانية و جد صحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تولى حكم مكة للأمويين سنة تسع وثمانين للهجرة [1] و لم يعزل عنها إلا حين ولاه هشام بن عبد الملك العراق سنة ست و مائة [2] روى عن أبيه عن جده ، و روى عنه إسماعيل بن أبي خالد و حميد الطويل و غيرهما [3]

و لما وصل خالد إلى عمله صرف جل همه في بداية عهده إلى القبض على سلفه عمر بن هبيرة فقيده و ألبسه عباءة و سجنه فتحيل غلمانه و نقبوا سرباً أخرجوه منه ، فهرب و استجار بالأمير مسلمة بن عبد الملك فأجاره حتى مات عمر [4] و خالد القسري من الرجال الذين اختلف في الحكم عليهم العلماء المعاصرون لهم فقد ذمه كثيرون منهم و نسبوا إليه أفعالاً شنيعة [5] لا تتسع الدراسة إلى

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ صـ ٢٢٦

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ١٠١

(٣) ابن قتيبة : المعارف صـ ٣٩٨، ٣٩٩

ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ٣ صـ ١٠١

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٦ صـ ٤٥٥

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٦ صـ ٢١٥

ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ٣ صـ ١٠٢

تفصيلها و قليل منهم من أثنى عليه و دبر الرواية عنه[1]

و على كل حال فإن خالد القسرى ظل يدبر بلاد العراق لهشام ابن عبد الملك حتى عزله بيوسف بن عمر الثقفى فى جمادى الأولى سنه عشرين و مائة[2] ولقد اختلفت الروايات فى سبب عزله فمنها ما ذكر أن حسان النبطى وهو من عمال خالد القسرى وأصفيائه لما أنزل به الوالى عظيم عقابه دس النبطى على الخليفة خادما من خدامه وقال له إن تكلمت بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام ، فلك عندى ألف دينار، قال فعجل لى الألف وأقول ما شئت فعجلها له وقال له : بكِّ صبياً من صبيان هشام فإذا بكى فقل له اسكت والله لكأنك ابن خالد القسرى الذى غلته ثلاثة عشر ألف ألف ، فسمعها هشام فأغضى عليها. ثم دخل عليه حسان بعد ذلك ، فقال له هشام : ادن منى فدنا منه ، فقال كم غلة خالد ؟ قال ثلاثة عشر ألف ألف قال فكيف لم تخبرنى بهذا ! قال وهل سألتنى ؟ فوقرت فى نفس هشام فأزمع على عزله[3].

ومنها ما ذكر أن هشاما عزله لما نمى إلى علمه أن خالداً يذكر الخليفة بأسه فكان يقول عنه فى مجلسه ابن الحمقاء ، وغير ذلك من الراويات التى أتى الطبرى وغيره على ذكرها[4].

وكيفما كان السبب فإن خالداً القسرى عزل بيوسف بن عمر الثقفى .

---

[1] الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ٦ صـ ٢١٢

[2] ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ صـ ٢٢٩

[3] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ١٤٣

[4] يمكن للقارئ الكريم إن هو أراد الوقوف على تفاصيل الروايات المتعددة التى ذكرت سبب عزل هشام لخالد القسرى عن العراق مطالعة :

تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ ١٤٢ : ١٤٧

ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ صـ ٢٢٩

الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ٦ صـ ٢١٥

ولاية يوسف بن عمر العراق

أما ثالث الولاة الذين تولوا العراق فهو أبو عبد الله يوسف ابن عمر بن محمد بن الحكم بن أبى عقيل بن مسعود الثقفى [1]. ولاه هشام بن عبد الملك اليمن فى سنة ست ومائة ولم يعزله عنها إلا حين ولاه العراق سنة عشرين ومائة [2].

والجدير بالذكر أن عزل خالد عن العراق بعد هذه المدة الطويلة التى انقضت على حكمه للبلاد لم يكن بالأمر الهين ، وآية ذلك هذه التعمية الشديدة التى لجأ إليها هشام بن عبد الملك عندما أراد عزل خالد بيوسف بن عمر ذلك أن هشاماً حين جاءه رسول يوسف الثقفى من بلاد اليمن دعاه إليه وقال له : إن صاحبك قد تعدى طوره وسأل فوق قدره وأمر بتخريق ثيابه وضربه أسواطاً وقال له : امض إلى صاحبك ، فعل الله به وصنع ، ودعا بسالم اليمامى مولى سالم ابن عنبسه بن عبد الملك وكان على ديوان الرسائل وقال له : اكتب إلى يوسف بن عمر بشئ أمره به واعرض الكتاب علىّ ، فمضى سالم ليكتب ما امره به ، وخلا هشام بنفسه ، وكتب كتاباً صغيراً بخطه إلى يوسف بن عمر وفيه : سر إلى العراق فقد وليتك إياه ، وإياك أن يعلم بك أحد واشفنى من ابن النصرانية ، يعنى خالداً ، ومن عماله [3].

---

[1] ابن قتيبة : المعارف صـ ٣٩٨
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٧ صـ١٠١

[2] ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٧ صـ١٠١

[3] ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٧ صـ ١٠١ ، ١٠٢

جاء يوسف بن عمر إلى العراق وليس له من هم إلا القضاء على نفوذ سلفه خالد القسرى فبذل قصارى جهده حتى تمكن من إلقاء القبض عليه فلما تم له ما أراد أخذ خالداً وعماله وحبسه وحاسبه وعذبه ، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد[1] قيل : إنه وضع قدميه بين خشبتين وعصرهما حتى انقصفا .

، ثم رفع الخشبتين إلى ساقيه وعصرهما حتى انقصفا ، ثم إلى وركيه ، ثم إلى صلبه، فلما انقصف صلبه مات وهو في ذلك كله لا يتأوه ولا ينطق ، وكان ذلك في المحرم سنة ست وعشرين ، وقيل في ذى القعدة سنة خمس وعشرين ومائة بالحيرة ، ودفن في ناحية منها ليلاً[2] في هذا الوقت الذى قتل فيه خالد أخذت الأمور في الدولة الأموية تزداد اضطراباً

[1] هو أبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف الثقفى ، بويع له في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وما ولى من ولد عبد الملك أكبر منه لأنه ولى وقد جاوز الأربعين نقش خاتمه " يا وليد احذر الموت " ، سار إليه ابن عمه يزيدابن الوليد بن عبد الملك فقتله في يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين بالبخراء وله ثنتان وأربعون سنة .

القضاعى : الإنباء بأنباء الأنبياء صـ ٢٣٩ : ٢٤١ .

[2] ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ صـ٢٢٩

ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ٣ صـ١٠٢

بعد ما قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك وجاء إلى الخلافـــة[1] يزيــد ابن الوليد (الناقص)[2] الذى عزل يوسف بمنصور بن جمهور .

والأخير خافه يوسف خوفاً شديداً ففر من عمله هائمـــا علـــى وجهه وهو يلاحق من جند الوالى وخليفته حتى قبض عليــــه يزيــد فبقى فى الحبس ولاية يزيد وشهرين وعشرة أيام من ولاية ابراهيم ، فلما قرب مروان من دمشق ولى قتلهم يزيد بن خالد القسرى مولـــى لأبيه خالد يقال له أبو الأسد [3].

أما الوالى الرابع منصور بن جمهور فإن الخليفـــة يزيــد بـــن الوليد جعله على العراق بسبب مواقفه الحسنة عندما قتل الوليد ابـــن يزيد ويقال أنه ولاه بسبب أنه لما فرغ الناس من الوليد ذهـــب مـــن فوره إلى العراق فأخذ البيعة من أهلها إلى يزيد ، وقرر بالأقاليم نواباً وعمالاً وكر راجعاً إلى دمشق فى آخر رمضان سنة ست وعشـــرين ومائة[4] لم تطل ولاية منصور بن جمهور على العراق فقد عزله يزيد

---

[1] ابن قتيبة : المعارف صـ٣٦٧

[2] أبو خالد يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وأمه شاهفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بويع له لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، نقش خاتمه " يزيد قم بالحق " ، توفى بعد الأضحى بالطاعون وله أربعون سنة وذلك سنة ست وعشرين ومائة .

القضاعى الإنباء بأنباء الأنبياء صـ٢٤٢ :٢٤٣ .

[3] ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧

ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٤

ابن خلدون : تاريخه جـ٣ صـ١٣٦ ، ١٣٧

[4] ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٢٩٧

ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٤

بن الوليد عنها بعد شهرين[1] من ولايته لها بعبد الله بن عمر ابن عبد العزيز الذى كان منعوتاً بالشجاعة واحتفر نهر ابن عمر بالبصرة والوالى المذكور حظى بحب أهل المصر له حتى أنهم أرادوا مبايعته بالخلافة بعد يزيد بن الوليد[2] إلا أن ذلك لم يتحقق لأهل البصرة.

ولعل السبب الذى جعل الخليفة يعمد إلى عزل منصور وتولية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز راجع إلى أن لخليفة أدرك أن واليه على العراق ليس بالرجل الذى تحمد سيرته ولا هو بالذى يستطيع سياسة أهل البلد ناهيك عن كون الخليفة شخصياً ممن لم ترض عن خلافته معظم الرعية فأراد أن يثبت لهم نقيض ما علموه عنه فاختار لهم واحداً من الرجال المشهود لهم بالصلاح هو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والذى يدلك على وجود هذا الشعور عند الخليفة قوله له لما ولاه : سر إلى العراق فإن أهله يميلون إلى أبيك . فلما وصلها تسلم البلد من منصور بن جمهور وأنشأ يعين العمال على الأعمال مراعياً فى ذلك رأب الصدع الذى كان تسبب فيه منصور بن جمهور لما آل إليه أمر البلد فقد أبقى على نصر بن سيار فى عمله بخراسان وكان منصور بن جمهور عزله عنها[3] ووزع الأعطيات على الرعية.

---

[1] ابن خلدون : تاريخه جـ٣ صـ١٣٧

[2] القضاعى : الإنباء بأنباء الأنبياء صـ٢٣١

[3] خليفة بن خياط : تاريخه صـ ٣٨٢

ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٣٠٢

ابن الوردى : تاريخه جـ١ صـ١٧٧

وتختتم صفحات ولاة الدولة الأموية بآخر ولاتها على العراقين يزيد بن هبيرة الذى ولاه مروان فإن هذا الرجل جاء فى وقت استغلظ فيه عود دعاة العباسيين فانثالوا يحوزون المصر تلو الآخر فلما استولوا على الكوفة بعث قائدهم حميد بن قحطبة رجاله لحكم المناطق المجاورة لها ومنهم بسام بن إبراهيم بن بسام على الأهواز فلما طرد عنها عبد الواحد بن عمر بن هبيرة عامل يزيد بن هبيرة بها شخص بسام ببصره إلى البصرة بقصد الاستيلاء عليها فسير إليها سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب فلما وصلها سفيان كتب إلى سلم بن قتيبة الباهلى عامل البصرة من قبل يزيد بن هبيرة يطلب منه التحول من دار الإمارة فامتنع عامل البصرة من تسليم عمله إلى سفيان بن معاوية وتأهب لخوض معركة ضد العباسيين على أرض البصرة يحدد بها مصير الأمويين ونادى مناديه فى البصريين من جاء برأس فله خمسمائة ، ومن جاء بأسير فله ألف درهم ، فلما قتل معاوية (بن القائد العباسى) وجاءوا برأسه إلى سلم أجاز قاتله بعشرة آلاف درهم.

ولم يزل سلم بالبصرة حتى أتاه قتل ابن هبيرة ، فشخص عنها ، واجتمع من بها من ولد الحارث بن عبد المطلب إلى محمد ابن جعفر فولوه أمرهم ، فوليهم أياماً يسيرة حتى قدم البصرة أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعى من قبل أبى مسلم. فلما قدم أبو العباس ولاها سفيان بن معاوية[1] من قبله لتبدأ المدينة عهداً جديداً تحت حكم العباسيين .

---

[1] ابن الأثير الكامل جـ٥ صـ٤٠٤ : ٤٠٧

وبذلك تطوى صفحة ولاة المروانيين على البصرة بما فيها من أحداث كان لها عظيم الأثر على مجريات الأمور فى الدولة الإسلامية فقد رأى القارئ البصرة تعيش عهداً حكمها فيه الزبيريون الذين آلوا على أنفسهم مصارعة المختار بن أبى عبيد فلما فرغوا منه جابهوا الأمويين الذين نجحوا فى ادالة حكم الزبيريين بها ، وكان من المأمول أن يستريح البصريون من عناء الصراعات الداخلية بعد أيلولة أمرهم إلى الدولة الأموية إلا أن تلك الآمال قد تلاشت فقد شاركوا فى صراعات أدهى وأمر من تلك التى اصطلوا بنارها أيام الزبيريين كان أعظمها الذى وقع فى زمن الحجاج فإن هذا الوالى حكمهم عشرين عاماً قضى معظمها فى إخماد ثورات قامت فى وجهه مثل ثورة ابن الجارود وابن الأشعث ناهيك عن مواجهته للخوارج ، وأنت خبير فى أن ثورات وحركات كهذه لا مراء تزهق الأرواح وتذهب الأموال وتجعل أولى الأمر يغفلون عن المضى قدما فى مجاهدة الأعداء المتربصين بحضور الدولة الأموية ، وذلك لا يعنى أن الحجاج قد قضى مدة حكمه هذه دون أن يولى الناحية الإدارية والعمرانية عنايته فإن البصرة وغيرها من بلاد العراق عرفت إصلاحات إدارية ومالية فقد أنشأ الحجاج العملة المكتوب عليها بالعربية والتى نقشها (الله أحد الله الصمد)[1] وشهدت البصرة مشاريع زراعية فى عهد هذا الوالى الذى كان يقطع الأرض لبعض قادته وهؤلاء بدورهم يحفرون الأنهار لجلب الماء إليها .

[1] القضاعى : الإنباء بأنباء الأنبياء صـ ٢١٨

ولقد توج هذا كله بانشائه مدينة واسط مما يجعل المرء يجـــزم بأن هذا الوالى نجح نجاحاً عظيماً فى قيادة العراقيين طيلة هذه المـدة الطويلة [1].

وسواء أصحت نعوت القدامى والمحدثين له بالقوة والجـبروت وجب سفك الدماء وما إلى ذلك من الفسق والفجور والمـــروق عـن الدين أم لم تصح فإن الرجل جاء إلى بلد أهله جبلوا علـى الثـورات وحياكة المؤامرات على ولاتهم فلو لم يستخدم فيهم الشدة ما استطاع حكمهم بل ما تمكن الأمويون من السيطرة على هــذه البـلاد ، فـإن الحجاج وبحق مهد الأمر فى بلاد العراق للولاة اللاحقين له .

ولقد كان عدى بن أرطاه من الولاة الذين أعقبوا الحجاج فـــى حكم البصرة وهذا الرجل قامت فى عهده ثورة كبرى قادها واحد مـن ولاة المصر السابقين على عدى بن أرطاه فهو بأهله خبير بالإضافـة إلى أنه ينتمى إلى أسرة لها فى الحقبـة التاريخيـة التـى تتناولـها الدراسة أثر عظيم فأبوه خضض شوكة الخوارج الأزارقة كمـــا رأى القارئ الكريم .

وها هو ذا ابنه يزيد قد ولى البصرة ثم قاد ثورةً على واليـــها عدى بن أرطاه بعد ما تقلبت به الأيام فجعلت شمســـه بيـن بـزوغ وغروب فكان يزيد بن المهلب وبحق نموذجا يحتذى به البواسل مـن

---

(1) البلاذرى : فتوح البلدان ق٢ صـ٤٤٣
الخضرى : محاضرات فى تاريخ الدولة الأموية صـ٥٦٧ .
فلهوزن : تاريخ الدولة العربية صـ٢١٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٧٠
د/ عبد الشافى عبد اللطيف:العالم الإسلامى فى العهد الأموى صـ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥

الرجال فقد رآه القارئ الكريم يبعث الأمل فى نفسه عبر مسيرة بعد مواقف لو وقعت لغيره لأماتت فيهم الرغبة فى الحياة فما بالك بأمال كان الرجل يمنى نفسه بها عند كل موقف من هذه المواقف لتدفعه إلى مصاف عظماء عصره فى الدولة الأموية فقد رآه القارئ الكريم يجزل عطاياه بشكل فاق به الخلفاء ويكلم يزيد بن عبد الملك بأسلوب ينم عن ثقته بنفسه وأنه إن لم يفق ولى العهد فى مكانته فإنه يساويه ، والجدير بالذكر هنا أن عدى بن أرطاه ويزيد بن المهلب كليهما أخطأ فى حق أتباعه فالأول رفض سعى الساعين بالصلح بينه وبين يزيد حين جاءه بأتباعه إلى البصرة دون استقراء لطبيعة أهل المصر الذى يحكمه والوقوف على الإمكانيات التى يستطيع بها ومن خلالها المحافظة على ولايته ومن ثَمَّ القضاء على ثورة يزيد بن المهلب .

وثانيهما يلام لأنه جاء إلى مصر هو أعلم الناس بطبيعة رجاله وأنهم لا يثبتون على حال مع قائد يتولى أمرهم فى ثورة من الثورات وحسب القائد يزيد بن المهلب ما كان منهم مع ابن الأشعث الذى لم يفصل بينه وبين ثورته إلا زمن يسير ، كما أن يزيد بن المهلب يلام على عدم منح نفسه الوقت الكافى ليرتب أمر البلاد التى حازها ليفيد أكثر فأكثر من إمكانياتها ليس هذا فحسب بل لأنه تعجل الخروج على يزيد بن عبد الملك دون أن يرى منه أمراً ينم عن عدواته له ورغبته فى استئصال شأفته ، صحيح أن أسباباً وأقوالاً جعلت سماء العلاقات بين الرجلين ملبدة بالغيوم قبل أيلولة الخلافة إلى يزيد بن عبد الملك لكن الحقيقة التى لا مرية فيها هى أن الرجل فى نظرته للأمور بعد تولية المنصب تختلف تمام الاختلاف عنها قبله وإلا ما بادر

يزيد بن عبد الملك بالاستجابة إلى سفارة حميد بن عبد الملك ابن المهلب حين جاءه يطلب الأمان لعمه يزيد بن المهلب .

ولقد دفع الرجلان عدى بن أرطاه ويزيد بن المهلب حياتهما ثمناً لهذه المواقف التى وقفاها على أرض البصرة تلك التى جانبهما الصواب فى معظمها .

والفصل فى القضاء على ثورة يزيد بن المهلب يرجع إلى حسن تدبير مسلمة بن عبد الملك لأمور رجاله فإن الرجل أثنى عليه الدينورى بقوله : "كان مسلمة ذا عقل كامل وأدب فاضل "[1].

ومع هذا الثناء فإن الخليفة يزيد بن عبد الملك حين جعل إليه بلاد العراق بعد القضاء على ثورة يزيد بن المهلب عزله عنها بعد شهرين دون سبب يمكن للمرء أن يبرر به موقف الخليفة من أخيه فى بلاد العراق فذهبت الروايات التاريخية مذاهب شتى وهى تبرر لموقف الخليفة من أخيه .

والذى أراه أن هذه التبريرات جميعها تجعل الدارس لتلك الحقبة يجزم بضعف الخليفة وعجزه عن تدبير أمور دولته فما قاله المؤرخون عن عدم دفع مسلمة خراج قضاء العراق إلى الخليفة أمر لا يتصور قبوله فالرجل لم يمكث فى ولايته سوى شهرين فقط وجاءها عقب ثورة زلزلت أركان بلاد العراق فكيف يتسنى له جمع

---

[1] الدينورى : الأخبار الطوال : صـ ٣٣٢ .

الخراج فى هذه المدة الوجيزة ورفعه إلى حاضرة الخلافة فلا يبقى أمام الدارس والحالة هذه إلا أن يأخذ برواية نفوذ حبابة على يزيد بن عبد الملك ورجل يفوذ دولة بنفوذ محبوبته ولا يقيم وزناً لمصلحة دولته لهو بحق أبعد ما يكون عن النهوض بالخلافة ورعاية شئون الدولة فى هذا الظرف الدقيق الذى نشط فيه د- د العباسيين فى أقاليم الدولة الأموية .

وولاة البصرة منذ تولاها عمر بن هبيرة حتى اخر ولاة الأمويين عليها يزيد بن عمر بن هبيرة شغلوا عن رعاية اهلها بالعصبية القبلية التى جعلت كل واحد منهم يعمد إلى القبض على سلفه وتصفية أمواله وقتله فزاد ذلك من العصبية القبلية بين القيسيه واليمنية وغيرهما من القبائل الضاربة فى البصرة فمال بعضها إلى العباسيين فكانوا عوناً لهم على أخر ولاة الأمويين بالعراق يزيدابن هبيرة .

ولقد رأى القارئ الكريم ما فعلته العصبية بالبصرة فى عهد سلم بن قتيبة عندما أرسل العباسيون سفيان بن معاوية بن يريد ابن المهلب ليتسلم البلد من عامل ابن هبيرة والى الأمويين فنزل بالأزد نتيجة لذلك ما نزل من هتك للأعراض ونهب للأموال ، وقبيلة الأزد كانت بالأمس القريب مشايعة للأمويين حين استطاع زعيمها المهلب التصدى للخوارج.

وكذلك كان بنوه يزيد وعبد الملك وغيرهما وليس هنـــاك مـــن مبرر معقول يبرر به الباحث تحول آل المهلب وقبيلتـــهم الأزد عـــن الأمويين إلا رغبتهم نيل وتر يزيد بن المهلب وآله من الأمويين،

وتلك كانت من أهم النتائج التى ترتبت علي ثورة يزيد ابـــن المهلب.

وبعد فانى أسأل الله جل علاه أن يجعل هذه الدراسة خالصـــةً لوجهه الكريم وأن يجعلها نافعةً للاحقين الراغبين فى دراسة التاريخ الاسلامى

والله ولى التوفيق

عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير

د / محسن سعد عبد الله

أستاذ التاريخ الإسلامى

المراجع

أولاً: قائمة مصادر البحث

١- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري ت ٦٣٠هـ: الكامل في التاريخ - طبع دار صادر - بيروت (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).

٢- ابن أعثم: أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ت (٣١٤هـ/٩٢٦م): كتاب الفتوح - أشرف على نشره محمد عبد المعيد أستاد آداب اللغة بالجامعة العثمانية: ط١ نشر مجلس دائرة المعارضة.

٣- البلخي: ابي زيد أحمد بن سهل البلخي: البدء والتاريخ المجلد الأول مكتبة الثقافة القاهرة بدون تاريخ.

٤- البلازري: أحمد بن يحي ت ٢٧٩هـ: فتوح البلدان - تحقيق الدكتور/ صلاح الدين المنجد النهضة المصرية - القاهرة.

٥- الأصبهاني أبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين الأغاني مطبعة دار الكتب المصرية سنة (٣٥٦هـ/٩٧٦م).

٦- الجاحظ. البيان والتبيين تحقيق فوزي عطوى - الشركة اللبنانية للكتاب ١٩٦٨م.

٧- ابن الحجر: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ت ٨٥٢هـ

١- الإصابة في تمييز الصحابة: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.

٧- تهذيب التهذيب: دار الكتاب الإسلامي - إحياء ونشر التراث - القاهرة.

٨- خليفة بن خياط: أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري ت ٢٤٠هـ: تاريخ خليفة بن خياط - تحقيق الدكتور/ أكرم العمري - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧٩م.

٩- الذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨م:

١- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام - تحقيق حسام الدين القدسي ج٣ خلافة أبو بكر - خلافة الإمام علي ١٩٠٧م - دمشق.

٢- أعلام النبلاء - مؤسسة الرسالة - بيروت.

٣- العبر في أخبار من غبر - دار الكتب العلمية بيروت لبنان - ط ١ بدون تاريخ.

١٠- ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع ت ٢٣٠هـ الطبقات الكبرى دار صادر - بيروت.

١١- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ. تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الثانية دار المعارف - القاهرة.

١٢- ابن عبد الحق: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ت ٧٣٩هـ: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: تحقيق علي محمد البجاوي - طبعة دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ط ١ سنة (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م).

١٣- ابن عبد ربه: أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي. العقد الفريد تحقيق أحمد أمين - أحمد الزين - إبراهيم الإبياري - دار الكتاب العربي بيروت - لبنان سنة (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

١٤- ابن كثير: أبو الفدا إسماعيل بن القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ: البداية والنهاية - مكتبة المعارف - بيروت.

١٥- ابن منظور: لسان العرب دار المعارف القاهرة.

١٦- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ: مروج الذهب ومعادن الجوهر: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الفكر - القاهرة ١٩٧٣م.

١٧- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ: إمتاع الأسماع ج١: تحقيق محمد عبد الحميد النميسي - دار الأنصار - القاهرة ط١ سنة (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

١٨- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ: نهاية الأرب في فنون الأدب ج١٩: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٥م ج٢٠ تحقيق علي محمد البجاوي - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.

١٩- ياقوت الحموي: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ت ٦٢٥هـ: معجم البلدان - دار صادر - بيروت ١٩٧٧م.

ثانياً: قائمة مراجع البحث

١ - أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي: خمس مجلدات بدأت في الصدور من سنة (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) مكتبة النهضة القاهرة.

٢ - إبراهيم شعوط: أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ: دار الشروق للنشر.

٣ - بكر العشرى: المغيرة بن شعبة وولايته على الكوفة: رسالة ماجستير جامعة القاهرة.

٤ - دكتور/ حسين عطوان: الخلافة والدولة في العصر الأموي: دار الجيل ط١ سنة ١٩٨٦م

٥ - دكتور صالح أحمد العلي: خطط البصرة ومنطقتها دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى: ط المجمع العلمي العراقي سنة (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

٦ - الدكتور/ طه حسين: الفتنة الكبرى علي وبنوه: دار المعارف القاهرة ط١١

٧ - عبد السلام الترمانيني: أزمنة التاريخ الإسلامي: المجلد الأول تحقيق شاكر مصطفى المجلس الوطني للثقافة والآداب (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

٨ - أ د/ عبد الشافي عبد اللطيف أستاذ/ التاريخ الإسلامي بجامعة الأزهر. العالم الإسلامي في العصر الأموي: ط١ (١٤٠١هـ/١٩٨٤م).

٩- عبد المتعال الصعيدى: القضايا الكبرى فى الإسلام: ط٢ ١٩٦٠م - المطبعة النموذجية بالقاهرة.

١٠- على الطنطاوى - ناجى الطنطاوى: أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر: ط٣ (١٣٩٢هـ/١٩٧٣م) دار الفكر القاهرة.

١١- محمد حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموى: ط١ (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) مكتبة الشباب القاهرة.

١٢- محمد الخضرى: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة الأموية. تحقيق الشيخ محمد العثمانى: ط١ (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) دار القلم للنشر والتوزيع القاهر

١٣- محمود شاكر: التاريخ الإسلامى: ج٤ ط٧ سنة (١٤١١هـ/١٩٩١م)، المكتب الإسلامى بيروت.

١٤- محمود نصير بك: أبطال الفتح الإسلامى: ط٢ مطبعة خلف القاهرة بدون تاريخ.

فهرس الموضوعات